وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية - كلية الآداب
قسم اللغة العربية

آيات الردِّ في الخطاب القرآني
دراسة
في ضوء علم لغة النص

أطروحة قدّمها

حسن هادي عبد النبيّ

إلى
مجلس كلية الآداب – جامعة القادسية
وهي من متطلّبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ. د. لمى عبد القادر خنياب

١٤٤٠ هـ
٢٠١٨م

ﺁﺏﺁﺏ

ٱّٰ هم يج يح يخ يم

ٱ تج تحتخ لم

المجادلة / من الآية : ١١

الإهـداء

إلى والديّ العزيزينِ .. طاعة ومحبة
ودعاء لهما
إلى نبض القلب ، ورفيقة العمر .. زوجتي

حسن

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ(**آيات الردِّ في الخطاب القرآني دراسة في ضوء علم لغة النَّص**) ، قد جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية في كلية الآداب – جامعة القادسية ، وهي جزء من متطلّبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها / لغة .

المشرف

أ. د. لمى عبد القادر خنياب

٢٠١٨ / ١١ / ٢٦

بناءً على التّوصيات المتوفّرة ، أُرشّح هذه الأطروحة للمناقشة .

أ. م. د. أسيل سامي أمين

رئيس قسم اللّغة العربيّة

٢٠١٨ / ١١ / ٢٦

اقرار لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه

ة القادسية/ كلية:
سات العليا
نا اعضاء لجنة مناقشة طالب الدكتوراه :حسن هادي عبد النبي

اللغة العربية / كلية الآداب اطلعنا على التصحيحات والتعديلات التي تم اجرائها من

طالب والتي تم اقرارها في المناقشة من قبلنا فهي جديرة بدرجة جيد جداً في

اللغة العربية وآدابها / لغة وعليه وقعنا .

ء لجنة المناقشة:

الاسم	اللقب العلمي	التوقيع	الصفة
د. علي ناصر غالب	أستاذ		رئيسا
د. حسن عبد الغني محمد جواد	أستاذ		عضوا
د. عبد الحسن جدوع عبد	أستاذ		عضوا
د. ظاهر كاظم عبد الرزاق	أستاذ مساعد		عضوا
د. حسام عدنان رحيم	أستاذ مساعد		عضوا
د. لمى عبد القادر خضيب	أستاذ		عضوا ومشرفا

ق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد

عميد كلية الآداب

/ / ٢٠١

المحتويات

	الموضـــوع	الصفحة
المقدمة		**أ – ت**
التمهيد	**في مفهومي النصّ والرَّد**	**١–١٧**
	علم لغة النص : التسمية ، المفهوم ، الوظيفة	٢–٤
	في مفهوم النص	٤–١٣
	في مفهوم الردّ	١٤–١٥
	هل الردّ نصّ ؟	١٥–١٦
	أنواع الردّ	١٧
الفصل الأول	**الاتّساق النصّي في آيات الردّ**	**١٨–٨٥**
	ـ في مفهوم الاتّساق	١٩–٢٠
	ـ وسائل الاتّساق النصّي	٢٠–٨٥
	المبحث الأول : الإحالة	٢١–٤٩
	ـ أنواع الإحالة	٢٣–٢٥
	ـ أثر الإحالة وأهميتها في الاتّساق	٢٥–٢٦
	ـ وسائل الاتّساق الإحالية :	٢٦–٤٩
	أولاً : الإحالة بالضمائر	٢٦–٣٩
	ثانياً : الإحالة بأسماء الإشارة	٤٠–٤٦
	ثالثاً : الإحالة بالموصول	٤٦–٤٩
	المبحث الثاني : الحذف	٥٠–٥٩
	ـ القارئ والحذف	٥٢–٥٣
	ـ أثر الحذف في الاتّساق النصي	٥٣–٥٤
	ـ أنماط الحذف	٥٤
	ـ مواضع الحذف	٥٤–٥٩
	المبحث الثالث : الوصل	٥٩–٧٢
	ـ أصناف الوصل	٦١–٦٣
	ـ أثر الوصل في تحقيق الاتّساق	٦٤–٦٨
	ـ تناوب حرف العطف	٦٨–٧٠
	ـ الفاء وطي الزمن والأحداث	٧٠–٧٢

المحتويات

	الموضـــوع	الصفحة
	المبحث الرابع : الاتّساق المعجمي	٧٢-٨٥
	أولاً : التكرار	٧٢-٨١
	ـ أنماط التكرار	٧٤-٧٥
	ـ أثر التكرار في تحقيق الاتّساق	٧٥-٨١
	ثانياً : التضام	٨٢-٨٥
الفصل الثاني	**الانسجام النصّي في آيات الردّ**	**٨٦-١٤٢**
	ـ في مفهوم الانسجام	٨٧-٨٨
	ـ أثر القارئ في تحقّق الانسجام	٨٩-٩٠
	ـ ما بين الانسجام والاتّساق	٩١-٩٢
	ـ قواعد الانسجام	٩٢-٩٤
	المبحث الأول : العلاقات الدلالية	٩٤-١٠٧
	١. الإجمال والتفصيل	٩٥-١٠١
	٢. علاقة السبب والنتيجة	١٠١-١٠٤
	٣. علاقة الاستقصاء	١٠٤-١٠٦
	٤. علاقة السؤال والجواب	١٠٧
	المبحث الثاني : موضوع النص (البنية الكبرى)	١٠٨-١١٨
	المبحث الثالث : السياق	١١٨-١٣٠
	ـ عناصر السياق وأثرها في فهم النص	١٢٠-١٢١
	ـ أنواع السياق	١٢١-١٣٠
	الأول : السياق اللغوي النصي	١٢١-١٢٦
	الثاني : السياق غير اللغوي (الخارجي)	١٢٦-١٣٠
	المبحث الرابع : التأويل المحلّي	١٣٠-١٣٣
	المبحث الخامس : التناسب	١٣٤-١٤٢
الفصل الثالث	موجّهات النص ، القصدية والمقبولية ، التناص	١٤٣-٢٠٣
	المبحث الأول : القصدية والمقبولية	١٤٤-١٧٢
	أولاً : القصدية	١٤٤-١٥١
	ـ القصدية في الخطاب القرآني	١٤٨-١٤٩

المحتويات

	الموضـــوع	الصفحة
	ـ إفهام القصد	١٥٠-١٥١
	ثانياً : المقبولية	١٥١-١٥٨
	ـ أثر المتلقّي (القارئ) في إعادة إنتاج النص	١٥٤-١٥٦
	ـ التلقّي والمقبولية في الخطاب القرآني	١٥٦-١٥٨
	ـ بين القصدية والمقبولية	١٥٨-١٥٩
	ـ التحليل النصي لمعياري القصدية والمقبولية	١٥٩-١٧٢
	المبحث الثاني : التناص	١٧٣-٢٠٣
	ـ أهمية التناص في تحليل النص	١٨٠-١٨١
	ـ التناص في الخطاب القرآني	١٨٢-١٨٤
	ـ أشكال التناص :	١٨٤-٢٠٣
	أولاً : التناص الذاتي	١٨٦-١٩٣
	ثانياً : التناص الداخلي	١٩٤-٢٠٣
الخاتمة		٢٠٤-٢٠٧
المصادر والمراجع		٢٠٨-٢٢١
الخلاصة الإنكليزية		**A - B**

المقدّمة

بخ لم لى لي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد النبيّ الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد :

قد بات من المسلّمات أنّ اللغة وعاء الفكر ، وأنّ نشوءها كان اجتماعياً ؛ ممّا يعني أنّ للّغة وظيفةً تفاعلية تواصلية ، علاوة على وظيفتها الإبلاغية والنقلية التي تُسهم في نقل الأفكار والمعلومات داخل المجتمع .

إنّ سمة التفاعل والتواصل في اللغة تقتضي بلا شكّ ، وجود مجموعة متحدّثينَ ، أو وجود اثنين على الأقل ، ليتحقّق بهما قيام أي صورة من صور التفاعل اللغوي . وهذا يعني تحوّل دراسة اللغة والنأي بها من نطاق الجملة في التحليل اللغوي وتفسير وقائعه إلى نطاق أكثر اتّساعاً وشمولاً ، تمثّله وحدة النص . فالنص هو موضوع علم لغة النص ، وهدفه ، ومجال بحثه .

وانطلاقاً من سمة التفاعل ، أُجريت هذه الدراسة التي حملت عنوان **(آيات الردّ في الخطاب القرآني دراسة في ضوء علم لغة النص)** على نصوص قرآنية تقع تحت مفاهيم من مثل : المحادثات ، أو الحوار ، أو المناقشة ، أو الجدل ؛ إذ كانت هذه المفاهيم مصاديق بنيت على صفتي التفاعل والتواصل اللغوي .

والخطاب التفاعلي أو التواصلي في النص القرآني يعدُّ مجالاً رحباً لبحث مفاهيم علم اللغة النصي وحيثياته ، وتطبيقها لسانياً . وبناء على هذا تمّ تقسيم الدراسة على ثلاثة فصول ، تقدّمها تمهيد ، وتلتها خاتمة .

تحدّثت في التمهيد على مفهومي النص والرَّد ، وتطرّقت فيه إلى ذكر تسمية علم لغة النص ووظيفته . أمّا فصول الدراسة فلم تخرج عن طبيعة الدراسة النصية ، إذ التزمت تنظيراً وإجراءً بالمفاهيم النصية التي نظّر لها واضعو هذا العلم . وقد جاء الفصل

الأول مختصّاً بالبناء اللفظي للنص ليكون عنوانه (الاتّساق النصي في آيات الردّ) ، وكان المنهج المعتمد في دراسة هذا الفصل هو مبادئ النصية التي أقرّها (روبرت دي بوجراند)، و(هاليداي ورقية حسن). وقد جاء على مباحث، رُتّبت بحسب كثرتها وشيوعها في متن الدراسة، وقد عُني المبحث الأوّل بالإحالة عبر العناصر الشخصية والإشارية والموصولة، واختصّ المبحث الثاني بالحذف ، والثالث بالعطف ، والرابع بالاتّساق المعجمي .

أمّا الفصل الثاني ، فقد اهتم بالحديث على البناء الدلالي للنص ، وقد عنونته بـ(الانسجام النصي في آيات الردّ) ، وكان على مباحث أيضاً ، الأول منها للعلاقات الدلالية ، وقد عالجت فيه مجموعة علاقات وقد رتّبتها بحسب كثرتها أيضاً، وهي علاقة الإجمال والتفصيل ، والسبب والنتيجة ، والاستقصاء ، والسؤال والجواب ، والمبحث الثاني للبنية الكبرى للنص، والمبحث الثالث للسياق، والمبحث الرابع للتأويل المحلّي، والأخير للتناسب. وقد التزمت في هذا الفصل منهجاً ارتكز على اقتراحات (براون ، ويول) حول الانسجام، وكذلك مبادئ (فان دايك) ، و(روبرت دي بوجراند) .

أمّا الفصل الثالث ، فقد خصّصته لمعايير تتعلّق بالمنتج والمتلقّي ، وكان تحت عنوان (موجّهات النص)، وجاء على مبحثين، عُني الأول منهما بالقصدية والمقبولية ، وعُني الثاني بالتناص القرآني . وفيما يخص المبحث الأول اتّبعت فيه منهج (روبرت دي بوجراند) ، أمّا الثاني فالتزمت فيه منهج (جوليا كريستيفيا) .

وقد التزمت هذه الفصول جميعاً منهج الوصف والتحليل ، تماشياً مع وظيفة علم اللغة النصّي وهدفه .

أمّا الخاتمة فقد عرضت فيها لأهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة . وبعدها جاءت قائمة المصادر والمراجع. وكانت التفاسير ، ولاسيما تفسيرا (الكشّاف) للزمخشريّ ، و(التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور في مقدمة كتب التفسير التي اعتمدت عليها ، ومثّلت كتب لسانيات النص ولاسيما المترجمة أهمّ مراجع الدراسة . ومنها على سبيل التمثيل كتاب (النص والخطاب والإجراء) لـ(روبرت دي بوجراند) ، و(التحليل اللغوي

للنص) لـ(كلاوس برينكر) ، و(مدخل إلى علم اللغة النصّي) لـ(هاينمان وفيهفيجر) ، وغيرها من المراجع المترجمة .

أمّا الدراسات العربية في مجال علم لغة النص ، فكان منها على سبيل التمثيل (علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات) للدكتور (سعيد حسن بحيري) ، و(مدخل إلى علم لغة النص) لـ(إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد) ، و(نحو النص ، اتّجاه جديد في الدرس النحوي) للدكتور (أحمد عفيفي) ، و(علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية) للدكتور (صبحي إبراهيم الفقي) ، وغيرها .

أمّا الصعوبات فلم تخلُ الدراسة منها ، وأغلبها يكمن في انفتاح النص وعدم اقتصاره على اللغة ، وفي صعوبة فهم محتوى النص المترجم أحياناً ، وفي اختلاف الاستعمال اللغوي للمصطلحات ، ومنها أيضاً صعوبة تحليل النصوص القرآنية ، إذ قد يؤدّي التحليل إلى تحميل النص ما لا يحتمله ، وهذا أمر به حاجة إلى حذر شديد ودقّة بالغة .

وأخيراً ، لا يسعني إلاّ أنّ أتقدّم بخالص الشكر إلى السادة أعضاء لجنة الدراسات العليا لاقتراحهم عليّ موضوع هذه الدراسة . ولا يسعني أيضاً ، إلاّ أنّ أتقدّم بعظيم الامتنان والشكر إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة لمى عبد القادر خنياب لتفضّلها عليَّ بقبول الإشراف على هذه الأطروحة ، وعلى ما قدّمته من قراءة وتوجيهات، لا أشكّ أبداً ، أنّها كانت نافعة للباحث قبل البحث .

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين .

الباحث

التمهيد

في مفهومي النص والرَّد

ـ علم لغة النص :

أُطلق مصطلح (علم لغة النص) على المادة الأساسية بين علوم عدّة ، ألا وهي النصوص ، فهي مادة مشتركة بين العلوم جميعها ، وهي الأساس الذي يُبنى عليه البحث والتحليل والتفسير والفهم، وقد يُطلق عليه أيضاً (علم اللغة النصي) ، أو (علم النص)[١] .

وإطلاق مصطلح (علم لغة النص) يرجع إلى (ڤاينرش)[٢] ، على الرغم من أنّ مصطلحي (تحليل النصوص) و(تأويل النصوص) كانا معروفين في الدراسات اللغوية والنقدية ، ولاسيّما تلك التي تُعنى بوصف النصوص الأدبية ، إلاّ أنّ علم لغة النص يطمح إلى شيء أكثر عمومية وشمولاً ؛ إذ يُشير إلى النصوص جميعها في السياقات المختلفة[٣] .

وحول نشأة علم لغة النص يذكر (دي بوجراند) أنّه ((نشأ أصلاً لمعالجة مشكلات محدّدة معالجة أفضل ، وقعت فيما يُسمى علم لغة الجملة ، وقد فُسّر فيما بعد فقط بأنّه برنامج مضادٌّ مقصود))[٤] .

فعلم لغة النص يوجّه عنايته إلى موضوعه الأساس النص ، لا إلى الجملة ، وهو ينطلق من النص ، إذ يعدّه وحدة متكاملة ، ويحاول أن يقدّم صور الاطّراد أو صور الانتظام التي تنتج عن الاستعمال الاتصالي، وأن يعالج أشكالاً نصية متباينة في سياقات تفاعل اجتماعي مختلفة[٥] .

وينطلق أيضاً من ((أنّ النص بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة ، يستلزم وصفها تعقّب تلك العلامات الممتدة أفقياً، والبحث عن وسائل الربط النحوي بينها، وتتابع

---

(١) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري : ٩٩ .
(٢) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك، تر: د. سعيد حسن بحيري : ٣٦ .
(٣) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل : ٢٢٩ .
(٤) علم لغة النص نحو آفاق جديدة ، ضمن كتاب (علم لغة النص نحو آفاق جديدة)، د. سعيد حسن بحيري : ١٥.
(٥) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ٩٩-١٠٠ .

القضايا والمعلومات داخل النص، ...))[١] . وبناء على هذا ، يجري مفهوم علم لغة النص على منطلق لغوي مداره أساساً مدُّ مجال موضوع علم اللغة مجاوزاً حدّ الجملة ، ومن ثمّ لا تُعدّ الجملة أكبر وحدة وصف[٢] .

إنّ علم لغة النص أحدث تحوّلاً كبيراً في مجال اللسانيات ، إذ تجاوز ((دراسة التركيبة اللسانية للنصوص الأدبية واعتبارها شبكة من العلاقات اللغوية ليطرح نفسه كنشاط متعدد الاختصاصات))[٣]. وتجاوز الدراسة التجزيئية للغة حيث كان كل شيء يتعلّق بدراسة الجمل ومكوناتها وإعداد مبادئ القواعد، إلى دراسة عبارات اللغة في كلّيتها، ودراسة الأشكال والبنى الخاصة بها ، التي لا يمكن للقواعد أن تضعها[٤] .

أمّا عن وظيفة علم لغة النص وأهمّيته ، فيذكر (صبحي إبراهيم الفقي) أنّ معظم الآراء تتفق على أنّ وظيفة علم اللغة النصيّ تنحصر في أمرين اثنين هما : الوصف النصيّ ، والتحليل النصيّ . وأنّ المنطلق في تحديد هاتين الوظيفتين يبدأ من الوصف ، حيث يتوجّب توضيح مكوّنات النص ابتداءً من الجملة الأولى ، ثم بيان موضوعاته ، بعد ذلك يبدأ التحليل النصّي[٥] .

ويؤكّد (فان دايك) هاتين الوظيفتين بقوله : ((إنّه من غير أساس نظري ، فإنّ الوصف الواقعي يُعدّ مستحيلاً. وكذلك فإنّه من غير هذه المكتسبات النظرية الوصفية ، فإنّنا لن نعرف أنّ نجري تطبيقاً . والعكس صحيح أيضاً ، فإنّه لا معنى لإنشاء نظرية لا تستطيع ، في وصف ، أن توضع على محكّ الامتحان بشكل تجريبي لا يكون على قاعدة تطبيق ملائم من منظور اجتماعي))[٦] .

---

(١) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، د. سعيد حسن بحيري : ٩٤ .
(٢) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٣٦ .
(٣) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٨ .
(٤) ينظر : النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص ، ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النص) : ١٣٩ .
(٥) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي : ٥٥/١ .
(٦) النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص : ١٤٠ .

وكان (فان دايك) قد أقرّ قبل هذا تقسيماً لمبادئ التحليل النصّي ، إذ يقول : ((عندما نتكلم عن بعض المميزات التي يملكها كلُّ نص عموماً ، أي عندما نتكلّم مثلاً عن تماسكه ، فإنّنا نصوغ حينئذ تأكيدات نظرية . ولكن عندما نذكر عدداً معيناً من المميزات المتعلقة بنص خاص أو بمجموعة من النصوص المحدّدة مسبقاً ، فإنّنا نصوغ تأكيدات وصفية . وهكذا ، فإنّنا نستطيع مثلاً أن نقدّم بعض الأقوال عن بنية النص الدعائي عموماً ، ولكنّنا نستطيع أيضاً أن ندرس ... نصاً دعائياً بشكل خاص . وبالإضافة إلى مثل هذه المقاربة النظرية والوصفية ، فإنّنا نستطيع أيضاً أن نطبق نتائج هذين النموذجين من نماذج التحليل ، النظري والوصفي))[١] .

وذكر (أحمد عفيفي) أنّ علم لغة النص قد حدّد لنفسه هدفاً، هو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي[٢].

وذهب (هاينمان وفيهفيجر) إلى أنّ الهدف الأساس لبحث علم اللغة النصيّ هو ((استنباط نظرية النص المتكاملة ، والتعريف الدقيق بعناصر التوسط وإجراءاته بين المعطيات غير اللغوية، وعوامل التواصل من جهة ، وإمكانات التعبير اللغوية المناسبة لها في النصوص من جهة أخرى))[٣] .

ـ في مفهوم النص :

قبل محاولة معرفة موقع الردّ من النصّ ، لا بدّ من وقفة نحاول من خلالها أن نتعرّف على تحديد لمصطلح (النص) في الدرس اللساني الحديث . فممّا تجدر الإشارة إليه ((أنّه بالنسبة للنص بوصفه هدفاً بدهياً للتحليل ، وموضوع بناء النظرية ، ربما لا يوجد إلى الآن أيّ تعريف تام مطلقاً ، أعني تعريفاً قاطعاً))[٤] .

---

(١) النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص : ١٣٩-١٤٠ .
(٢) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٣١ .
(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي ، هاينمان وفيهفيجر ، تر : د. فالح بن شبيب العجمي : ١٠٦ .
(٤) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٦٠ .

وهذه القطعية أكّدها (كلاوس برينكر) بقوله : ((في علم لغة النص توجد تعريفات مختلفة للنص ؛ ولا يوجد حتّى الآن تعريف مقبول بوجه عام))[١] . ويقول الدكتور (سعيد حسن بحيري) : ((لم يكن حظ مصطلح (نص) أسعد حالاً من مصطلح (جملة) ؛ فثمّة اختلاف شديد بين هذه الاتّجاهات في تعريف النص ... إلى حدّ التناقض والإبهام أحياناً أخرى ، فلا يوجد تعريف معترف به من قِبل عدد من الباحثين من اتجاهات علم لغة النص بشكل مطلق))[٢] .

وهذا الأمر جعل من تعريف النص أمراً صعباً ، وذلك لتعدد معاييره ومداخله ومنطلقاته ، ولتعدّد الأشكال والغايات ، التي تتوافر فيما نطلق عليه اسم نص[٣] .

وبذلك يكون مفهوم النص مفهوماً إشكالياً ؛ لأنّ طابعه المتغيّر والتشكّلاتِ التي يتمظهر بها تجعل من تعريفه مهمة صعبة ، ولأنّ كثيراً من أنماط التواصل تتنازع حوله بوصفه نظام لغوي، محاولة أن تجرّه إلى حقلها ، وأن توظّفه توظيفاً إجرائياً[٤] . ولأجل ذلك ((تختلف وجهات النظر في تعريف (النص) من اللغوي إلى اللسانياتي إلى الناقد، إلى المؤرخ، إلى الفيلسوف، إلى المفسّر، إلى اللاّهوتي. وهذا التنوّع في التعريفات يدلّ على عدم استقرار المفهوم من جهة، وتباين طرقه الإجرائية في حقول معرفية مختلفة من جهة أخرى))[٥] . وقد يرجع هذا الاختلاف أو التباين في التعريفات إلى كونها تعبّر عن جوانب جزئية متباينة لظاهرة النص الشاملة[٦] . لذا فـ((إنّ مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصوّر اللغوي ، ويؤكّد ذلك الاختلاف بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم))[٧] .

---

(١) التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، تر : د. سعيد حسن بحيري : ٢١ .
(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٠٣ .
(٣) ينظر : نسيج النص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً ، الأزهر الزناد : ١١ .
(٤) ينظر : نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٣٥ .
(٥) المرجع نفسه : ٣٥ .
(٦) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٦٠ .
(٧) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٠٧ .

وبناء على ذلك يكون ((الاختلاف في التعريف بمصطلح النص ليس بدعاً في الدراسات اللغوية، بل في العديد من العلوم ، خاصة في بداية نشأتها ، وهذا أمر طبيعي، أمر عدم الاستقرار على التعريف بالمصطلحات ، وطبيعة العلوم ، وأهدافها ، وغيرها من الجوانب المتعلّقة بكلّ علم))[١] .

إنّ الحديث في تعريف النص سيرتكز على وروده لغة ومصطلحاً في الثقافة الغربية، من دون الرجوع إلى معناه في التراث اللغوي العربي ، ومحاولة عقد وشيجة للربط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي. وذلك لأنّ محاولة الربط تضع المتلقي العربي في حالة اضطراب نتيجة عدم مقدرته على الربط بين المفهوم المعجمي العربي ، وبين ما تبثّه الحقول المعرفية في المصطلح من مفاهيم ، فهو لا يدرك على وفق ثقافته معنى عبارات مثل : نص أدبي ، فضاء النص ، دينامية النص، علم النص ، تأصيل النص ؛ وذلك لأنّ معاني النص في المعجم لا تُسعفه على إدراك هذه المفاهيم[٢] .

وهذا ما يتجلّى في وعي (محمد الأخضر الصبيحي) الذي خلص إلى أنّ ((المفهوم الاصطلاحي لكلمة (نص) مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر ، وهو ليس وليد هذا الفكر ، وإنّما هو كغيره من مفاهيم كثيرة في شتّى العلوم الحديثة ، وافدٌ علينا من الحضارة الغربية . وهذا ما يجعل البحث عن أصول هذا المصطلح في التراث الفكري العربي ، وربط ذلك بما يدلّ عليه في وقتنا الحاضر ، ضرباً من التحمّل الذي لا ترجى منه فائدة))[٣] . ولعلّ ما ذكره الدكتور (عبد الملك مرتاض) يؤكّد هذا الأمر ، إذ قال : ((لولا أنّ النصّ مصطلح أدبي متداول اليوم بين النقاد العرب لما كان له في أصل الوضع اللغوي أي دلالة قاطعة ملائمة للوظيفة التي ينهض بها في حضن الإبداع))[٤].

---

(١) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق : ٢٤/١ .

(٢) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية ، النظرية والمنهج ، د. نهلة فيصل الأحمد : ٢٥-٢٦ .

(٣) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ١٨ .

(٤) الكتابة ومفهوم النص ، (مجلة اللغة والأدب ، العدد ٨ ، الخاص بملتقى علم النص ، ١٩٩٦) : ٩ .

أمّا النص لغة في الثقافة الغربية فهو مأخوذ من (texte)، التي تحيل على النسيج، وتحمل الدلالة نفسها في أصلها اللاتيني (textus)[١] . يقول (الأزهر الزنّاد) : ((فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض . هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلٍّ واحدٍ هو ما نطلق عليه مصطلح نص))[٢] .

فالنص يعني أنّه نسيج لما فيه من تسلسل للأفكار وتوالٍ للكلمات ، وأنّه مرتبط بمفهوم النسج والحياكة لما يبذله الكاتب فيه من جهد في ضمّ الكلمة إلى الكلمة، والجملة إلى الجملة، حتّى تنتظمَ أجزاؤه وترتبطَ فيما بينها لتكونَ كلاًّ منسجماً مترابطاً[٣] .

واضح أنّ النصّ في الثقافة الغربية ((قد وُضع للدلالة على منظومة متجانسة من الكلمات المنسوجة بطريقة تماثل عمل النسّاج ، ودخل الحقول البحثية بهذه الدلالة))[٤].

ولأجل هذا سنبني الحديث حول تحديد مصطلح النص وتعريفه انطلاقاً من الثقافة التي أنشأته ، على أنّ أغلب تعريفات النص فيها تتردّد بين اتجاهات ثلاثة :

الأوّل : ما يتعلّق بتركيب النص، أي بنياته الشكلية ومكوناته التي يتكوّن منها[٥] . ومنه تعريف (هارتمان) الذي انطلق فيه لوضع تحديد للنص من النظام اللغوي – الذي هو المفهوم التجريدي للواقع اللغوي – الذي تنتجه تجليات اللغة المادية ، المتشكّلة من تصوّرات المعجم والنحو بصورة متباينة ، فاللغة المستعملة في نظر (هارتمان) هي الموضوع الفعلي ، أي العلامة الفعلية (اللغوية) المنظمة ، وهذه العلامة هي النص ، وبمعنى أدق هي نص بعينه ، ويُحدَّد النص على وفق ذلك بأنّه أيُّ قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة ، ومن ثمّ هي قطعة مثمرة من الكلام[٦] .

---

(١) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية ، النظرية والمنهج : ٢٨–٢٩ .
(٢) نسيج النص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً : ١٢ .
(٣) ينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ٢٠ .
(٤) التفاعل النصي ، التناصية ، النظرية والمنهج : ٣٢ .
(٥) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٥٩ .
(٦) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٠١–١٠٢ .

ويذهب (هارفج) إلى تعريف النص ((بأنّه تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متّصل لوحدات لغوية))[١] . وتعريفا (هارتمان) و(هارفج) مميّزان لما يُسمّى بعلم لغة النص القائم على نظام اللغة ، الذي يحاول بحث الأشكال اللغوية المحضة للنصية ، الخاصة بنظام اللغة والنص[٢] . ويتأسّس على ذلك أنّ ((النظام القاعدي للغة لا يوجّه بناء الكلمة وبناء الجملة فحسب ، بل بناء النص أيضاً (تكوين النص) ، ويُؤَسَّس على أوجه اطّراد عامة يفسّرها النظام اللغوي))[٣] .

ويذهب (برينكر) إلى أنّ ((النص هو وحدةٌ لغوية محددة كتابياً ، تضمّ في العادة أكثر من جملة))[٤] . ويرى أيضاً أنّه ((تتابع مترابط من الجمل))[٥] . وبناءً على هذا يجعل (برينكر) من الجملة وحدة نصية أساسية ، ويعدّها من الناحية النحوية الوحدة المحورية لبنية النص[٦] .

إنّ هذا التحديد للنص من قبل (برينكر) مردود عليه، إذ علّق عليه (شبلنر) بقوله: ((هذا التعريف ... دائريّ ، بمعنى أنّه يوضّح النص بالجملة من خلال النص ، وأنّه غير منهجي من الناحية العملية لغموض الرمز والعلاقات التي يتضمّنها واتّساع الوصف ، ومن ثمّ ... لا يمكن تطبيقه))[٧] . ولعلّ ما يؤيّد هذا التعليق ((عدم وضوح التحديد الفاصل بين الجملة والنص من ناحية ، وإمكانية وصف الجمل على أنّها وحدات مستقلة من ناحية ثانية ؛ ممّا يجعلنا نوكّد أنّ هذا التعريف يجعل النص وحدة أكبر من الجمل ، أو أنّنا وسّعنا نطاق دراسة الجملة لتصبح نصاً))[٨] .

---

(١) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٥٥ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ٥٦ .
(٣) التحليل اللغوي للنص : ٢٤ .
(٤) المرجع نفسه : ٢١ .
(٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٠٣ .
(٦) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ٣٢ .
(٧) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٠٣ .
(٨) نحو النص ، اتّجاه جديد في الدرس النحوي : ٢٣ .

غير أنّه بدا من الواضح أنّنا لا يمكن أن نصف النصوص بأنّها وحدات أكبر من الجمل ، أو أنّها جمل متوالية في سياق ، ذلك أنّ الخاصّية الأولى للنصوص من باب أولى هي كونها ترد في الاتصال ، ولربما يأتي نصّ ما على صورة كلمة واحدة ، أو جملة واحدة ، أو مجموعة من الأجزاء ، أو خليط من البنيات السطحية ، ويترتّب على ذلك أنّ توسيع دراسات الجملة لتشمل النصوص سيُفقد النصوص عدداً من الأمور الحيوية ، ويسبب مشكلات عملية[١] .

وقد يُضاف إلى هذا أنّ تتابع الجمل أو تسلسلها لا يعني بالضرورة أنّها تكوّن نصاً، وقد عبّر (فان دايك) عن هذا بقوله: ((إنّنا لا ننظر إلى أي عبارة في لغة طبيعية بوصفها نصاً . وسنرى فيما بعد أنّ أي سلسلة من الكلمات أو من الجمل لا تتناسب دائماً مع مفهومنا الحدسي عن النص))[٢] .

الثاني : ما يتعلّق بدلالة النص واستقلاله بالمعنى[٣] ، ومنه محاولة (برينكر) لتعريف النص بالاستناد إلى الجانب الدلالي المحوري ، إذ يقول عنه : ((إنّه مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية ، تترابط بعضها مع بعض ، على أساس محوري – موضوعي ، أو جملة أساس ، من خلال علاقات منطقية دلالية))[٤] .

فالقاعدة الدلالية هي مركز النص ، والبناء السطحي يعكس أجزاءً فقط من معنى النص ، ما يعني أنّ النصّ لا يمكن أن يتشكّل أو يوجد إلاّ بمراعاة البناء الدلالي[٥] .

لذلك نجد أنّ (فان دايك) في تعريفه الآتي للنصّ يعوّل على الدلالة ، فالنص عنده ((بنية سطحية توجّهها وتحفّزها بنية عميقة دلالية))[٦] .

---

(١) ينظر : النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، تر : د. تمّام حسّان : ٦٤ .
(٢) النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص : ١٤٤ .
(٣) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٥٩ .
(٤) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١١٠ ، وينظر : التحليل اللغوي للنص : ٣٢ .
(٥) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي : ٣٧ .
(٦) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٥٦ .

إنّ افتراض بنية عميقة لنص ما ، يدعم بحسب (فان دايك) التماسك الدلالي للنصوص، وإمكانية اختصار النص في ملخص أو في عنوان ، وإمكانية كتابة نصوص مختلفة ذات بنية عميقة دلالية ، وهكذا يكون تصوّره للنص قائماً على أساس دلالي[١] .

وممّن يمثّل هذا الاتجاه الدلالي أيضاً (تودوروف) الذي يرى أنّ النصّ يتحدّد باستقلاله الدلالي وانغلاقه ، وأنّ مفهوم النص لا يقوم على المستوى نفسه الذي يقوم عليه مفهوم الجملة ، والنص بهذا المعنى يتميّز من الفقرة ، ومن وحدة النموذج الكتابي لعدد من الجمل، والنص على هذا يمكنه أن يتطابق مع جملة، أو يكون كتاباً بأكمله[٢] .

وانغلاق النص لا يعني عدم قبوله للتأويلات ، وإنّما يعني اكتفاءه بذاته ، فيصبح النص بذلك القول اللغوي المكتفي بذاته ، المكتمل بدلالته[٣] . معتمداً في ذلك على ((أنّ الخاصيّة الأولى لتحديد النص هي الاكتمال ، وليس الطول أو الحجم))[٤] .

وهذه النظرة تقترب من مفهوم النص عند (هاليداي ورقية حسن) ، إذ يعرّفانه بأنّه ما يشير إلى أيّ قطعة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدّت ، وهو يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط فيها الجملة بالعبارة، وأفضل نظرة إلى النص أنّه وحدة دلالية[٥] . فالنص عندهما لا يتعلّق بالجمل ، إنّما يتحقّق بواسطتها ، ويتمّ التركيز عندهما على جانبي الوحدة والانسجام من خلال الإشارة إلى كون النص وحدة دلالية ، والشيء نفسه نجده مع (فان دايك) الذي ينطلق من اعتبار النص وحدة مجرّدة عليا[٦].

إنّ النظرة الموحّدة التي تجمع بين تعريفات هذا النمط ، هي أنّ الوحدة الدلالية أو الاكتفاء الدلالي هو ما يميّز النص، وهذا يعني تجاوز مفهوم التركيبية في تصور النص، ليحل محلّها تصوّر دلالي يتأسّس عليه مصطلح النص .

---

(١) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٥٦-٥٧ .
(٢) ينظر : النص ، تزيفيتان تودوروف ، ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النص) : ١٠٩-١١٠ .
(٣) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢١٤-٢١٥ .
(٤) المرجع نفسه : ٢١٤ .
(٥) ينظر : لسانيات النص القرآني دراسة تطبيقية في الترابط النصي ، د. عبد الله خضر : ٢٣ .
(٦) ينظر : انفتاح النص الروائي النص والسياق ، د. سعيد يقطين : ١٧ .

والثالث : ما يتعلّق ببراجماتية النص[١] ، وهذا النمط موجَّه على أساس نظرية التواصل[٢] ، وهو تصوّر من ضمن التصوّرات اللسانية للنص ، يجعل من النص حدثاً اتّصالياً . وهذا الحدث هو الخاصّية الأولى للنصوص كونها ترد في الاتصال[٣] . ولعلّ هذا ما دفع (دي بوجراند) إلى أن يؤكّد بقطعية أنّ ((الصفة المميزة للنص هي وقوعه في الاتصال))[٤] .

ومن تعريفات النص التواصلية أو التداولية النصية وصفه بأنّه ((سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة ، وتشكّل وحدة تواصلية ، ولا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل ، أو من جملة وحيدة ، أو من جزء من الجملة))[٥] . وعرّفه (كالماير) بقوله : ((النص هو مجموع الإشارات الاتّصالية التي ترد في تفاعل تواصلي))[٦]. وهو عند (براون ويول): ((التسجيل الكلامي لحدث تواصلي))[٧].

إنّ ما يؤخذ على تعريفات الأنماط الثلاثة للنص أنّه لا يمكن الأخذ بواحد منها وإغفال غيره ، فلا يوجد تعريف استوفى وصف النص ، إذ نجد ((كلّ تعريف يركّز على جانب واحد ويسقط من حسابه جوانب أخرى))[٨] . ولا يمكن من خلال أحد هذه التعريفات أن نصل إلى تحديد قاطع ، وعليه يجب أن يُبنى مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدّمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة ، من دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة ، لأنّها تقتصر على مراعاة مستوى واحد ، هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية ، من دون أن يبرز ما في النص من شبكات متعالقة[٩] .

---

(١) ينظر : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٦٠ .
(٢) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ٢٤ .
(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٦٤ .
(٤) المرجع نفسه : ٧٢ .
(٥) النص ، جان ماري سشايفر : ١١٩ .
(٦) مدخل إلى علم اللغة النصيّ : ٨-٩ .
(٧) تحليل الخطاب ، ج. ب. براون ، ج. بول : تر : د. محمد لطفي الزليطني ، د. منير التريكي : ٢٢٧ .
(٨) نحو النص ، اتّجاه جديد في الدرس النحوي : ٢٧ .
(٩) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢١١ .

إنّ ((مقولة (النص) لا يمكن أن تحدّد فقط على مستوى واحد ، بل من الضروري أن يحلل على مستويات عديدة مورفولوجية وتركيبية ودلالية وتداولية . وهذا يتطلّب نظرية مركبة تستفيد من السوسيو– لسانيات ، والسيكو–لسانيات وغيرهما ، لتتاح إمكانية معاينة النص من خلال خصائص السياق المعرفي والاجتماعي والإيديولوجي للأشكال والدلالات والوظائف))[١] .

وأخيراً ، فإنّ مع كثرة التعريفات واختلافها ، لا يوجد ما يمنع من أن تكون ثمّة محاولات طموحة تقارب الوصول لتعريف يضم أكبر عددٍ من الملامح الفارقة للنص[٢]. ولعلّ من بينها ما نجده في وعي (دي بوجراند) في تأسيسه لتعريفٍ للنص قائم على توافر أنماط ثلاثة (تركيبة ، ودلالية ، وتداولية)، تجتمع كلّها لبناء تصوّر للنص ، فالنص عنده : ((تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتّصال))[٣] .

أو هو – عند (دي بوجراند ودرسلر) – : ((حدثٌ اتّصالي تتحقّق نصّيته إذا اجتمعت له سبعة معايير ، هي الربط والتماسك والقصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناص))[٤] . غير أنّهما لم يُلزما ضرورة تحقّق المعايير السبعة كلها في النص ، وإنّما تتحقّق النصية بوجودها ، وأحياناً تتشكّل نصوص بأقل قدر منها[٥] .

وقريب من تعريف (دي بوجراند) الأول ما سعى إليه (شميت) في تعريفه للنص بأنّه : ((كلٌّ جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل ، يحدد من جهة الموضوع، ويفي بوظيفة تواصلية يمكن تعرُّفها أي يحقّق كفاءة إنجازية يمكن تعرّفها))[٦].

تعرّفها))[٦].

(١) انفتاح النص الروائي : ١٦ .
(٢) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٠٧ .
(٣) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ٩ .
(٤) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٤٦ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه : ١٤٦ .
(٦) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : ٥٨ .

وفي هذا التعريف إدراج لاعتبارات مختلفة ، منها ما هو تداولي مثل الحدث الاتصالي ، ناهيك عن الاعتبارات النحوية التي تتعلّق بما وراء الجملة ، من علاقات ووسائل ربط واتّساق[١] .

إنّ ما يلحظ على أغلب التعريفات التي سعت أن تصل إلى مقاربة لمفهوم النص اصطلاحاً لا تخرج عن أحد المعايير الآتية[٢] :

- كون النص منطوقاً أو مكتوباً أو كليهما .
- مراعاة جانب التماسك ، وهو أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النصي .
- مراعاة الجانب الوظيفي للنص .
- مراعاة التحديد الحجمي (طول النص) .
- مراعاة الجانب التداولي ، وما يتعلق به من جانب السياق.
- مراعاة التواصل .

(١) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ٨١-٨٢ .

(٢) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/٢٨-٢٩ .

ـ في مفهوم الرد :

الرَّدُّ في اللغة : ((مصدر ردَدتُ الشيء))[١]. ومنه ما قاله الجوهريّ (ت٣٩٣هـ) : ((ردّ عليه الشيءَ إذا لم يقبله ، وكذلك إذا خطّأه . وتقول : ردَّه إلى منزله ، وردَّ إليه جواباً : أي رجع))[٢]. وفيما يتعلّق بالكلام قال الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) : ((وردَّ عليه قوله. وردّ إليه جواباً))[٣] .

وقال الزّبيديّ (ت١٢٠٥هـ) : ((ورادَّه الشيء ، أي : ردّه عليه ، ورادّه القولَ : راجعه ... واستردّه الشيءَ: طلبه وسأله ردَّه، أي أن يرُدَّه عليه ... وردّ إليه جواباً : رجَعَ ، وارتدَّ الشيءَ : طلب ردَّه عليه))[٤] . وجاء في المعجم الوسيط: ((وردّ عليه كذا : لم يقبله. وردّ عليه : أجابه. يقال : ردَّ عليهم السلام ، وردّ إليه جوابه : رجَعَه))[٥] .

وبناء على هذا أجد أنّ معنى الردّ في اللغة يتأسّس على معنى الجواب في الكلام، إذ نلحظ أنّ ثمة ارتباطاً بين الردّ والجواب في الكلام ؛ فكلاهما يدلّ على الإرجاع .

على أنّ دلالة الإرجاع هذه قد يتأسس عليها معنيان : الأول : ما يحمل معنى الرد والجواب فقط ، ولعلّ بعضاً من مصاديق هذا الإجراء ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱ ٱُ ٱۡ ٱۢ ٱۤ ٱٓ ٱٰ ٱٱ ٱٲ ٱٳ ٱٴ ٱٵ ٱٶ ٱٷ ٱٸ ٱٹ ٱٺ ٱٻ ٱټ ٱٽ ٱپ ٱٿ ٱڀ ٱڀ ٱٺ ٱٹ ٱٸ ٱٷ ٱٶ ٱٵ ٱٴ ٱٳ ٱٲ ٱٱ ٱٰ ٱٓ ٱۤ ٱۢ ٱۡ ٱُ ٱٱ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱُ ٱٱ ٱٲ ٱٳ ٱٴ ٱٵ ٱٶ ٱٷ ٱٸ ٱٹ ٱٺ ٱٻ ٱټ ٱٽ ٱپ ٱٿ ٱڀ ٱڀ ٱٺ ٱٹ ٱٸ ٱٷ ٱٶ ٱٵ ٱٴ ٱٳ ٱٲ ٱٱ ٱٰ ٱٓ ٱۤ ٱۢ ٱۡ ٱُ ٱٱ﴾ [آل عمران: ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱُ ٱۡ ٱۢ ٱۤ ٱٓ ٱٰ ٱٱ ٱٲ ٱٳ ٱٴ ٱٵ ٱٶ ٱٷ ٱٸ ٱٹ ٱٺ ٱٻ ٱټ ٱٽ ٱپ ٱٿ ٱڀ ٱڀ ٱٺ ٱٹ ٱٸ ٱٷ ٱٶ ٱٵ ٱٴ ٱٳ ٱٲ ٱٱ ٱٰ ٱٓ ٱۤ ٱۢ ٱۡ ٱُ ٱٱ﴾ [يوسف: ٤-٥] .

---

(١) كتاب العين ، للخليل بن أحمد ، تح : د. مهدي المخزوميّ ، د. إبراهيم السامرّائيّ ، (رد) : ٧/٨ .
(٢) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور العطار ، (ردد) : ٤٧٣/٢ .
(٣) أساس البلاغة ، (ردد) : ٢٢٧ .
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : د. عبد العزيز مطر ، (ردد) : ٩١/٨-٩٣ .
(٥) المعجم الوسيط : ٣٣٧ .

أمّا المعنى الآخر : فهو ما يحمل دلالة الرفض وعدم القبول والتخطئة ، ودلالة هذا المعنى طاغية على نحو لافت للنظر ، ناهيك عن كونه ردّاً أو جواباً . وأكثر ما يصدق هذا المعنى على تلك الردود التي صدرت على ألسنة متبادلي الخطاب مع الأنبياء (عليهم السلام) ، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر ، ردّ قوم نوح (عليه السلام) لمّا دعاهم إلى عبادة الله (عز وجل) وحده ، فقالوا : ﴿... چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ﴾ [الأعراف: ٦٠] ، وردّ قوم هود (عليه السلام) : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ﴾ [الأعراف: ٦٠] ، وغير ذلك من الردود على النبيين .

ومنه أيضاً ردود إبليس التي كانت تمثّل رفضاً صريحاً لما وجّهه الله (عز وجل) إليه ، وعدم الأخذ به ، وكذا ردود فرعون على موسى ، وغيرها . فهذه الردود وإن كانت تمثّل ردّاً أو جواباً ، إلاّ أنّ السمة الغالبة عليها رفض الخطاب وعدم قبوله والأخذ به .

هل الردّ نص ؟ :

وبعد ما ذُكر عن مفهوم النص ، تتقرّر الإجابة عن السؤال المتقدّم ، هل يكون الرد بنية نصية ؟ . والجواب عن هذا ، يتعلّق في أنّ مفهوم الردّ يرتبط بمفاهيم أعمّ منه ، من مثل المحادثة والحوار والمناقشة ، وهذه المفاهيم تُستعمل مترادفة ، وإن لم يثبت أنّ أياً من هذه الأصناف يُشكّل الرمز المعمّم[١]. فالمفاهيم (الحوار ، أو المناقشة ، أو المحادثة) ، هي في الحقيقة أبنية ثنائية تمثّل تفاعلاً لأكثر من خطاب يرد داخل البناء ، وهي ((وحدة تتكوّن من نصّين ، تنتج من شريكي تفاعل مختلفين))[٢] .

وبناءً علي ذلك فالردّ يمثل جزءاً من هذه الوحدة ، ومن ثمّ يكون نصّاً قائماً بذاته داخلها ، فلولاه لتحوّل البناء النصّي من بناء ثنائي إلى بناء فردي (ذاتي) .

والردّ في المحادثة مثلاً ، يمثّل وحدة نصية تواصلية ؛ إذ ((يوجد في المحادثة تفاعل لخطابين أو لعدّة خطابات تتركّز على موضوعاتها الخاصة على وجه الإجمال ،

---

(١) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصيّ : ٢٥١ .

(٢) المرجع نفسه : ٢٥١ .

وهي تتألف عموماً ، كل واحد منها من عدد من النصوص ، لأنّ كلّ جواب من التبادل يكون وحدة تواصلية ، وهذا يعني أنّه يشكّل نصاً خاصاً))[١] .

وقريب من هذا المعنى ما قرّره (فان دايك) من وجود عدّة متحدّثين تتناوب منطوقاتهم في تفاعل لغوي ثنائي ، مشروط بقبول تتابع الحدث ، حين يفي بالقيود الإدراكية المعتادة من فهم المتحدثين لبعضهم بعضاً ، وإقامة أفعالهم الكلامية متوالية على نحو يتوافر فيه القصد لوقوع التبادل بينهم من الناحيتين العقلية والاجتماعية ، بعبارة أخرى : يفترض المتحدّث أنّ ما يصدر عن السامع (موجّه الرد للمتحدّث) يجب أن يفسّر بناءً على التغيير العقلي الحادث للفعل الكلامي المتقدّم الذي صدر عنه[٢] .

وتأسيساً على هذا ، فإنّ ما سيعالج من نصوص – هي في الواقع – ليست نصوصاً فردية ، وإنّما هي نصوص ثنائية (حوارية) ، بمعنى آخر أنها نصوص ينتجها متحدّثون مختلفون يتبادلون فيما بينهم[٣] .

وتحليل التبادل الحواري هو الموضوع المفترض في التحليل النصّي[٤] . وعلى أساس من ذلك فإنّ تحليل هذه النصوص لا يتمّ على مستوى البنية النصية فقط ؛ بل على مستوى التفاعل أيضاً، الذي يعدّ المفهوم الأعلى لتخصيص المحادثة والحوار، ويكون الاتّصال فيهما مباشراً وجهاً لوجه بين أطراف التواصل[٥] .

ـ أنواع الردّ :

يتنوّع الردّ في الخطاب القرآني بحسب تنوّع شركاء التّواصل أو التفاعل اللغوي، متّخذاً صوراً عدّة ، وباستقراء الردود التي وردت في مواضع الدراسة نجد أنّها تحمل

---

(١) النص ، جان ماري سشايفر : ١٢٠ .
(٢) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، فان دايك ، تر : د. سعيد حسن بحيري : ٣٦٣ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه : ٣٤٤ .
(٤) ينظر : النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص : ١٣٥ .
(٥) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٣٤٦-٣٤٧ .

سمات عدّة ، منها : الرفض وعدم القبول ، والعناد ، والجدل ، والتكذيب ، والتكبّر . وأغلب هذه السمات ترد في ردود الكفار ، أو أقوام الأنبياء على أنبيائهم (ع).

ومنها على سبيل التمثيل ردّ قوم نوح على نبيهم، وردّ قوم صالح ، وقوم شعيب ، ويندرج تحت هذا النوع من الردّ أيضاً ، ردّ إبليس على الله (ﷻ) ، الذي يحمل سمة العناد والكفر والتكبّر . ومنه أيضاً ردود فرعون .

وثمّة ردود تحمل صفة المناقشة والجدل ، منها ما جاء في ردّ الملائكة على الله (ﷻ) ، وردّ مريم (عليها السلام) على رسول ربّ العالمين ، وردّ قوم موسى عندما أمرهم نبيّهم بذبح البقرة ، وردّ الخضر على موسى (ع) .

ومن الردود ما يحمل سمة التسليم ، وأكثر ما يرد هذا النوع في ردود الأنبياء (ع) على الله سبحانه وتعالى ، أو في ردود المؤمنين على أنبيائهم .

الفصل الأوّل

الاتّساق النصّي
في آيات الردّ

ـ في مفهوم الاتّساق (COHESION)(*)

اتّجهت اللسانيات النصية إلى توسيع دائرة البحث النصيّ ، محاولةً بذلك وضع تصوّرات تهدف إلى الكشف عن أسرار النظام اللغوي ، وغايتها في ذلك المعنى الذي تتعاضد إليه مستويات التحليل سعياً إليه(١) . ولا يتمّ لها ذلك ما لم تنظر أوّلاً إلى أبنية النص المنتظمة ، والوحدات التركيبية ، وما يربط بينها ؛ أي العلاقات التي تربط بين أجزاء النصّ حاملة قيماً دلالية يتأسّس على ضوئها فهم من قبل المتلقّي .

ولا يقوم بهذه المهمّة إلاّ الاتّساق الذي يُعدّ معياراً أساساً في خلق الكفاءة النصية وإيجادها ، فهو وسيلة كبرى تنضوي تحتها مجموعة عناصر. والاتّساق قوام النص ، لأنّه مختصّ ((بالوسائل التي تتحقّق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص))(٢) ، وهو السمة التفاعلية المميزة للنص بوصفه مظهراً لذلك التفاعل النصي(٣) .

ويحمل الاتّساق من جانب اللغة مفاهيم : الضمّ ، نحو : ضمّ الشيء إلى شيء ، والجمع ، نحو استوسقت الإبل اجتمعت ، والاتّساق : الانتظام(٤) .

وهي مفاهيم تتساوق مع ما يحمله الاتّساق من مفهوم في منظور علم النص ، فالاتّساق هو : ((التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ/خطاب ما ، ويُهتمّ فيه أيضاً بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته))(٥) ، وعرّفه (روبرت دي بوجراند) بأنّه ما ((يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق ، بحيث يتحقّق لها الترابط الرصفي ، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط))(٦) .

(*) لم يكن ثمّة استقرار أو اتّفاق بين النصيّين على ترجمة هذا المصطلح ، إذ تعدّدت البدائل اللغوية عنه ، فأُطلق عليه (السبك ، والتماسك ، والاتّساق ، والربط ، والتضام ، والالتحام) .

(١) ينظر : اتّجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ، سعيد بحيري ، (مجلة علامات ، ج٣٨ ، م١٠) : ١٣٤ .

(٢) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ، د. سعد مصلوح : ٢٢٧ .

(٣) ينظر : من النص إلى النص المترابط ، د. سعيد يقطين ، (مجلة عالم الفكر ، مج٣٢ ، ع٢ ، ٢٠٠٣) : ٨٦ .

(٤) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، (وسق) : ٣٧٩/١٠-٣٨١ .

(٥) لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي : ٥ .

(٦) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

وبعيداً عن الغوص في كثرة التعريفات وتنوّعها ، فإنّها مع كثرتها تذهب إلى أنّ الاتّساق معيار من معايير النصّية ، يقوم على الجانب اللغوي لبنية النص ، وهو تكوينٌ من علاقات توجد بين الجمل والعناصر المباشرة لبنية النص[١] . ولكنّه مع هذا لا يخلو من أن يحمل مفهوماً دلالياً ، كونه ((يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص ، والتي تحدّده كنص))[٢] . فالتركيب النحوي الذي ينتج عن العلاقات داخل البنية النصية لا يمكن تقبّله وحده ما لم يحمل دلالةً ممكنة ، ذلك أنّ القيود التي تحدّد صفة القبول الدلالي لهذه الجمل أو تلك ، راجعة إلى الدلالة لا إلى التركيب النحوي وحده[٣] ، وأنّ دراسة العلاقات بين الجمل المتسلسلة ينبغي أن تبيّن أنّ الدلالة ترتبط أو تتعلّق بعناصرها المكوّنة لها .

وسائل الاتّساق النصيّ :

للاتّساق حضور لازم في كلّ نص ، ذلك أنّ كلّ جملة تمتلك عادةً بعض أشكاله التي تربطها مع ما يسبقها أو مع ما يلحقها ، وإذا خلا النصّ منها ، فإنّه يصبح جملاً متراصّة لا يربط بين أجزائه رابط ، ومن ثمّ يكون جسداً بلا روح[٤] .

ولعّل من أبرز من درس وسائل الاتّساق في اللغة الإنكليزية هما (هاليداي ورقية حسن) ، إذ صنّفا وسائل الاتساق إلى : الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والوصل (العطف) ، والاتساق المعجمي ، وأدرجا تحت هذه الوسائل الرئيسة تقسيمات فرعية أخرى[٥] .

وتنضوي الوسائل الأربعة الأولى تحت الاتّساق النحوي ، وهذا ما يجعل إمكانية تقسيم الاتّساق حسب رؤية الباحثينِ إلى (نحويّ ، ومعجميّ)[٦] . وقد جعلا للاتّساق درجات تتوقّف على عدد الوسائل المستعملة ، فكلّما ازدادت في النص ارتفعت درجة

---

(١) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ٣١ .
(٢) لسانيات النص : ١٥ .
(٣) ينظر : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبد القادر قنيني : ٧٥.
(٤) ينظر : علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق : ١/ ٩٣ .
(٥) ينظر : لسانيات النص : ١٦ وما بعدها .
(٦) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، د. جميل عبد المجيد : ٧٩ .

الاتساق فيه، ومن ثمّ تتحقّق النصية، وبالعكس[١]. على أنّ هذا التصنيف لم يكن ملتزماً وثابتاً عند دارسي النصّ ، بل أوجدوا تصنيفاتٍ مغايرةً ومتباينة ، فأضافوا وسائل أخرى ، وأدخلوا بعضها في بعض ، وجمعوا بين ما هو نحوي ومعجمي ودلالي[٢] . ومهما يكن من أمرٍ فإنّ وسائل الاتّساق النصّي رغم تباينها واختلافها فإنّها تصدر عن طبيعتين (شكلية، ودلالية)، إذ تهتم بالعلاقات الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، وبالعلاقات الدلالية بين أجزاء النص من ناحية والبيئة المحيطة من ناحية أخرى ، وأنّ الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق الاتّساق الكلي للنص[٣] . وهذه الوسائل هي :

المبحث الأول : **الإحالة** (Reference) :

تعدُّ الإحالة من العلاقات التي تُسهم في تحقيق اتّساق النصّ ، وهي وسيلة من الوسائل التي تترابط بها أجزاء النص؛ إذ تعمل على ربط أجزاء الجملة الواحدة من جهة ، وربط مجموعة من الجمل بعضها ببعض من جهة أخرى ، إذ يؤدي هذا الربط إلى إنتاج نصٍّ متّسق ؛ لذا عُدّت الإحالة من أهم البدائل التي تعمل على إيجاد (الكفاءة النصية)، التي هي ((صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقلّ قدرٍ من الوسائل))[٤].

وقد ورد مصطلح الإحالة عند علماء النص تحت مجموعة من المصطلحات ، منها مصطلح الإحالة عند (هاليداي وحسن)[٥]، وقدّمها (دي بوجراند ودريسلر) تحت مصطلح الصيغ الكنائية، وهو مصطلح عام يندرج تحته إضمار الاسم والفعل[٦] ، في حين اصطلح عليها (براون ويول) الإحالة المتبادلة (Co - Reference)[٧].

---

(١) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٢٣ .

(٢) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤٣ ، والنص والخطاب والإجراء : ١٠٣ ، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً) ، نادية رمضان النجار ، (مجلة علوم اللغة ، مج٩ ، ع٢ ، ٢٠٠٦) : ٣٠٧-٣٠٨ .

(٣) ينظر : علم اللغة النصي : ٩٦/١ ، ٩٨ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ٢٩٩ .

(٥) ينظر : لسانيات النص : ١٦ .

(٦) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، عزّة شبل : ١١٩ .

(٧) ينظر : تحليل الخطاب : ٢٣٠ .

ويرى (محمد الشاوش) أنّ مفهوم الإحالة يثير مشكلاً اصطلاحياً ؛ فهي تعني تارة العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة إلى الشيء الموجود في العالم الخارجي ، وتعني تارة أخرى إحالة اللفظة إلى لفظة أخرى في النص[١] . وبسببٍ من هذا لم يكن ثمّة اتفاق على تعريف نهائيّ لها ، فقد عرّفها (دي بوجراند) بأنّها ((العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))[٢] ، وهي عند (لاينز) : ((العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات ... فالأسماء تحيل إلى المسميات))[٣] . وفي الحقيقة أنّ هذين التعريفين لم يعتدّا بمستعمل اللغة، ولم يحدّدا طبيعة العنصر الإحالي ، لذا نجد قول (ستروسن) الآتي يحمل مفهوماً يمثّل دعماً للإحالة ، فهو يرى ((أنّ الإحالة ليست شيئاً يقوم به تعبيرٌ ما ، ولكنّها شيءٌ يمكن أن يحيل إليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً))[٤] .

فالمتكلّم أو الكاتب هو من يحمّل التعبير دلالة تكشف عن وظيفة إحالية ، وعلى المحلّل أن يفهم تلك الإحالة حسب النصّ الذي ترد فيه والمقام[٥] . ولعلّ ما ذكره (كلماير) حول الإحالة يعطي تصوّراً أكثر وضوحاً ؛ إذ ذهب إلى أنّ الإحالة : ((هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) ، وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة) ، وتقوم المكوّنات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة ، أو المفسّر أو العائد إليه))[٦] .

وثمة محاولات قام بها بعض الباحثين العرب في مجال النصّ حاولوا من خلالها تقديم تعريف ينسجم مع موضوع الإحالة ، فيرى أحمد عفيفي أنّ ((الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف ، تدلّ عليها عبارات أخرى في السياق ... وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلّم حيث تشير

---

(١) ينظر : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية : ١٢٥/١ .
(٢) النص والخطاب والإجراء : ١٧٢ .
(٣) تحليل الخطاب : ٣٦ .
(٤) المرجع نفسه : ٣٦ .
(٥) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١١٧ .
(٦) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : ٩٨ .

إلى أشياء سابقة أو لاحقة ، قصدت عن طريق ألفاظ أخرى ، أو عبارات ، أو مواقف لغوية أو غير لغوية))[١] . وعرّفها الدكتور (حسام أحمد فرج) بأنّها ((وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها ، وتُسمّى تلك العناصر عناصر محيلة))[٢] .

والفهم الأخير للإحالة يشير إلى ما ذكره (هاليداي وحسن) من ((أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها))[٣] . وتعليل ذلك أنّ بعض الألفاظ التي تندرج ضمن العناصر الإحالية لا تمتلك دلالة مستقلة في ذاتها، بل تعود على عناصر أخرى في النص، ويشترط فيها أن تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره وبين ما هو مذكور[٤]

وبخلاف ذلك يبقى عنصر الإحالة من دون قيمة أو فاعلية في بلوغ المعنى المراد الوصول إليه ، فالفهم الموصِل إلى تأويل الكلام يقوم على عناصر لغوية من شأنها ردم الفجوات ، وتقصير المسافات المتباعدة على مستوى سطح النص ، وبذلك تكفل لنا تحقّق القصد المراد ، وهو التطابق بين العناصر المحيلة وما تتفسّر بها ، كي لا يتأثّر غياب أحدهما بالآخر ، ومن ثمّ تحقّق الترابط الدلالي ، فهو الهدف والغاية .

أنـواع الإحالة :

قدّم (هاليداي وحسن) عرضاً مفصلاً لأنواع الإحالة[٥] ، فصار أكثر الأطروحات شمولاً إلى حدّ أنّه أصبح مرجعاً في هذا المجال[٦] ، وقد قسّما الإحالة على[٧] :

١. إحالة إلى ما هو داخل النص ، وتُسمّى إحالة (داخلية) نصية .
٢. إحالة إلى ما هو خارج النص ، وتُسمّى خارجية أو مقامية .

---

(١) الإحالة في نحو النص : ١٢-١٣ .
(٢) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : ٨٣ .
(٣) لسانيات النص : ١٦-١٧ .
(٤) ينظر : نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً : ١١٨ .
(٥) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، عزّة شبل : ١٢٢ .
(٦) ينظر : تحليل الخطاب : ٢٢٨ .
(٧) ينظر : لسانيات النص : ١٧ .

ويختصّ النوع الأوّل بالإحالة على ((العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ ، سابقة كانت أو لاحقة ، فهي إحالة نصية))[١] . وتقسم هذه الإحالة على قسمين[٢] : الأول : إحالة على سابق أو متقدّم ، وتُسمّى قبلية ، وهي تعود على عنصر لغوي سُبق التلفّظ به. ويندرج ضمن هذا النوع نوع آخر من الإحالة يُسمّى الإحالة التكرارية، ويتمثّل في تكرار لفظ ما بداية كلّ جملة من النص قصد التأكيد[٣] .

الثاني : إحالة على لاحق أو متأخّر، وتُسمى بعدية ، وتعود على عنصر إشاري مذكور بعدها ، أي إحالة عنصر لغوي على عنصر لغوي آخر تالٍ له في النص ، من ذلك ضمير الشأن أو القصة في اللغة العربية[٤] .

وتُعدّ الإحالة القبلية الأكثر وروداً واستعمالاً ، ذلك أنّ العنصر الذي تصدق عليه الإحالة إنّما يأتي سابقاً للّفظ الكنائيّ الذي يمثّله، ((فتأخّر الألفاظ الكنائية عن مراجعها ، وورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكثر احتمالاً من ورودها متقدّمة عليها. فرجوع اللفظ الكنائيّ إلى متقدّم يهيئ مركز ضبط أن تضاف إليه المادة المتعلّقة باللفظ الكنائي))[٥] .

أمّا الإحالة البعدية فهي مثيرة لذهن المتلقّي ، لوجود لفظ كنائي لم يسبق بمرجع أو عنصر لغوي يعود عليه[٦] ، وهذا يُعدّ أكثر صعوبة لأنّه سيتحتّم للّفظ الكنائي أن يبقى من دون تحديد إلى أن تأتي العبارة المشاركة له في الإحالة ، أي ستظلّ الحالة النحوية في تحليل ضبابي ، حتى يُعثر لها في النهاية على مرجع[٧] .

أمّا النوع الآخر، الإحالة الخارجية، فتعني ((إحالة عنصر لغوي إحالي إلى عنصر إشاري غير لغوي ، موجود في المقام الخارجي ، كأن يحيل ضمير المتكلّم على ذات

---

(١) نسيج النص : ١١٨ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ١١٨ ، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٢٣ ، وعلم اللغة النصي : ٧٠/١ .
(٣) ينظر : دراسات لغوية تطبيقية : ١٠٤ .
(٤) ينظر : اجتهادات لغوية ، د. تمام حسّان : ٢٢٩ .
(٥) النص والخطاب والإجراء : ٣٢٧ .
(٦) ينظر : الإحالة في نحو النص : ٤٢ .
(٧) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٢٧ .

صاحبه ... ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مجملاً ، إذ يمثّل كائناً أو مرجعاً مستقلاً ، يمكن أن يحيل عليه المتكلم))[١] . ويحتاج هذا النوع من الإحالة إلى جهد أكبر للكشف عنها ، وتأويل العنصر الذي يحكمها ، الذي يقع خارج النص، ويستعان في تفسيره بالسياق أو المقام الخارجي والإشارات الدالة عليه، ومعرفة ظروف إنتاج النص للوقوف على قصده[٢] . ولا يرى (هاليداي وحسن) في هذا النوع من الإحالة أثراً في الاتّساق، فهي ((تُسهم في خلق النصّ ، لكونها تربط اللغة بسياق المقام ، إلاّ أنّها لا تسهم في اتّساقه بشكل مباشر))[٣] .

ويرى الشاوش أنّ هذا لا يستقيم مع عدّهما الاتّساق مفهوماً دلالياً أساسه العلاقات المعنوية الموجودة داخل النصّ[٤]. وما ذهب إليه الباحثان لا يجانب الصواب؛ فالإحالة المقامية لا تمتلك عناصر لغوية كالتي تتطلّبها الإحالة النصية ، من حيث وجود عنصرين لغويين محيل ومحال عليه يمكن من خلالهما أن تُسهم في اتّساق النصّ شكلياً. فهي تسهم في خلق النص بتوسيع دلالته ، وإفساح المجال لتعدّد القراءات فيه ، فتضفي بذلك وضوحاً دلالياً ، قد لا تتمكن منه التراكيب اللغوية فيما لو قصد منتجُ النصّ إلى الغموض .

أثر الإحالة وأهمّيتها في الاتساق :

تكمن أهمية الإحالة في أنّها تقدّم نوعين من الربط ، ربط دلالي يوافق الربط التركيبي وربط إحالي يمدّ جسور الاتّصال بين العناصر والأجزاء المتباعدة في فضاء النصّ ، فتجعلها متناغمة مع بعضها[٥] ، يقول الزنّاد : ((يكتمل الملفوظ نصّاً عندما تترابط أجزاؤه بالروابط الإحالية ، وهذه الروابط تختلف من حيث مداها ومجالها ؛ فبعضها يقف في حدود الجملة الواحدة ، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي ؛ ولكن الواحد

---

(١) نسيج النص : ١١٩ ، وينظر : علم اللغة النصي : ٤١/١ .
(٢) ينظر : دراسات لغوية تطبيقية : ١٠٥ ، وتحليل النص دراسة الروابط النصية ، محمود عكاشة : ٢٢٠ .
(٣) لسانيات النص : ١٧ .
(٤) ينظر : أصول تحليل الخطاب : ١٢٤/١ .
(٥) ينظر : دراسات لغوية تطبيقية : ٩٨ .

منها متّصل بما يناسبه أشدّ الاتّصال من حيث الدلالة والمعنى. فالإحالة عامل يحكم النص كاملاً في توازٍ مع العامل التركيبي والعامل الزمني))[١]. فضلاً عن أنّ الإحالة تحقّق استرجاعاً مقبولاً للمعنى مع إضفاء صفة الاختصار والإيجاز ممّا يحقّق نوعاً من الاقتصاد اللغوي على مستوى النص. وبذلك تسمح لمستعمل اللغة بحفظ المحتوى مستمراً في المخزون الفعّال من دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى، وتجنّبه إعادة العناصر المحال عليها ، ومن ثمّ تحقّق الاستمرارية في الأداء من دون إرباك للبنية السطحية[٢] .

وسائل الاتساق الإحالية : قُسّمت وسائل الإحالة على شخصية ، وإشارية ، ومقارنة[٣] ، وقد أضاف الدكتور تمّام حسّان نوعاً آخر هو الموصولات[٤] .

أولاً : الإحالة بالضمائر :

تُعدّ الضمائر من وسائل الإحالة إلى عناصر لغوية موجودة داخل النص ، أو خارجه ، وهي من شأنها العمل على تقليل تكرار العناصر ، ممّا يحقّق مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي تسعى إليه اللغات الطبيعية . وفي هذا الشأن يقول السيرافيّ (٣٦٨هـ) : ((اعلم أنّ الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرار ذكره في جملة واحدة كان الاختيار أن يذكر ضميره ، لأنّ ذلك أخفّ ، وأنفى للشبهة واللبس))[٥] . والضمائر هي الأصل في الإحالة والربط بين العناصر اللغوية ، وهذا ما أكّد عليه ابن هشام (ت٧٦١هـ) حين عدّ الضمير أصلاً للربط مذكوراً كان أو محذوفاً ، فهو بذلك أدرك ما للضمير من أهمية في المرجعية[٦] .

ولم ينتج فهم آخر عند المحدثين حول ما للضمير من أهمية عمّا قرّ من فهم عند القدماء، إذ يرى كل من (براون ويول) أنّ ((الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة ... ولا غنى لأية نظرية في الإحالة عن

---

(١) نسيج النص : ١٢٤ .
(٢) ينظر : نظرية علم النص : ٨٥ ، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٢٠ .
(٣) ينظر : لسانيات النص : ١٨ ، وعلم اللغة النصي : ١/ ١١٦ .
(٤) ينظر : البيان في روائع القرآن : ٣٢/١ ، والخلاصة النحوية : ٨٩ وما بعدها .
(٥) شرح كتاب سيبويه : ٣٣٤/١ .
(٦) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٥٥١/٢ ، وعلم اللغة النصّي : ١٤٣/١ .

تفسيرها))[١] ، وهي من أشهر أنواع الكنائيات عند (دي بوجراند)[٢] ، بل أجدُ من المحدثين من ذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ عدّ الضمائر من أهم الشرائط التركيبية لتناسق النصوص ، وأنّها تضمن وحدة سياق النص ، وهي الوسيلة الحاسمة في بناء النص الذي يعدّ وحدات لغوية متتابعة بسلاسل الضمائر المتّصلة[٣] ، ويقول الدكتور تمّام حسّان : ((يكاد الترخّص في الإحالة يكون مقصوراً على الربط بالضمير، لأنه أكثر وسائل الإحالة دوراناً))[٤] . والضمائر بذلك تقوم بأكثر أنواع الإحالة أهمية ، ((وتكتسب أهميتها بصفتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية ، فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل ، ... ويربط أجزاء النص المختلفة شكلاً ودلالة ، داخلياً وخارجياً))[٥] .

ومحتوى الضمائر (الكنائيات) خالٍ لا ترتبط بمفهوم ما بذاتها[٦] ، فالضمائر كلّها لا لا تخلو من إبهام وغموض ، فلا بدّ لها من شيء يزيل إبهامها ، فالمتكلّم والمخاطب يفسّرهما وجود صاحبهما وقت الكلام ، وأمّا الغائب فلا بدّ له من شيء يفسّره ويوضّح المراد منه ؛ لأنّه غير حاضر ولا مُشاهَد . وشرط الإضمار ((أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد، بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه))[٧] .

وهذا أمرٌ قد فطن إليه القدماء من قبل ، فقد عدّ سيبويه (ت١٨٠هـ) الضمائر من الأسماء المبهمة[٨] ، ومن ثمّ لا تصير معرفة إلاّ إذا علمت أنّ من يُحدَّث قد عرف من

---

(١) تحليل الخطاب : ٢٥٦ .
(٢) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٢١ .
(٣) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ٢٧ .
(٤) البيان في روائع القرآن : ٢٢٩/١ .
(٥) علم اللغة النصّي : ١٣٧/١ .
(٦) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٢٠ .
(٧) البيان في روائع القرآن : ١١٩/١ ، وينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٠ .
(٨) ينظر : الكتاب : ٧٨/٢-٧٩ .

تعني ، وأنّك تريد شيئاً يعلمه[١] ، وإنّما صار الضمير معرفة لأنّه لا يضمر إلاّ بعد أن يعرفه السامع ، ويدري إلى من يرجع[٢] .

والضمائر بلحاظ دلالتها تشير إلى الحضور كـ(ضمائر التكلّم، والخطاب)، أو إلى الغياب كـ(ضمائر الغياب) ، وتحيل الأولى على خارج النص لمعاينة الذات التي يشير إليها الضمير ، فيتحقّق بذلك ربط النص بالعالم الخارجي ، أمّا الثانية فتحيل داخلياً على مستوى النص[٣] .

وهذا التفريع للضمائر لا يختلف عن التصنيف الذي عمد إليه (هاليداي وحسن) ؛ إذ صنّفا الضمائر وميّزا بينهما بالنظر إلى زاوية الاتساق ، يقول (خطّابي) : ((إذا نُظر إلى الضمائر من زاوية الاتّساق ، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام (Speech roles) التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلّم والمخاطب ، وهي إحالة لخارج النص ... أمّا الضمائر التي تؤدّي دوراً هاماً في اتّساق النص فهي تلك التي يسميها المؤلّفان أدواراً أخرى (Other roles) ، وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً))[٤] .

وبعد ، فقد كان ما سبق عرضاً مجملاً لمفهوم الضمائر وأهميتها وتفريعاتها من منظور علم النصّ ، وما يأتي بعد ذلك بياناً لاتجاه الضمائر في الإحالة بعدّها وسيلة اتّساقية ، وذلك من خلال تحليل نصوص القرآن الكريم الواقعة ضمن آيات الرد .

قال تعالى : ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ
ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ
ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ
ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [البقرة : ٦٧–٧١].

(١) ينظر : كتاب سيبويه : ٦/٢ .
(٢) ينظر : المقتضب ، للمبرّد : ٢٨٠/٤ .
(٣) ينظر : تحليل النص دراسة الروابط النصية : ٢٢٣ .
(٤) لسانيات النص : ١٨ .

ورد في هذه الآيات عنصران رئيسان هما (موسى ، وقومه) ، وقد مثّلا قطبي التواصل في الحوار ، وبهما تتحدّد مرجعية الضمائر ، وقد دلّت عليهما سياقات مدرجة للحوار من نحو (قال ، قالوا)[١] ، وكان عدد ورودهما خمس مرّات ، يُضاف إلى ذلك عناصر لغوية أخرى تدلّ عليهما ، مع وجود غرض للحوار يتمثّل بـ(ذبح البقرة) ، وهو الغرض الرئيس ، والعناصر المحال عليها في هذه الآيات جاءت على النحو الآتي : (موسى ، وقومه ، ولفظ الجلالة ، والبقرة) . وقد تردّدت الضمائر التي تحيل على موسى (عليه السلام)، الذي يمثّل العنصر (**المحال عليه**) الأول في هذه الآيات بين ضمائر الخطاب ، والغيبة ، والتكلّم ، وهي على الآتي :

. الخطاب : (أنت)؛ إذ ورد في أربعة عناصر لغوية هي : أتتخذنا ، وادع (ثلاث مرات) ، وضمير الرفع المتّصل (التاء) في جئت .

. الغيبة : وقد ورد الضمير الغائب (هو) أربع مرات في : (قال) .

. التكلّم : ورد الضمير (أنا) مرتين في : أعوذ ، أكون .

أمّا (**المحال عليه**) الثاني (قومه) ، فقد أُحيل عليه بمجموعة من الضمائر منها ضمير الرفع المتّصل بالأفعال والأسماء ، وهو (الواو) في [قالوا (خمس مرات) – فافعلوا – تؤمرون – مهتدون – فذبحوها – كادوا – يفعلون]. ومنها ضمير التكلّم (نا)، الذي جاء متّصلاً بالأفعال والحروف ، [أتتخذنا – لنا (خمس مرات) – علينا – إنّا].

أمّا لفظ الجلالة (الله) الذي ورد في بداية الآيات ، فقد أحيل عليه بضمائر الغيبة في مجموعة عناصر لغوية منها [يبيّن (ثلاث مرات) – إنّه (ثلاث مرات) – يقول (ثلاث مرات)] .

ويمثّل العنصر الرابع (البقرة) الذي كان طريقاً لاختبار بني إسرائيل، عنصر إحالة ؛ إذ أُحيل عليه بضمائر الغيبة في العناصر الآتية : [هي (مرتين) ، وفي (تسرُّ ، تثير ، تسقي) – و(ها) في (إنّها ، لونها ، فيها ، فذبحوها)] ، زيادة على ذلك الإحالة عليها بإعادة لفظها .

---

(١) ينظر : الاتساق والانسجام في القرآن ، للباحث مفتاح بن عروس ، (أطروحة دكتوراه) : ٢٠٤ .

الذي يلاحظ هنا جملة أمور ، منها أنّ كلّ ما ورد من إحالة بالضمير إنّما هي إحالة نصية (قبلية) ؛ كونها تعود على عنصرٍ لغويٍّ مذكور في النص ومتقدّم عليها ، مع ملاحظة أنّ ضميري المتكلّم والمخاطب (أنا وأنت) لم يحيلا على خارج النص كما هو معروف[١]، وإنّما جاءت إحالتهما نصيةً اتّساقية أيضاً ؛ لوجود ما يفسّرهما مذكوراً داخل النص ومتقدّماً عليهما. وأنّ الضمائر الإحالية التي تحيل على مرجع واحد جاءت متداخلة من دون أن تُحدثَ خلطاً ، وأنّ التطابق أو الاتّفاق بين الضمائر وما تحيل عليه حاصلٌ أيضاً من جانب العدد إفراداً وجمعاً، ومن جانب التذكير والتأنيث، وليس ذلك فحسب، بل جاء التطابق في الأغلب بين الضمائر وما تحيل عليه من ناحية الوظيفة[٢]، فالضمائر التي أحالت على موسى (عليه السلام) الذي يشغل وظيفة فاعل في قوله تعالى : ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ، جاءت جميعها فاعلين أيضاً ، وأنّ الضمائر المحيلة على البقرة وما تعلّقت به جاءت جميعها في محلّ نصب مفعول ، فطابقت بذلك وظيفياً العنصر المحال عليه (البقرة) ، الذي يشغل من الناحية التركيبية وظيفة مفعول به ، وهذا ما يحقّق علاقة تكافؤ تحمل سمات دلالية[٣] .

وأنّ الإحالة بالضمائر على القوم كانت أكثر الإحالات عدداً ، وهذا الأمر له جانب دلاليّ يتوافق مع كثرة عناد القوم ومماطلتهم واستثقالهم في الذبح ، ولتطويلهم المفرط[٤] ؛ لذلك جاءت جملة (وما كادوا يفعلون) محتملة للحال ، أي ذبحوها في حالٍ تقرب من حال مَن لا يفعل ، أي ذبحوها مكرهين ، أو كالمكرهين لما أظهروا من المماطلة في الذبح[٥] .

---

(١) وهذا ما أكّد عليه (هاليداي ورقية حسن) في حالة كون الخطاب سردياً ، وفي الكلام المستشهد به ، أو في خطابات مكتوبة ، ينظر : لسانيات النص : ١٨ .

(٢) يرى اللغويون أنّ الضمير يعود على المرجع الذي في مجاله ، وعلاج ذلك تحديد وظيفة الضمير ، فإذا كان الضمير فاعلاً فإنّ مجاله أن يعود على عائد يشغل وظيفة الفاعل ، وكذا إن كان مفعولاً ، ينظر : الدلالة والنحو ، د. صلاح الدين حسنين : ٢٥٢ .

(٣) ينظر : سمات دلالية وبنية النص ، ديتر فيهفجر ، ضمن كتاب (إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة) ، د. سعيد حسن بحيري : ٢٨٩ .

(٤) ينظر : الكشّاف ، للزمخشريّ : ٢٨٣/١ .

(٥) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٥٥٧/١ .

وهكذا نجدُّ أنّ الضمائر على اختلاف ورودها (ظاهرة ومستترة) ، أسهمت في إحداث اتّساق بين الآيات لفظاً من خلال اتّفاق الضمائر مع ما تحيل عليه ، ودلالةً بما أظهرته من انسجام معنوي ، فأحكمت بذلك العلاقات بين الآيات ، ومن ثمّ ضمنت وحدة النص .

ومن الآيات التي جاءت حافلة بالضمائر الإحالية ، الآيات التي نقلت لنا الحوار الذي دار بين موسى وفتاه بما اشتمل عليه من ردود ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □
□ □ □ ٱ ب ب ٻ پ پ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ
ٹ ڤ ڤ ڦ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ
ڇ ڇ ڍ ڌ ڎ ڌ ڈ ژ ڑ ﴾ [الكهف : ٦٠-٦٥] . وبين موسى والخضر ، في قوله تعالى : ﴿ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ
ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ
ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ٻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ پ پ ٻ
ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ
ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ
ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ
ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ
ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ٻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ ﴾ [الكهف : ٦٦-٨٢] .

وفي هذه الآيات مجموعة عناصر الشخصية العاملة، تمثّلت في ثلاثة عناصر هي: موسى ، وفتاه ، والرجل الصالح[1] ، وقد أُحيل عليهم بمجموعة من الضمائر .

موسى (المحال عليه) ، وضمائره الإحالية بحسب الكثرة هي :

. الخطاب : الضمير (أنت) في : أرأيت ، تستطيع (مرتين) ، تصبر ، تحط ، تسألني ، تستطع ، تسطع. و(الكاف) في : إنّك (ثلاث مرات)، لك (مرتين) ، وبينك ، سأنبئك . و(التاء) في : اتبعتني .

(١) ينظر : علم اللغة النصّي : ٢٠٥/١ .

. التكلّم : (الياء) في : تعلمني ، ستجدني ، لا تؤاخذني ، ترهقني ، أمري ، تصاحبني ، لدني . و(أنا) في : أتبعك ، أعصي ، و(التاء) في : نسيتُ ، سألتُك .

. ضمائر الغيبة : الضمير (هو) في : قال (سبع مرات) .

العبد الصالح (المحال عليه) ، وقد دلّت عليه مجموعة عناصر لغوية ، أحالت عليه بما احتوته من ضمائر بارزة ومستترة ، وقد تنوّعت الضمائر على الآتي :

. الخطاب : (التاء) في: عُلّمت ، خرقتها ، جئت (مرتين) ، قتلت ، بلغت ، شئت ، لاتّخذت . و(أنت) في : تعلّمني ، ستجدني ، لتغرق ، تؤاخذني ، ترهقني ، تصاحبني . و(الكاف) في : أتّبعك ، لك ، سألتك .

. التكلّم : (الياء) في : معي (ثلاث مرات) ، اتّبعتني ، تسألني ، بيني ، أمري . و(أنا) في : أُحدث ، أقل (مرتين) ، سأنبئك ، أعيبها . و(التاء) في : فأردت ، فعلته .

. الغيبة : (هو) في : قال (خمس مرات) ، خرقها ، فقتله ، فأقامه . و(الهاء) في : آتيناه ، علّمناه ، له .

أمّا العنصر الإحالي الثالث فهو **الفتى** ، وقد أحيل عليه بالآتي : آتنا (أنت) ، قال (هو) ، إنّي (ي) ، نسيت (ت) ، أنسانيه (ي) ، أذكره (أنا) . وتوجد أيضاً ضمائر مشتركة تحيل على موسى (عليه السلام) وفتاه ، وجاءت كلّها بصيغة المثنى ، وهي: آتنا ، غداءنا ، لقينا ، سفرنا ، أوينا ، كنا ، فارتدّا ، آثارهما ، فوجدا . وكذلك الضمائر التي تحيل على موسى والعبد الصالح معاً، مثل : فانطلقا (ثلاث مرات)، ركبا ، لقيا ، أتيا ، استطعما ، يضيّفوهما ، فوجدا .

والإحالات التي وردت تندرج جميعها ضمن الإحالة النصية (القبلية) ، التي تعود على عنصر لغوي متقدّم عليها ، وأنّ التطابق الدلالي الذي يشترطه علماء النص بين المحيل والمُحال عليه متوافر في هذه الضمائر، وبذلك تُسهم الضمائر في إكساب النصّ اتّساقاً لفظياً ، لكونها تُحيل على مرجعٍ أو مذكور سابق يُعدُّ هو الفكرة الرئيسة في الخطاب أو النص ، فتجعل بذلك الذهن متواصلاً كلّما ورد عنصر يحيل عليه.

وقد انتظم في هذه الآيات حواران ، بدأ الأوّل بين موسى (عليه السلام) والفتى من الآية (٦٢ إلى الآية ٦٤) ، بعدها انتقل الحوار بين موسى والخضر من الآية (٦٦ إلى الآية ٧٨) ، ولأهمية الحوار بينهما أخذ مساحة أكبر من الحوار الأوّل ، فالنواة الرئيسة للنص إذن ، تتمثّل في قطبي الحوار (موسى ، والخضر) ، لذا كان ورود العناصر المحيلة عليهما أكثر حضوراً ؛ لأنّ الغاية التي انعقد من أجلها الحوار قد تمّت بهما .

وأنّ الضمائر التي تحيل على الخضر كانت أكثر عدداً ؛ لأنّه صاحب القيام بالحدث ومحور من محاور الدلالة، وهذا يدلّ على ازدياد أهمية هذا العنصر في القصة، وهذا له أثر دلالي يتناسب مع الموضوع الذي دارت حوله القصة ، وهو قيمة العلم ، فقد ساقت لنا القصة نموذجاً فريداً لما ينبغي أن يتحلّى به طالب العلم، من سؤال واتّباع وتحلٍّ بالصبر[١] .

وأنّ مقاطع الحوار التي دارت هنا بيّنت أنّ هذا العبد الذي أوتي علماً من لدن الله (عز وجل) ، كان أكثر علماً من موسى[٢] ، ولعلّ ما يؤيّد هذا أنّ موسى هو من ابتدأ بسؤاله وطلب اتّباعه للتعلّم ، ((ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ)) ، فطابقت القصة بذلك الموضوع الذي سيقت له ، وهذا ما يُسهم في اتّساقها دلالياً . فالضمائر لم تتوزّع بعشوائية ، بل جاءت بحسب الدلالة التي يراد توضيحها في النص ، لذلك تجد العناصر الإحالية الثانوية أو الهامشية يُحال إليها بقلّة[٣] ، ومثال ذلك الضمائر التي تحيل على الفتى .

فالانتشار الواسع للإحالة بالضمائر ، وتنوّعها من متكلّم إلى مخاطب إلى غائب ، وتحرّكها على سطح النص بين الآيات جميعاً ، أحدثت اتّساقاً على مستوى النص ، ودلالة على مستوى المفهوم ، لربطها الموضوع بالأحداث ، فحقّقت بذلك الاستمرارية بين الآيات من أوّلها إلى آخرها ، وجعلت منها بنية نصّ موحّدة .

---

(١) ينظر : مباحث في التفسير الموضوعي ، د. مصطفى مسلم : ٢٥٤ ، وأسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د. عبد الحليم حفني : ١٥٧-١٥٩ .

(٢) ورد في الكشّاف : ٥٩٨/٣ : ((لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبيّ مثله ؛ وإنّما يُغض منه أن يأخذه ممن دونه)) .

(٣) ينظر : علم اللغة النصّي : ٢٠٦/١ .

ومن الإحالة بالضمائر ما جاء في الحوار الذي دار بين الله (ﷻ) ، وإبليس ، إذ قال تعالى : ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ﴾ [الأعراف : ١١-١٨] .

وقد انتظم في هذا الحوار مجموعة من العناصر الإحالية بالضمائر ، أحالت كلّها على عناصر لغوية مثّلت قطبي التواصل في الخطاب ، وهما (الذات الإلهية المقدّسة) ، وإبليس ، وموضوع الخطاب بينهما هو السجود لآدم (عليه السلام) .

والمحال عليه الأول الله (ﷻ)، وقد أُحيل عليه بضمائر الخطاب والغيبة والتكلّم، وهي على الآتي :

. الخطاب : (التاء) في : خلقتني ، وخلقته ، وأغويتني . و(أنت) في : أنظرني ولا تجد . و(الكاف) في : صراطك .

. الغيبة : الضمير (هو) في : قال (أربع مرات) .

. التكلّم : (التاء) في : أمرتُك . و(أنا) في : لأملأنّ .

والمحال عليه الثاني إبليس ، الذي أُحيل عليه بضمائر تنوّعت بين الخطاب والتكلّم والغياب ، وهي على الآتي :

. الخطاب : الضمير (أنت) في : تسجد ، فاهبط ، تتكبّر ، فاخرج ، اخرج . و(الكاف) في : منعك ، أمرتك ، لك ، إنّك (مرتين) ، تبعك ، منكم .

. التكلّم : أنا بارزة ، ومستترة في : لأقعدنَّ ، ولآتينّهُم . و(الياء) في : خلقتني ، أنظرني ، أغويتني .

. الغيبة : الضمير (هو) في : قال (ثلاث مرات) .

الذي يلاحظ أنّ كلّ الإحالات جاءت داخلية نصّية (قبلية) ، تحيل على مرجع متقدّم عليها ، مع لحاظ أنّ العنصر المحال عليه الأول لم يُذكر صراحة ، إلاّ أنّ السياق

النصّي قد دلّ عليه بدليل ما ذُكر من قرائن نظيرة له[١] ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ... ﴾ [البقرة:٣٠] ، وقولِه تعالى: ﴿ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ... ﴾ [البقرة:٣٤] . هذا فيما لو نظرنا إلى النص القرآني كلّه نصاً واحداً ، أمّا إذا نظرنا إلى خطاب الردّ بمعزل عن النص القرآني

فستكون مجمل الضمائر التي تحيل على الذات الإلهية هي ذات إحالة خارجية .

وقد وردت إحالاتٌ على عناصرَ لغويةٍ لم تكن مركزية ، بل كانت ثانوية ؛ إذ كان ورودها يمثّل حضوراً أقل من أقطاب الحوار الرئيسة ، وهي: (منهِ ، خلقتهِ)، وتحيل على (آدم) ، الذي مثّل مرجعاً نصيّاً متقدّماً عليها ، و(منها ، وفيها ، ومنها) ، وإحالة هذه الضمائر خارجية وليست نصية ؛ إذ لم يتقدّم عليها ما يفسِّرها ، ولم تكن لها مرجعية محدّدة ، إذ يُحتمل عودها على السماء التي هي مكان المطيعين من الملائكة أو على الجنة جنة الخلد أو عدن ، أو على الأرض ، ومهما يكن فالعائد عليه معلوم بين المتكلّم والمخاطَب[٢]. وكذلك الضمائر في (يبعثون ، لهم ، لآتينّهم ، أيديهم ، خلفهم ، أيمانهم ، شمائلهم) عائدة إلى ما يدلّ عليه المعنى ، وليس لها في اللفظ ما تعود عليه[٣] ، أو عائدة إلى الإنس الذين دلّ عليهم مقام المحاورة[٤] .

ويلحظ أنّ الإحالة بالضمائر على إبليس كانت أكثر وروداً ، وتعليل ذلك أنّ إبليس قد أكثر من الجدل والتمرّد والعناد ، فناسب هذه الكثرة كثرة الضمائر ، فضلاً عن أنّ الضمائر لم تجئ منثورة ، بل جاء استعمالها مطابقاً لموقف إبليس، وهذا يحمل دلالة عميقة ، ففي ابتداء المحاورة (ٻ ٻ ٻ پ پ)، كان ردُّ إبليس : (ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ) ، فاستعمل ضمير التكلّم (أنا) لبيان أفضليته على آدم (عليه السلام) ، ثم أتبعه ببيان خلقه مقدّماً على خلق آدم ، ذاكراً لوازمَ هذا التفضيل، وهما (النار والطين).

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٩/٨ .
(٢) ينظر : الكشّاف : ٢٤٦/٢ ، والتحرير والتنوير : ٤٣/٨-٤٤ .
(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط ، أبو حيّان الأندلسي : ٢٧٤/٤ .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٤٨/٨ .

ويلحظ أيضاً ورود ضمائر التكلّم والخطاب أكثر من الغيبة، وما ينتج عن هذا هو التقابل بين عنصري الخطاب في الحوار ، ومن ثمّ يدلّ هذا على أنّ هناك مقام تخاطبٍ ماضياً مُضمّناً في مقام خطابيّ حاضر موجّهٍ للمتلقّي ، وهو النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ولا شكّ أنّ لحركة الضمائر أثراً كبيراً في إحداث الربط بين الوحدات الجزئية بين الآيات من حيث مناسبتها للموضوع ، مما أسهم في بناء نصّ كلّي موحّد .

ومن الإحالة بالضمائر الشخصية ، ما ورد من ردود في قوله تعالى : ﴿ۇۆۈ ۈ ۋو ۋۅۅۉۉېې ې ېىىييی□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ □ ٱٻ ٻٻپپ پپپپيتنن ٺ ٺٺٿٿٹٹٹٹٹڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄ ڄڃڃ ڃچچچڇ ڇ ڇ ڍڍڌڌڎڎڎڈڈڈژژڑکککک گگ گگگگگگگڳڳڱڱںںڻڻۀۀہ﴾ [الأعراف : ٦٥–٧١].

ففي هذه الآيات عنصران رئيسان يمثّلان نواة النص ، هما : هود (عليه السلام) ، وعاد (قوم هود) ، ابتدأ هودٌ الحوار مع قومه ، وكان الردّ من قبل الذين كفروا منهم لا من جميعهم ، والغاية من الحوار هي الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وقد أُحيل عليهما بمجموعة ضمائر إحالية متّصلة بالأسماء والأفعال والحروف . **والمحال عليه الأول هود** (عليه السلام) ، وقد أحيل عليه بالآتي :

. التكلّم : (الياء) في : يا قومِي ، بي ، ولكنّني ، ربي ، أتجادلونني ، إنّي . و(أنا) بارزة ، ومستترة في : أبلّغكم .

. الخطاب : (الكاف) في لنراك ، لنظنّك . و(التاء) في : أجئتنا ، كنت . و(أنت) في : فأتنا ، تعدنا .

. الغيبة : (هو) في : قال (مرتين) . و(الهاء) في : قومه .

والمحال عليه الثاني (الذين كفروا من قومه) ، وقد أحيل عليهم بالآتي :

. الخطاب ، وهي : ضمير جماعة المخاطبين (كم) في : أبلّغكم ، لكم ، جاءكم ، ربكم ، منكم ، لينذركم ، جعلكم ، وزادكم ، لعلّكم ، عليكم ، وآباؤكم ، معكم .. و(التاء) في : عجبتم ، سميّتموها . و(أنتم) .

. التكلّم : (نا) في : إنّا ، أجئتنا ، آباؤنا ، فأتنا ، تعدنا . و(نحن) في : لنراك لنظنّك ، لنعبد ، ونذر .

وقد أُحيل عليهم أيضاً بضمير الرفع المتصل (الواو) ، وذلك في : واذكروا ، فاذكروا ، تُفلحون ، قالوا ، أتجادلونني ، فانتظروا .

فالعناصر الإحالية ذُكرت أولاً ، ثمّ أُحيل عليها بضمائر تنوّعت بين ضمائر التكلّم والحضور والغياب ، فتحقّقت بذلك المرجعية بينها وبين ما تُحيل عليه ، مما أغنى عن إعادة العناصر الإحالية مرّة أخرى حينما تستدعي الحاجة إلى ذلك ، فالضمائر تنوب مناب الاسم الظاهر وتقوم بعمله ، فضلاً عن ذلك التطابق الموجود بين العناصر الإحالية ، كون الإحالات متعدّدة والمرجع واحد ، مثل : (قال، يا قومي، ولكنّي، أُبلّغ، ربّي، وأنا)، وهذا ما يجعل للضمائر أثراً في تحقيق التماسك والاتّساق بين الآيات .

وأنّ الإحالة على الملأ الذين كفروا ، كانت هي الأكثر ، وما ذلك إلاّ لإظهار حالة كفرهم وعدم تصديقهم لنبيّهم ، إذ سفّهوه ثمّ كذّبوه ، حينما دعاهم إلى عبادة الله ، وأنكروا عليه عبادة الله وحده وترك عبادة الأولين . ولا شكّ أنّ في ذلك تناسباً دلالياً مع الموضوع العام الذي تعالجه سورة الأعراف ، وهو العقيدة بوحدانية الله (ﷻ)[١] .

أمّا **ضمير الشأن**، وهو ما يُكنّى به عن جملة تكون خبراً له[٢] ، فلا خلاف في أنّه إحالة إلى متأخر أو لاحق[٣] ، وضمير الشأن ((إنّما يعود على متأخر لفظاً ورتبة ، ولا يتقدّم مرجعه أبداً؛ لأنّ مرجعه جملة مفسّرة له ولا يتقدّم المفسِّر على المفسَّر))[٤] . ويأتي في صدر الجملة الخبرية في مواضع التفخيم والتعظيم[٥] ، أو يأتي ((دالاً على قصد المتكلّم استعظام السامع حديثه))[٦] .

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب : ١٢٤٣/٣ ، ١٣٠٥ وما بعدها .
(٢) ينظر : شرح المفصّل ، ابن يعيش : ١١٤/٣ .
(٣) ينظر : دراسات لغوية وتطبيقية : ١٢٨ .
(٤) البيان في روائع القرآن : ١٣٣/١ .
(٥) ينظر : معاني النحو ، د. فاضل السامرّائي : ٥٧/١ .
(٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطيّ : ٢٢٤/١ .

ومن الإحالة بضمير الشأن ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﴾ [يوسف : ٢٣] . إذ ورد في ردّ يوسف (عليه السلام) ضميرا شأن ، الأول (إنّه ربّي) ، وقد أحال إحالة بعدية إلى متأخّر وهو (ربّي)، وقد ذكر الزمخشريّ أنّه يريد به سيده ومالكه (قطفير) بدلالة (أحسن مثواي) إشارة إلى قوله لها في آية سابقة : (أكرمي مثواه)[١] ، أمّا الثاني وهو (إنّه لا يفلح الظالمون) ، فقد فُسِّر بما بعده ، وهو يحمل شحنة دلالية قوية ، لأنّه يعود على عنصر إشاري مفتوح الدلالة ويعين على توسعة القصد، إذ يُحتمل فيه أنّه أراد الذين يجازون الحسنى بالسيء ، أو الزناة ؛ لأنّهم ظالمون لأنفسهم ، أو أراد الله سبحانه وتعالى ؛ لأنّه مسبب الأسباب[٢] .

وقولِه تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ﴾ [المؤمنون: ١٠٥– ١١٠].

والهاء في (إنّه) ضمير الشأن، وما بعده من الجملة الفعلية مفسِّرةٌ له ، فهو إشارة إلى المؤمنين ، وفيها توبيخٌ للكفّار ومَن جرى مجراهم قديماً وبقية الدهر[٣] . وبذلك تظهر أهمية الإحالة بالضمائر في تحقيق الاتساق بين الآيات كلّها على مستوى النص وبين وحداتها الدلالية ، متجاوزة الفواصل التركيبية بين الجمل ، وعاقدة بينها وشائج الترابط والصلة ، مما يؤدّي إلى تحقيق الكفاءة النصية ، ومن ثمّ إكساب النص صفة الاستمرارية.

ثانياً : الإحالة بأسماء الإشارة :

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٢٦٧/٣ ، وتفسير أبي السعود المسمّى (إرشاد العقل السليم) : ٢٦٥/٤ . وذكر ابن عاشور وجهاً آخر في جواز عود الضمير على اسم الجلالة ، ويكون (ربي) عندئذ بمعنى خالقي ، ينظر : التحرير والتنوير : ٢٥١/١٢ .

(٢) ينظر : الكشّاف : ٢٦٧/٣ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٣٨٩/٦ ، والمحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية : ٣٢٤/٦ .

الإشارة من الأسماء المبهمة[١]، وتعليل إبهامها؛ ((أنّها تشير بها إلى ما بحضرتك وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب فلم يدر إلى أيّها تشير فكانت مبهمة))[٢]، فلا بدّ من وجود ما يزيل الإبهام ، فاللفظ وحده لا يغني لإظهار المدلول منه، لذا لزم أن يكون المشار إليه حاضراً . وأسماء الإشارة مثل الضمائر ، لا تُفهم إلاّ إذا رُبطت بما تُشير إليه[٣] ؛ كونها غير قائمة بذاتها ، وإنّما يُحدثها المتكلّم للمخاطب ، وتتمّ بأربعة أركان ، هي[٤] : مشير : المتكلّم ، ومشار له : المخاطب ، ومشار إليه : الشيء في الخارج (وقد يبيّن مدلولاً عليه باسمه) ، ومشار به : أداة الإشارة .

والإشارة مزدوجة الوظيفة ، إذ تشير وتعيّن المشار إليه داخل النص ، ولا صلة لها بما يخرج عنه ، أو تعوّض المشار إليه خارج النص ، وفهمها حينئذ رهين استحضار ذلك المشار إليه عهداً أو حساً أو غير ذلك[٥] ، فالإشارة إذن ، ((تعتمد على الجانب السياقي من معنى الوحدة الكلامية، فهي تمثّل العلاقة القائمة بين المتحدثين ...، وبين ما يتحدثون عنه))[٦] . والربط باستعمال الإشارة ينقل معنى ما يسبقه إلى معنى ما يلحقه ، فيكون بديلاً عن كلمة أو جملة أو نص، مع ملاحظة مدى الإحالة ، الذي يُقسم – باعتبار المدى الفاصل بين عنصر الإحالة ومفسّره – إلى نوعين[٧] :

- إحالة ذات مدى قريب ، وتتمّ على مستوى الجملة الواحدة .
- إحالة ذات مدى بعيد ، وتتمّ بين الجمل المتّصلة أو المتباعدة في النص ، متجاوزة الفواصل القائمة بينها .

إنّ الوسائل الإشارية التي نحن بصدد معالجتها ضمن العنصر الاتّساقي المُسمّى بالإحالة ، هي تلك التي تتّسم بالاستقلالية من ناحية الوظيفة ، وبذلك تحقّق قدراً أكبر

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه : ٢/٧٧-٧٩ .
(٢) شرح المفصّل : ٣/١٢٦ .
(٣) ينظر : نسيج النص : ١١٨ .
(٤) ينظر : أصول تحليل الخطاب : ٢/١٠٦٢-١٠٦٣ .
(٥) ينظر : نسيج النص : ١١٨ .
(٦) اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز : ٢٤٣-٢٤٤ .
(٧) ينظر : نحو النص ، عثمان أبو زنيد : ١٢٠ ، ودراسات لغوية وتطبيقية : ١٥٠-١٥١ .

منها لو كانت داخلة في بنية مقترنة بال مثل: إشارة + (ال + اسم)، كما في قوله تعالى : ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ... ﴾ [هود :٦٠] ، لأنّ الإشارة هنا تدُرج في إطار العلاقات الاتّساقية التي تتمّ على مستوى المعجم(١) .

وسنورد نماذج قرآنية تندرج تحت آيات الرد، لتكون مصاديق للإحالة بالإشارة ، بما تؤديه من تعالق وعقد للوشائج بين أجزاء النص ، متجاوزة في كثير من الأحيان حدود المفردات داخل الجملة ؛ لتربط بين مجموعة من الجمل ، فتعمل بذلك على إضفاء صفة التماسك والاتّساق في النص. ومن هذه النماذج ، ما جاء في ردّ موسى (عليه السلام) على فرعون حين خاطبه الأخير : ﴿ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [الشعراء:١٨–١٩] ، فردّ عليه موسى: ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﴾ [الشعراء: ٢٠–٢٢] .

فالإحالة بالإشارة (تلك) إحالة نصية سابقة ، وهي ((إشارة إلى تلك النعمة التي اقتضاها الامتنان في قول فرعون ، إذ الامتنان لا يكون إلاّ بنعمة))(٢) . والإحالة هنا ذات مدى بعيد ، تمّت بين مجموعة من الجمل المتّصلة ، متجاوزة نطاق الجملة الواحدة ، وفواصلها التركيبية ، لتربط بذلك مجموعة من الجمل المتتالية . وقد ناسبت الإشارة (تلك) ما أشارت إليه ، ذلك أنّ النعمة قد مضى عليها دهرٌ طويلٌ ، فناسب الإشارة إليها بالبعد .

ومنها ما جاء في قوله تعالى – حكاية على لسان إبراهيم (عليه السلام) – : ﴿ □ □ □ ى ى ي ي □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ﴾ [الأنبياء: ٥٧–٦٣].

ففي اسمي الإشارة (هذا) ، إحالة سابقة على فعل تكسير الأصنام وقد طابقت ما تشير إليه، والإشارة بـ(هذا) على لسان إبراهيم (عليه السلام)، إحالة سابقة على كبير الأصنام المذكور في الآية [٥٨] ، وقد ناسبت الإشارة الفعل كونه وقع قريباً وكذلك ما تشير إليه

(١) ينظر : الاتساق والانسجام في القرآن : ٢٢٧ .
(٢) التحرير والتنوير : ١١٥/١٩ .

كونها إشارة للقريب ، وهي إحالة ذات مدى بعيد ، تجاوزت الحدود التركيبية للجملة الواحدة ، فأسهمت بذلك في ربطها مع بعض ، فأدّت إلى تلاحمها واتّساقها .

ومن نماذج الإشارة ما جاء في قوله تعالى : ﴿ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ﴾ [البقرة : ٦١] .

فالإحالة بالإشارة (ذلك) الأولى إحالة إلى سابق مذكور ، وهو قوله : (ۋ ې ې ې) قال الزمخشريّ: ((ذلك إشارة إلى ما تقدّم من ضرب الذلّة والمسكنة والخلاقة بالغضب، أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء))[١]. وأمّا (ذلك) الثانية ففيها احتمالان ، الأول يحتمل أن تكون تكريراً للإشارة الأولى ، فتشير إلى ما أشارت إليه نفسه ، ويكون الاعتداء والعصيان سببين أيضاً لضرب الذلة والمسكنة والغضب، ويجوز أن يكون المشار إليه الكفر بآيات الله وقتل النبيين ، فيكون ذلك إشارة إلى سبب ضرب الذلة والمسكنة[٢] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ۆ ۆ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ﴾ [يوسف:٣٦-٣٧] .

إذ أُحيل بـ(ذلكُما) إحالة نصية سابقة ردّاً على طلب الفتيين بتأويل ما رأوه ، فهو ((إشارة لهما إلى التأويل، أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيّبات))[٣]. مع ملاحظة تطابق اسم الإشارة (ذلكُما) للمخاطَبينِ كونهما مثنى ، فالحركة[٤] إمارة تشترك مع علامة العدد لتوضيح أحوال الخطاب والمخاطبين[١] .

---

(١) الكشّاف : ٢٧٧/١

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٣٠/١ .

(٣) الكشّاف : ٢٨٤/٣ .

(٤) قال ابن يعيش : ((تختلف حركات هذه الكاف ليكون ذلك إمارة على اختلاف أحوال المخاطب من التذكير والتأنيث ، وتلحقه علامات تدلّ على عدد المخاطبين ... وإذا سألت رجلين عن رجل قلت : كيف ذلكما الرجل يا

ومنها قوله تعالى : ﴿ ٱ ب ب ب پ پ پ پ پپ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩]. فاسم الإشارة (هؤلاء) إحالة إلى (قوم يعكفون على الأصنام) ، وهي إحالة نصية سابقة ذات مدى قريب ، وقدّ تمّ التطابق بينها وبين ما تشير إليه من جانب العدد والجنس، كما ناسب ما بعد هؤلاء ما هم فيه، فقد ((عُرّف المسند إليه بالإشارة لتمييزهم بتلك الحالة، وللتنبيه على أنّهم أحرياء بما يرد بعد اسم الإشارة من الأوصاف، وهي كونهم متَبّراً أمرهم وباطلاً عملهم))[٢] .

ومن الإحالة بضمير الإشارة ما يُطلق عليه في علم النص (الإحالة الموسّعة) ، وهو ممّا يتميّز به اسم الإشارة المفرد ، والإحالة الموسّعة هي : ((إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل))[٣] . ومن هذا ما جاء في قوله تعالى على لسان فرعون ردّاً على إيمان السحرة : ﴿ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ [الأعراف: ١٢٣]. ففي اسم الإشارة (هذا) إحالة سابقة إلى صنيع السحرة مع موسى ، وهي إحالة ذات مدى بعيد ، إذ تجاوزت الفواصل القائمة بين الجمل ، فاختزلت مشهداً كاملاً من قصة موسى ، وهذا المشهد يحكيه[٤] قوله تعالى : ﴿ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ﴾ [الأعراف: ١١٥-١٢٠] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ ں ڻ ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ﴾ ، إذ أحال بالإشارة (هذا) إحالة موسّعة إلى النعم جميعها ، التي تقدّمت في قوله تعالى : ﴿ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ﴾ [المائدة : ١١٠] . ومنه

رجلان ، ألحقت الكاف علامة التثنية حيث خاطبت رجلين ، قال الله تعالى : (ذلكما مما علّمني ربّي))) ، شرح المفصّل : ٣/١٣٤-١٣٥.

(١) ينظر : دراسات لغوية تطبيقية : ١٤٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ٩/٨٢ .

(٣) لسانيات النص : ١٩ .

(٤) ينظر : المعايير النصية في السور القرآنية ، د. يسري نوفل : ٦٦ .

قوله تعالى – حكاية على لسان الكافرين من قوم هود في ردّهم على هود (عليه السلام) – : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾[الشعراء:١٣٦-١٣٧] .

وفي ضمير الإشارة (هذا) إحالة موسّعة ، فهو إشارة ((إلى شيء معلوم للفريقين حاصل في مقام دعوة هود إياهم))(١) ، أي الإشارة إلى بنائهم ودينهم وعبادتهم وتصرّفهم في المصانع التي ورد ذكرها في آيات سابقة(٢) . فالإشارة هنا لم تقف عند حدود جملة واحدة، بل تجاوزتها لتشمل مجموعة آيات متّصلة ، وقد اختزلت جزءاً كبيراً من مضمون الخطاب الذي وجّهه هود إلى قومه ، وهو بيان ما انفردوا به من الأفعال التي اقتضتها أعمالهم ، فأسهمت في إحداث اتّساق بين الوحدات الجزئية المتباعدة ، وجمعها في بنية واحدة .

ومنه قوله تعالى – حكاية على لسان الخضر وهو يحاور موسى – : ﴿ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ ﴾ [الكهف: ٨٢] .

إذ أحال باسم الإشارة (ذلك) إحالة موسّعة سابقة إلى جانب كبير من المحاورة التي مرّت في الآيات السابقة ، وهي إحالة اختزلت جملاً كثيرة فحقّقت بذلك ترابطاً بينها، وأسهمت في بناء النص وعدّه بنية كلية موحّدة .

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإحالة بالإشارة في الخطاب المباشر المنطوق لا الخطاب المكتوب ، الذي يكون مفرّغاً من العناصر المشار إليها ، تكون إحالة خارجية ، وهذا هو الأصل فيها ؛ إذ ينبغي أن تحيل على العالم الخارجي ، وتدلّ على اتّصال الخطاب به، ليكون أكثر فاعلية وتأثيراً(٣) . وهذا الأمر يُشترط فيه حضور عناصر الخطاب جميعها ، من متكّلم (مشير)، ومخاطب (مشار له)، والشيء المشار إليه المعرّف بينهم، ولعلّ ما ذكره ابن يعيش حين عرّف الإشارة بأنّها : ((الإيماء إلى حاضر بجارحة ... فيتعرّف

---

(١) التحرير والتنوير : ١٧١/١٩ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤٩٨/٦ .

(٣) ينظر : تحليل النص دراسة الروابط النصية : ٢٤١ .

بذلك ، فالإشارة أن تخصّص للمخاطب شخصاً يعرفه بحاسة البصر ... وأن تختص شخصاً يعرفه المخاطب بقلبه))[١] ، قد يتناسب مع هذا الافتراض أو التصوّر .

وباستعراض بعض السياقات التي ترد فيها البنية الإحالية للإشارة في الخطاب المنطوق ، نجد أنّها تشير إلى موجود في الخارج ومطابق لها ، ومصداق ذلك ما حكاه الله على لسان زكريا (عليه السلام) ، حين قال : ﴿ □□ى ى ي □ □ □ □ □□ □ □□ □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□□ □□□□□﴾[آل عمران : ٣٧].

فالإحالة بالإشارة (هذا) إلى الرزق تقتضي أن يكون الرزق موجوداً ومشاهداً لدى طرفي الخطاب زكريا ومريم عليهما السلام ، وأنّ الرزق لم يكن معروفاً مسبقاً في الموقف الذي كان يعيشه زكريا إنّما يبدأ الموقف مباشرة بطرح السؤال (أنّى لك هذا) اعتماداً على ما رآه ، وبهذا تكون الإشارة مطابقة لما هو موجود في العالم الخارجي . وهذا ما يُطلق عليه في علم النص بالإحالة الناجحة، ((ويعتمد نجاح عملية الإحالة الناجحة على قدرة المستمع على التعرف على المسمّى الذي قصده المتكلّم باستعمال العبارة المحيلة ، وذلك لفهم الرسالة اللغوية الموجّهة إليه))[٢] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ ۏ ۏ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ې ې ى ى □ □ □ □ □﴾ [الأنعام: ٧] . ففي (هذا) إشارة إلى القرطاس ، والخطاب يقتضي أن يكون القرطاس حاضراً ومشاهداً للعيان ، بدلالة (فلمسوه بأيديهم) .

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ﴾ [الأنبياء:٦٢– ٦٣] . فـ(هذا) الأولى أشارت إلى فعل تحطيم التماثيل ، و(هذا) الثانية أشارت إلى كبير الأصنام ، الحاضر في حضرة المتكلّم والمخاطب ومعرّف لهما ، وكلاهما يقتضيان وجود تماثيل محطّمة مع كبير الأصنام ، لتطابق إشارتهما الموجود المشار إليه ضمن دائرة الخطاب .

---

(١) شرح المفصّل : ١٢٦/٣ .

(٢) تحليل الخطاب : ٢٤٦ .

ثالثاً : الإحالة بـالموصول :

تعدّ الموصولات من الوسائل الاتّساقية التي اتّكأت عليها الإحالة للربط بين الوحدات الجزئية داخل النص ، ولاسيّما إذا كانت تحيل إلى فقرات متباعدة المدى ، فتجعلها متّصلة ببعضها ، ومن ثمّ تُسهم في رسم الإطار الكليّ للنص . ولعلّ أوّل من عدّها عناصر إحالية الدكتور (تمّام حسّان) ، وقد صرّح بذلك غير مرّة ، قال : ((لم يُشر أحدٌ من قبل إلى هذا النوع من الربط، وإن سُبقت الإشارة إليه بفهم آخر تحت عنوان الإظهار في مكان الإضمار))[١] ، وجعل دليل صحة الإحالة بالموصول وقوع ضمير الغيبة موقعه، لمطابقة القصد بينهما واختلاف اللفظين، وكلاهما عوض عن إعادة الذكر التي هي أصل في الربط والإحالة[٢] .

والموصولات أسماء مبنية تفتقر إلى كلام بعدها تُوصل به لبيان المقصود[٣] ، فهي إذن ، مبهمة وغير مستقلّة الدلالة ؛ إذ لا تتّضح إلاّ إذا وُصلت بالصّلة . وفي هذا الشأن يقول المبرّد (ت٢٨٥هـ) : ((واعلم أنّ الصلة موضّحة للاسم ؛ فلذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة ، وما شاكلها في المعنى ؛ ألا ترى أنّك لو قلت : جاءني الذي ، أو : مررت بالذي ، لم يدلُّك ذلك على شيء حتى تقول : مررتُ بالذي قام ، ... فإذا قلت هذا وما أشبهه وضعت اليد عليه))[٤] . وخلص الدكتور (فاضل الساقيّ) إلى أنّ الموصولات تُستعمل لتعبّر عن وظيفة الاستعاضة عن تكرار الاسم[٥] ، ومن ثُمّ تُحدث ربطاً تركيبياً ، وهي بحكم إبهامها تحتاج إلى صلة تفسّرها[٦] ، والصلة يجب أن تكون ((معلومة للسامع في اعتقاد المتكلّم قبل ذكر الموصول))[٧].

---

(١) مقالات في اللغة والأدب : ٢٠٠/١ ، وينظر : الخلاصة النحوية : ٩١ .
(٢) ينظر : البيان في روائع القرآن : ١٢٢/١-١٢٣ .
(٣) ينظر : النحو القرآني (قواعد وشواهد) ، جميل أحمد ظفر : ١٠٧ .
(٤) المقتضب : ١٩٧/٣ .
(٥) ينظر : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة : ٢٩٢ .
(٦) ينظر : نسيج النص : ١١٨ .
(٧) شرح الرضي على الكافية : ٩/٣ .

وعلى هذا لا يمكن للموصول أن يؤدّي وظيفته الإحالية من دون صلته ، ولا بدّ للصلة أن تكون مشتملة على ضميرٍ عائدٍ إلى الموصول ومطابق له .

والإحاليّات الموصولة قسمان[١]: المختصّة والمشتركة، والمختصّة: (الذي، والتي، واللذان، واللتان، والأُلى، والذين، واللاتي، واللائي) . والمشتركة: (مَن، وما، وأي، وأل) ، وتفترق المختصة عن المشتركة بأنّها تُفرد وتُثنى وتُجمع تذكيراً وتأنيثاً حسب ما يقتضيه الخطاب ، أمّا المشتركة فمنها (مَن ، وما) ويُستعملان للمؤنث والمذكر بلفظ واحد إفراداً وتثنية وجمعاً[٢] .

وممّا يُجدر التنويه إليه أنّه لا يمكن الإحاطة بالموصولات كلّها لبناء تصوّر حول قيمتها التعبيرية في تحقيق الاتّساق النصّي ، وسنكتفي بإيراد نماذج منها . ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ﴾ [البقرة : ٣٠] . وما يُمكن أن يلحظ في هذه الآية بما تضمّنته من ردود أنّه قد وردت إحالتان باسمي الموصول المشتركينِ ، وهما (مَن ، وما). فالأول (مَن) أحال على مذكور سابق عليه وهو (خليفة) ، وصلته ما بعده (يفُسد) وقد اشتملت على ضمير الغيبة المستتر (هو) العائد على الموصول، والثاني (ما) ويعود على اللاحق له، وهو جملة (لا تعلمون) ، وقد حُذف العائد المنصوب فيها ، والتقدير (تعلمونه)[٣] .

ويلحظ أيضاً دقة الاستعمال القرآني في توزيع الأسماء بما يتلاءم مع الدلالة ، إذ استعمل أولاً اسم العاقل لمناسبته ما يُحيل عليه ، وقد تطابق في ما يشغل من وظيفة في التركيب مع ما يحيل عليه أيضاً، فـ(خليفة) مفعول، و(من) في محل نصب مفعول أيضاً، أمّا الثاني فقد جاء لغير العاقل مناسبةً لما لا يُعلم كونه مُبهماً عند المتلقّين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ﴾ [الأعراف : ٧٥-٧٦] .

---

(١) ينظر : النحو القرآني : ١٠٧ .

(٢) ينظر : همع الهوامع : ٢٦٧/١ ، ٢٧٢ .

(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبيّ : ٢٦٠/١ .

تنوّعت أسماء الموصول الإحالية هنا بين المختصّة ، والمشتركة ، ووردت في (الذين) الأولى إحالة سابقة (قبلية) إلى (الملأ) وقد اشتملت صلتها (استكبروا) على ضمير عائد على الموصول ومطابق له، وفي الثانية إحالة إلى ما بعدها ، فهي بعدية، ومَن بدل منها ، و(ما) إحالة لاحقة إلى ما بعدها وقد اشتملت صلتها على ضمير عائد على الموصول أيضاً ، أمّا (الذي) ففيها إحالة قبلية على ما آمن به المؤمنون ، وهي تحيل على ردّ المستضعفين من المؤمنين على المستكبرين حينما أخبروهم بإيمانهم بصالح (ع) .

والتقابل بين الطائفتين من القوم المستكبرين ، والقوم المستضعفين ، الذين أذلّهم عظماؤهم واستعبدوهم لاستكبارهم الذي صرفهم عن طاعة نبيهم صالح[١]، والتناسب في جواب الفريقين ؛ حيث جيء بالجملة الاسمية في جواب المستضعفين (إنّا بما أُرسل به مؤمنون) ، دلالة على الثبات مناسبةً لتشكيك المستكبرين وإنكارهم لقولهم (أتعلمون)، ومراجعة الذين استكبروا بالجملة الإسمية المؤكّدة تدلّ على ثباتهم على كفرهم[٢] . وتجلّي المفارقة بالتقابل وبالتناسب ، هما اللذان أظهرا لنا الاتّساق الداخلي على مستوى التركيب هنا .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ ﯨ ﴾ [البقرة : ٦١] .

وردت مجموعة إحالات بالموصول المشترك (ما)، وبالموصول المختصّ (الذي)، وأحيل بـ(ما) إحالة بعدية على جملة الصلة (تُنبت) ، والعائد فيها محذوف تقديره تُنبتهُ، أي من الذي تُنبته الأرض[٣] ، وأُحيل بها ثانية إحالة قبلية على عنصر متقدّم عليها هو الإخراج ، و(سألتم) جملة الصلة ، والعائد محذوف ، أي : الذي سألتموه[٤] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٢٢/٨ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٢٣/٨ .
(٣) ينظر : الدر المصون : ٣٩٢/١ ، وإعراب القرآن ، للكرباسيّ : ٧٩/١ .
(٤) ينظر : الدر المصون : ٣٩٦/١ .

أمّا الإحالة بـ(الذي) في قوله : (ڈ ڈ ۇ) ففيه إحالة نصية قريبة المدى إلى مذكور سابق عليها هو البقل والقثاء ... ، وصلتها والعائد (هو أدنى)، وأُحيل بالذي في قوله : (ۇ ۆ ۆ) إحالة بعيدة إلى قوله تعالى : ﴿ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې﴾ [البقرة : ٥٧] . والصلة والعائد (هو خير).

فالترابط بين الوحدات الجزئية قد تمّ عن طريق الإحالة بالموصول ، فحقّق بذلك اتّساقاً جزئياً تمّ على مستوى السطح ، وقد تجاوز المحيل الأخير حيّز الجملة الواحدة إلى الربط ما بين الجمل المتباعدة .

المبحث الثاني : الحذف (Ellipsis) :

يُشكّل الحذف قيمة مهمة في الدرس اللغوي ، ففي كثير من المواقف التعبيرية لاسيما الشديدة منها ، يعمد المتكلّم – بحكم تأثير النظام الخاص بلغته – إلى الاختزال ، أو الاقتصاد في وقائع البنية السطحية بواسطة الحذف[١] ، ولا يعد هذا سبباً رئيساً في الحذف بقْدر ما يعد موقفاً لغوياً في المقام الأول ، ونفسياً في المقام الثاني ، يُضاف إليه أنّه محاولة لتعليل الاختلاف بين الظواهر اللغوية والقواعد النحوية ، وهو على هذا نوع من التأويل يُفترض فيه أبعادٌ غير موجودة في النص لينسجم الواقع اللغوي مع القاعدة[٢]، وهذا ما يُعطي للحذف أهمية كبيرة، فهو ((ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية))[٣].

وهو وسيلة اتّساق كالإحالة ، إلاّ أنّه يمثّل فراغاً في التركيب ، وعادة ما يتمّ ملؤه من المتلقّي مستعيناً بسياقات نصية وغير نصية ، ويظهر عندما تشتمل عملية الفهم على إدراك الانقطاع في مستوى البنية السطحية[٤] ، إذ يتمّ من خلاله إسقاط بعض عناصر الخطاب اعتماداً على فهم المخاطب أو وضوح السياق[٥] . ولاشكّ أنّ إسقاط بعض

(١) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٩٩ .
(٢) ينظر : الحذف والتقدير في النحو العربي ، علي أبو المكارم : ٢٠٣-٢٠٤ .
(٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة : ٩ .
(٤) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٥ .
(٥) ينظر : العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، د. أحمد عزّت يونس : ٢٢٢ .

العناصر اللغوية يعمل على خلق فجوة داخل البنية ، وهذا من شأنه أنّ يدفع المتلقّي أو القارئ إلى البحث في سياق النص على ما من شأنه أنّ يسدّ هذه الفجوة .

والحذف في اللغة يحمل معاني القطع والطرح والإسقاط[١] ، والمعنى الأخير يلائم الحذف اصطلاحاً ؛ كونه ((إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام))[٢] ، وهذا له علاقةٌ بالتركيب اللغوي دون سواه ، فـ((الحذف إسقاط لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية ، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحوياً ؛ لسلامة التركيب))[٣] .

والحذف عند النصيّين ((علاقة داخل النص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق ، وهذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية))[٤] ، وأنّه استبدال بالصفر ، إذ لا يحل محلّ المحذوف شيء ، ومن ثمّ نجد فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على سياق النص ، أي الدليل[٥] . وذكر (كريستال) أنّه حذف جزء من الجملة الثانية ، لوجود دليل عليه في الأولى[٦] .

وهذا الإجراء لا يتمّ إلاّ إذا كان ما في النص مُغنياً في الدلالة وكافياً لأداء المعنى بحسب القرائن[٧] ، وهذا أمر قد وعاه القدماء من قبل ، إذ يقول ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) عن عن الحذف : ((... وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه))[٨] ، وقال الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ) : ((لا بدّ في ما أُبقي دليلٌ على ما أُلقي ، وتلك الدلالة مثالية وحالية))[٩] .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، (حذف) : ٣٩/٩-٤٠ .
(٢) النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : ٧٦ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشيّ : ١٠٢/٣ .
(٣) الحذف والتقدير في النحو العربي : ٢٠٠ .
(٤) لسانيات النص : ٢١ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه : ٢١ .
(٦) ينظر : علم اللغة النصي : ١٩١/٢ .
(٧) ينظر : بناء الجملة العربية ، محمد حماسة : ٢٥٩ .
(٨) الخصائص : ٣٦٠/٢ .
(٩) البرهان في علوم القرآن : ١١١/٣ .

وبلحاظ ما ذُكر فإنّه يُفهم أنّ بقاء العنصر المحذوف مع الدليل عليه ((يشكّل خللاً على مستوى النصّ ، يتمثّل في حشو وزيادات لا طائل من ورائها ، خاصّة إذا ما وُجد في النص أو محيطه من القرائن الحالية والمقالية ما يغني عنها))[١] . ويبدو أنّ هذا ما دفع (دي بوجراند) إلى القول إنّ الحذف ((استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ، أو أن يوسّع أو أن يعدّل بواسطة العبارات الناقصة))[٢] ، فهو اكتفاء بالمبنى العدمي (Substitution by zero)[٣] ، أي أنّ الحذف لا يُعدّ نقصاً نقصاً في النص ، بل هو إعطاء القارئ مساحة يمكن من خلالها الاهتداء إلى العنصر الذي يفسّر المحذوف ، ويحقّق القصد .

وقد حُدّدت سياقات الحذف في شكل إطارات ثابتة تحت شرطين ، هما[٤] :

. وجود ما يدلّ على المحذوف من قرائن .
. ووجود السياق الذي يترجّح فيه الحذف على الذكر .

ونظراً لوجود الدليل (المرجع) الذي يُسهم في تقدير العنصر المحذوف ، نجد أنّ هناك توافقاً كبيراً بين الإحالة والحذف ، وهذا يعني أنّ ثمّة نوعين من الحذف[٥] ، هما : الأوّل : حذف علاقته مرجعية لما سبق وذلك يكون بعنصر صفري[٦] ، وهنا المرجعية تكون نصية داخلية ، وليس شرطاً أن يُعتمد على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق[٧] ، ولا يُشترط أيضاً أن تكون إحالته سابقة ، بل يمكن أن تكون لاحقة ، وهذا أمرٌ أُقرّ قديماً ، قال الزركشيّ : ((قد يُحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه ، وقد يُعكس ، وقد

(١) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ٩٣ .
(٢) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه : ٣٤٠ .
(٤) ينظر : البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب : ٣٢٢-٣٢٣ .
(٥) ينظر : علم اللغة النصي : ٢٠١/٢ .
(٦) ينظر : نظرية علم النص : ٨٨ .
(٧) ينظر : لسانيات النص : ٢١ .

يحتمل اللفظُ الأمرين))[١] ، فالمرجعية إذا كانت بين المذكور والمحذوف فهي سابقة ، وإذا كانت بين المحذوف والمذكور فهي لاحقة[٢] .

والثاني : حذف مرجعيته خارجية ، وهذا يعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بما يُسهم في تفسير المحذوف .

القارئ والحذف :

إنّ استمرار النص هو حصيلةٌ لنتاج التفاعل بين القارئ والنص[٣] ، فالنص نسيج من الثغرات ، يملؤها القارئ بحسب السياقات ، وهذا يعني أنّ القارئ له أثر في إنتاج النص ، ذلك ((أنّ النصّ مفتوح ينتجه القارئ في عملية مشاركة لا مجرد استهلاك ، هذه المشاركة لا تتضمّن قطيعة بين البنية والقراءة ، وإنّما تعني إدماجها في عملية دلالية واحدة))[٤] ، فـ((النصّ يكتسب حياته من خلال المتلقّي ، إذ هو الذي يفكّ شفرة ذلك النص ، ويستخرج ما فيه ... ويمكنه من ملء الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النص ، وعلى وجه الخصوص ما يتّصل بحذف العديد من العناصر في النص))[٥] .

وبذلك يمثّل القارئ حضوراً في النص ولا يكون مجرّد متلقٍّ سلبي ، وأثر القارئ في الحذف دلالي أكثر من كونه بنيوياً ، إذ يعمل الحذف على إثارة ذهن القارئ وتحفيزه نحو المغيّب من النص، فيستجلي المعنى التأويلي المرتبط بالعنصر المحذوف، معتمداً على سياق النص أو سياق الموقف ، ذلك أنّ ((وجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كلّ منها مع النص والموقف))[٦] .

وهذا ما يحقّق تعددية الدلالة ، والنص القرآني ليس منغلقاً ، بل هو مفتوح على دلالات مختلفة ، وبحسب هذه الدلالات تختلف قراءة المحذوف من قارئ لآخر ، مع

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٣٣/٣ .
(٢) ينظر : علم اللغة النصي : ٢٠٣/٢ .
(٣) ينظر : التفاعل بين النص والقارئ ، (فولفغانغ آيزر) ، ضمن كتاب (القارئ في النص ، مقالات في الجمهور والتأويل) ، تحرير : سوزان روبين سليمان ، وإنجي كروسمان : ١٣٠ .
(٤) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، نعمان بوقرة : ١٠٠ .
(٥) علم اللغة النصي : ٢١٣/٢ ، وينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتّجاهات : ١١٣ .
(٦) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٥ .

لحاظ أنّ ((الوسائل التي أتيحت لقارئ النص في صدر الإسلام ، غير الوسائل المتاحة في العصر الحالي ، ومن ثمّ تطور فهم النص بما يتلاءم مع هذه الوسائل ، بل قد تختلف كفاءة المتلقين لنص واحد في وقت واحد))[١] .

أثر الحذف في الاتساق النصي :

تكمن أهمية الحذف في إحداث الاتّساق والترابط بين أجزاء النص التركيبية في وجود الدليل على المحذوف ، ذلك أنّه يمثّل مرجعية له ، ومن ثمّ يكون المحذوف كالمذكور ، وهذا ما يؤدّي إلى استمرارية النص ، لأنّه سينطبق عليه ما ينطبق على النص الكامل العناصر[٢] ، فبإعادة المحذوف وبإحالته إلى المرجع الذي يُفسّره تظهر قيمة الحذف وأهميته في اتّساق أجزاء النص، فيصبح أثر الحذف بذلك توسيعاً للسيطرة الدلالية أو النصية لجملة ما إلى ما تليها من الجمل[٣]، فالحذف ((يربط نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية بشدة))[٤] .

أنماط الحذف :

ذكر (هاليداي وحسن) ثلاثة أنماط للحذف ، هي[٥] : حذف اسمي ، وفعلي ، وقولي ، وهذا التقسيم وإن كان مُضمّناً في العربية ، إلاّ أنّ تقسيم العربية للحذف أوسع وأعم ، بدليل ما ذكره ابن جنّي : ((قد حذفت العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة))[٦] ، وابتداء ابن جنّي بالحديث عن حذف الجملة إشارة إلى الاهتمام بما هو أوسع من حيّز الجملة الصغرى ، فحذف الجملة لا يكون إلاّ في إطار مجموعة جمل ، وبذلك يخرج الحذف عن حيّز الجملة الصغرى إلى دائرة النص[٧] .

---

(١) علم اللغة النصي : ٢/٢١٥ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ٢/٢٢١ .
(٣) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٦ .
(٤) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٥ .
(٥) ينظر : لسانيات النص : ٢٢ .
(٦) الخصائص : ٢/٣٦٠ .
(٧) ينظر : السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب ، محمد سالم أبو عرفة : ١١٨-١١٩ .

وبلحاظ ما ذكره ابن جنّي نجد أنّ نسق العربية يقبل حذف المقولات جميعها من (اسم وفعل، وحرف وحركة، ومفرد وجملة) ، ممّا ينتج عن ذلك اختلاف في مستويات التحليل من حيث الصرف والصوت والتركيب بحسب المحذوف، ومن ثمّ تتعدّد المواقع التي تُحذف فيها المقولات ، ويتبع ذلك تعدّد العناصر النحوية التي تُحذف[١] .

مواضع الحذف :

إنّ مواضع الحذف في هذه الدراسة جاءت منثورةً متنوّعة ، ومتداخلة في ما بينها، ممّا يدفعنا إلى عدم اعتماد تصنيف معيّن بشأنها ، لذا سيكون التطرّق إلى هذه المواضع بحسب ورودها في الآيات القرآنية، لا بحسب تصنيفها، مع بيان مساهمة الحذف في اتّساق النصوص ، ومن الآيات التي جاء فيها الحذف ، ما جاء في قوله تعالى من ردّ على لسان أبي إبراهيم : ﴿ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ﴾ [مريم: ٤٦] . إذ حُذفت جملة القسم التي تُقدّر بـ(وربي)[٢] ، في قوله [...] ﴿ ھ ے ۓ ﴾ ، والدليل عليه وجود اللام الموطئة للقسم[٣] ، واقتران جوابه باللام أيضاً ، وقد خرج هذا الحذف إلى التهديد والتحذير لإبراهيم ، أي وربي لئن لم تنته عمّا أنت عليه من النهي والدعوة إلى ما دعوتني إليه لأرجمنك[٤] ، وهو حذف تمّ بين عناصر آية واحدة .

ومنه حذف المعطوف عليه الجملة في قوله : ﴿ ھ ے ۓ [...] ﴾، وتقديره (فاحذرني) وقد دلّ عليه لأرجمنّك لأنّه تهديد وتقريع[٥]، وتقدير الحذف هنا للمناسبة بين جملتي العطف والمعطوف عليه[٦]، والدليل على العنصر المحذوف هنا دليل مقالي، والعلاقة بينهما قبلية داخلية حدثت على مستوى جملة واحدة .

ومن الحذف ، ما ورد في قوله تعالى : ﴿ □ ﴾

---

(١) ينظر : ظاهرة الحذف في النحو العربي، بوشعيب برامو، (مجلة عالم الفكر، مج ٣٤ ، ع٣ ، ٢٠٠٦) : ٤٦ .
(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٦٨/٥ .
(٣) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٢٧٩ .
(٤) ينظر : خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم (ع) ، الشحات محمد : ٤٠ .
(٥) ينظر : الكشّاف : ٢٥/٤ .
(٦) ينظر : البحر المحيط : ١٨٣/٦ .

ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ [يوسف: ٤٣ – ٤٨] .

وقد تنوّعت العناصر المحذوفة في هذه الآيات بين الاسم، والفعل، والجملة الفعلية، وكلّها مثّلت فراغات أو فجوات على مستوى التركيب في البنية النصية ، وتستدعي من القارئ إعمال ذهنه لملئها، ومن أمثلة الحذف هذه حذف الاسم المقدّر (رؤياك)، وموضعه في بنية النص ﭑ [...] ﭒ ﭓ ﭔ ، ودليل المحذوف المقدّر في جملة متقدّمة عليه ، وهو (أرى أو رؤياي) ، والعلاقة بين المذكور والمحذوف علاقة قبلية تجاوزت حدود الجملة الواحدة ، وحذف الاسم المقدّر (بقرات) في ﭶ ﭷ [...] ﭸ ، والإبقاء على صفته (عجاف) ، ودليل المحذوف لفظي متقدّم عليه وهو (بقرات) الذي ورد في الجملة نفسها ، وفي الجملة الأولى ، والمرجعية بينهما قبلية ؛ إذ هي علاقة بين مذكور ومحذوف ، وحذف اسم العدد من قوله وأخر يابسات لدلالة قسميه ، فالتقسيم في البقرات يقتضي التقسيم في السنبلات ، ولدلالة ما قبله عليه[١] ، والتقدير يقتضي (وسبع أخر) ، وحذف (سنين) في الجملة الأخيرة ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ [...] ﮐ لدلالة ما قبله عليه ، والعلاقة بينهما أيضاً مرجعية أيضاً ، وهي علاقة تمّت على مستوى جملة واحدة .

ومن حذف الفعل ، حذف الفعل الماضي المقدّر بـ(قال) ، وموقعه في الجملة [...] ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ، والعلاقة بين المحذوف المقدّر والمذكور علاقة مرجعية لتقدّم الدليل المذكور على المحذوف في الجملة نفسها. أمّا الحذف على مستوى الجملة ، فقد ورد حذفان للجملة الفعلية ، (فأرسلوه)[٢] ، و(تدأبون)[٣] ، وموقعهما في النص ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ [...]، ﭢ ﭣ ﭤ [...] ﭥ ، والعلاقة في حذف الجملة الفعلية الأولى والدليل عليها (فأرسلون) علاقة مرجعية لتقدّم الدليل ، وفي الثانية بعدية لتأخر الدليل (دأباً) عليها.

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٣١١/٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣١٤/٥ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٩/٣ .

إنّ وسيلة الحذف هنا أسهمت في اتّساق النصوص وترابطها ، ولم تخرج عن الفكرة المركزية (الرؤيا وتأويلها)، واستثمار الحذف أظهر مدى اتّساق الوحدات اللغوية على المستويين النحوي والدلالي، كون عناصر الحذف ، من محذوف ، ودليل لفظي ، وتكرار، وإحالة سابقة ولاحقة ، متوفرة جميعاً في النص ، وإنّ وجود الدليل الذي يسبق العنصر المحذوف أو يتأخّر عنه ينشئ علاقة ذات مرجعية داخل التركيب ، وقد تتجاوزه إلى النص ، فتكون بين جمل أو فقرات متباعدة ، وكلّ هذا يُسهم في اتّساق النص وربطه ببنية موحّدة ، وبذلك تظهر قيمة الحذف .

وفي كثير من المواضع تُختزل الأحداث وتُختصر؛ لأنّ التعبير القرآني يميل إلى لغة الإيجاز، فيطلق العنان في تقدير المحذوف وفكّ رموز النص لذهن القارئ[١] . والذي يتتبّع مواضع حذف الجمل في القرآن ((يدرك كثرة الحذف حيثما تستطيل الجملة ... ويُعدّ من قبيل الحذف اختصاراً وإيجازاً ما يقع في القصص القرآني الذي يُعنى بذكر ما يتعلّق به الغرض ، ويحذف ما يمكن أن تدلّ القرائن عليه ، أو ما ليس للنص غرض في ذكره))[٢] .

والحذف هنا من الخصائص الفنية المتبعة في قصص القرآن على وجه التقريب ، إذ تحتوي القصص على فجوات بين مشهد وآخر ، يملؤها خيال القارئ ، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق[٣] . وتجدر الإشارة إلى أنّ مثل هذه المحذوفات أكثر ما تتعلّق بفهم القارئ للنص، ومن ثمّ في كيفية التواصل معه، لذلك يختلف تقديرها تبعاً لاختلاف القراءات والتأويلات من قارئ لآخر ، وبحسب ما يمتلكونه من مرجعيات معرفية .

ومن نماذج هذا الحذف ما جاء في قوله تعالى :ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [النمل: ٢٨ – ٣٢]

(١) ينظر : علم اللغة النصي : ٢/٢٤٠ .
(٢) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ١٠٠ .
(٣) ينظر : التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ١٨٧–١٨٨ .

في هذه الآيات مجموعة من الجمل المحذوفة ، وهي من الناحية التركيبية تشكّل فجوة في البنية ، فترتيب الجمل لا يستقيم من دونها ، كون المعنى يتمّ بها ، إذ انتقل الخطاب من أمر سليمان للهدهد بالذهاب وإلقاء الكتاب إلى كلام بلقيس ملكة سبأ ، وقد جمعت ملأها تستفتيهم في أمر هذا الكتاب(١) ، وما بين القولين ((جمل محذوفة تدلّ عليها القرينة العقلية وسياق اللفظ))(٢) ، وتقدير الجمل المحذوفة أن يقال : ((فأخذ الكتاب وذهب به ، فلمّا ألقاه إليها وقرأته قالت لقومها بعد أن جمعتهم معظمة لهم ، أو لأشرافهم فقط يا أيها الملأ ...))(٣) ، فالمحذوف هنا وإن كان غائباً عن النص ، إلاّ أنّه يوجد بالضرورة في بنية النص العميقة ، ومن ثمّ يعمل القارئ ذهنه بحسب فهمه ومكوّناته المعرفية ، والنظر من خلال تضافر السياق مع الدلائل اللفظية لإيجاد بدائل لهذا المحذوف .

ومنه قوله تعالى : ٹ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ [يوسف: ٨٠ – ٨٣] .

وفي هذه الآيات توجد فجوة ما بين كلام كبيرهم ، وبين قول يعقوب (بل سوّلت لكم أنفسكم)، وانتقال في المكان من مصر إلى أبيهم وقد طواه السياق(٤) ، وتأتي هنا وظيفة القارئ ليردم ما بين القولين من انقطاع في البنية، ويملأ ما بينهما من محذوفات مستعيناً بمرجعياته المعرفية وبسياق القصة، ويقتضي التقدير أن يكون (فذهبوا إلى أبيهم وأخبروه بما فعله أخوهم من فعل السرقة وكنّا على ذلك من الشاهدين ، قال يعقوب بل سولت لكم ...) ، وهو تقدير مطابق لما وصّاهم به أخوهم الكبير .

---

(١) ينظر : الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ، مختار عطية : ٤٠٨ .
(٢) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٢٩٣ .
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعيّ : ١٥٧/١٤ .
(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٠٢٥/١٣ .

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ...﴾ [طه: ٨٣-٨٦] . فما بين لقاء موسى بالله (ﷻ) وإخباره بإضلال السامري لقومه ، أحداث ومشاهد قد طويت[١] ، ولعلّ ما يُعين على تقديرها ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﴾ [طه: ٩٦] ، فيكون التقدير : (وذلك بأن قبض السامري قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر فألقاها على ما كان في الحفرة من حليّ وزينة فصار عجلاً فتفرّق بنو إسرائيل) .

ولا يسمح السياق القرآني بسرد هذه الأحداث ، لأنه يميل إلى لغة الاختزال أو الإيجاز ، وهذه الأحداث التي لم تُذكر في النص شكّلت انقطاعاً أو فراغاً في البنية التركيبية ، وعلى القارئ أن يكون على وعي تامٍّ به ، ومن ثمّ ينظر إلى السياقات والقرائن لإيجاد بدائل عن هذا الانقطاع ليتمّ له المعنى ، وليس من شكّ أنّ هذا الإجراء يُسهم في تحقيق الاتّساق في البنية النصية .

المبحث الثالث : الوصل (Relative) :

كثيراً ما تلجأ اللغة إلى أدوات الوصل كونها وسائل لفظيةً تُعين على إبراز العلاقات الاتّساقية بين المعاني الجزئية داخل الجملة ، أو بين معاني الجمل ، وهي بهذا تؤدّي وظيفة مهمّة في بناء الجملة والنص[٢] ، والوصل بناءً على هذا الفهم عنصر اتّساق شأنه شأن غيره من عناصر الاتّساق الأخرى ، إلاّ أنّه يختلف عنها في كونه لا يتضمّن إشارة موجّهة نحو البحث عن العنصر المفترض في ما تقدّم ، أو في ما سيلحق[٣] ، لذا يرى (هاليداي ورقية حسن) أنّ العلاقة في الوصل تتمّ في الحدود بين الجمل ، وتحتوي في

---

(١) ينظر : نظم الدرر : ١٢/٣٢٤-٣٢٦ .

(٢) ينظر : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة : ١٥٧-١٥٨ .

(٣) ينظر : لسانيات النص : ٢٢ .

ذاتها على معنى يحدّد طبيعة العلاقة التي يقيمها ما يأتي بعدها مع ما قبلها ، ويكون الوصل بذلك أوسع من مستوى العلاقات داخل الجمل[١] .

والوصل من منظور علماء النص عنصر كفيل بإحداث أو صنع اتّساق نصّي ، فـ((هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم))[٢] ، وعرّفه (دي بوجراند) بأنّه ((العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ... ويشير الربط أيضاً إلى إمكان اجتماع العناصر والصور وتعلّق بعضها ببعض في عالم النص))[٣] . فالوصل بناء على تلك العلاقات يؤدّي وظيفة الجمع بين العناصر المتفرقة في سطح النص وتعليقها ببعض .

ولم يقف الدكتور (أحمد عفيفي) عند إطلاق صفة السطحية على هذه الوسائل حين قال عن الوصل إنّه: ((وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض ، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصية))[٤] ، إذ لم يلزم قيام هذه الوسائل بالربط السطحي فحسب ، بل هي وسائل يمكن أن تُستنتج بواسطتها دلالة النص[٥] . وهذه النظرة نجدها عند غيره من المحدثين ، الذين يرون أنّ الوصل وسيلة بناء لا تفسّر ما سيقدم في علاقته بما سبقه فحسب ، بل تفسّر لنا وجود العلاقة الدلالية في سطح النص أيضاً[٦]، ويذهب الدكتور (سعيد بحيري) إلى أنّ ((الربط النحوي خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كلّ جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى))[٧] .

وبناءً على هذا الفهم، وبلحاظ ما ذكره الدكتور (صلاح فضل) من أنّ هذا النوع من الأدوات ((صعب التحديد بدرجة كبيرة فهو تماسك وظيفي، وقد أطلق غريماس على هذه

---

(١) ينظر : الاتّساق والانسجام في القرآن : ١٨٥-١٨٦ .
(٢) لسانيات النص : ٢٣ .
(٣) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .
(٤) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٢٨ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه : ١٢٩ .
(٦) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٠ .
(٧) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٢٣ .

الوظائف روابط بلاغية))[١] ، يمكن أن نمازج بين الرأيين للوصول إلى فهم دقيق حول ما يركّز عليه مفهوم (الوصل) ، إذ يمكن القول إنّ الوصل فضلاً عمّا يؤدّيه من ترابط شكلي، فإنّه مرتبط ببنية النص الدلالية، ويكون بذلك أكثر من كونه مجرّد أدوات تظهر على بنية التركيب السطحية ، نظراً لما تحمله هذه الأدوات من معانٍ ، لذا نجد من المحدثين مَن يُدرجه تحت وسائل الاتّساق المشتركة بين الشكلية والدلالية[٢] .

أصناف الوصل :

قدّم الباحثان (هاليداي وحسن) تصنيفاً لأنماط العلاقات التي يمكن تحقيقها على مستوى أدوات الوصل داخل النص، وتعمل هذه الأدوات على تزويدنا بعلاقات تربط بين أجزاء النص[٣] ، وقد صنّفاها إلى[٤] :

. وصل إضافي يتمّ بواسطة الأداتين (و) ، (أو) ، وتندرج تحته علاقات أخرى من نحو : بالمثل ، أعني ، بتعبير آخر ، مثلاً ، نحو .

. وصل عكسي ، أي (عكس ما متوقّع) ، ويتمّ بالأداة (لكن) و (حتّى)

. وصل سببي ، ويكون بين جملتين أو أكثر ، ويمكّننا من إدراك العلاقات المنطقية بينها ، ويتمّ بـ(هكذا ، نتيجة لذلك ، لهذا السبب)[٥] .

. وصل زمني ، ويتمّ بين جملتين متتابعتين زمنياً ، ويتمّ بـ(ثمّ) .

ويرى الدكتور (صبحي الفقي) أنّ مثل هذا التصنيف لا يقف عند حدّ الحروف والأدوات المخصصة للعطف ، بل يتعدّاها إلى الكلمات ، وأحياناً العبارات ، وهذه الأنماط وإن كانت تؤدّي معنى العطف إلاّ أنّها تخرجنا عن الإطار الطبيعي الذي وُضع للعطف ، ويرى ضرورة أن توضع تحت عنوان (أنماط أخرى للعطف)[٦] .

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢١٦ .
(٢) ينظر : نحو النص بين الأصالة والحداثة ، د. أحمد محمّد عبد الراضي : ١١٢ .
(٣) ينظر : تحليل الخطاب : ٢٢٩ .
(٤) ينظر : لسانيات النص : ٢٣-٢٤ .
(٥) ينظر : تحليل الخطاب : ٢٢٩ .
(٦) ينظر : علم اللغة النصي : ٢٦٢/١ .

أمّا رؤية (دي بوجراند) للعلاقات التي يمكن أن تؤديها أدوات الوصل ، فتتمثّل في أربعة معانٍ ، وهي تقترب إلى حدّ ما من تصنيف (هاليداي وحسن) ، ولكن تحت مصطلحات مختلفة ، وقد أطلق عليها أنواع الربط ، وهي[١] :

أولاً : مطلق الجمع ، ويربط صورتين أو أكثر بالجمع بينهما ، وتكونان متّحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين ، وأداة مطلق الجمع (and) تشير إلى جمع الأحداث في نسق زمني وسببي[٢] ، ويقابلها في العربية (الواو)[٣].

ثانياً : التخيير ، ويربط صورتين أو أكثر على سبيل الاختيار ، غير أنّ الاختيار لا بدّ أن يقع على محتوى واحد ، ويستعمل في ذلك (أو)[٤] ، ويرى (دي بوجراند) أنّ إجراءات التخيير صعبة ؛ إذ على منشئ النص إذا أراد الاحتفاظ بتكامل عالم النص اختيارُ البديل المناسب واستعمالُه مع اطّراح البدائل الأخرى[٥] . وبعبارة أخرى أنّ الربط بـ(أو) داخل جملة ما يتمّ بين بديلين يكونان حاضرين في موقع التخزين النشط لدى المنتج ، وواحد منهما هو الذي يقع في عالم النص[٦] .

ثالثاً : الاستدراك، ويربط صورتين بينهما علاقة تعارض على سبيل السلب ، إذ يعدّان في ذواتهما غير قابلين اجتماع أحدهما بالآخر ، ومع ذلك يوجدان في عالم نص واحد[٧] ، أي الربط بين شيئين لهما المكانة نفسها ، لكنّهما يبدوان غير متّسقين أو متدافعين ، كأن يكونا سبباً ونتيجة غير متوقّعة[٨]، وتستعمل لذلك الأدوات (لكن، بل، مع مع ذلك)[٩] .

---

(١) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦-٣٤٧ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ٣٤٨ .
(٣) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٢٩ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ١٢٩ .
(٥) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٤٨ .
(٦) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٠٩ .
(٧) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٤٩ .
(٨) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٠٧ .
(٩) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٢٩ .

رابعاً : التفريع ، ويشير إلى أنّ تحقّق علاقة التدرّج بين صورتين يتوقّف على حدوث الأخرى ، ومعنى ذلك أنّ الربط بين شيئين تعتمد مكانة أحدهما على مكانة الآخر[١] ، ويستعمل لذلك (لأن ، ما دام ، ولهذا ، والفاء ، وثمّ ...)[٢].

والملاحظ على تصنيفات النصيين للوصل أنّه قائم على وجود أدوات الوصل ، ولا يخفى ما لهذه الأدوات من أثر في ترابط النص واتّساقه ، فكلّما كثر ورودها في النص ، ازدادت قوة الاتّساق والتماسك بين مكوّناته[٣] ، على أنّ (دي بوجراند) نبّه على جواز حدوث العلاقات بين العناصر أو الصور المختلفة من دون التصريح بأداة من أدوات الربط بالوصل أو العطف[٤] .

وهذا يمدّنا بحقيقة مفادها إمكانية حدوث الاتّساق من دون أداة العطف ، وعزا (جون كوين) هذا الأمر إلى التجاور ، وعدّه الشكل الطبيعي للربط ، فحيث يوجد كلام متتال يوجد بالضرورة تسلسل ، ومن ثمّ يوجد ربط للعبارات ، مع ضرورة النظر إلى وحدة التفكير التي تجمع هذه التعبيرات المتتالية[٥] . وقد أشار الأزهر الزنّاد إلى هذا الربط تحت عنوان الربط المباشر ، ووضع قاعدة سمّاها (قاعدة الربط البياني) ، مفادها ((كلّ جملتين متتاليتين في النص ، ثانيتهما بيان للأولى ترتبطان ارتباطاً مباشر بغير أداة))[٦] ، وبيّن الدكتور حماسة هذا الأمر بقوله : ((يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه ، وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجهما ، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدلّ على المشاركة ، مثل اختصم واشترك وتصالح ، ... ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف المعطوف عليه))[٧] .

---

(١) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٠٧ .
(٢) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٢٩ .
(٣) ينظر : علم اللغة النصي : ٢٥٨/١ .
(٤) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦-٣٤٧ .
(٥) ينظر : بناء لغة الشعر : ١٦٦-١٦٧ .
(٦) نسيج النص : ٤١ .
(٧) بناء الجملة العربية : ١٩٣ .

أثر الوصل في تحقيق الاتّساق :

للوصل أثر كبير في اتّساق النص؛ لأنّ من شأنه تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة[١]، ويعمل أيضاً على تنظيم بنية المعلومات داخل النص ، ويحقّق استمرارية الوقائع فيه ممّا يساعد القارئ في متابعة خيوط الترابط المتحرّكة عبره[٢]، وأنّ أدوات الوصل تمثّل علامات على العلاقات القائمة بين الجمل ، فبها يتحقّق التماسك وتتبيّن مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص[٣] ، والوصل بذلك يتجاوز مستوى الربط إلى المستوى الجمالي الذي تتكثّف به رؤية النص ، حيث يكسبه حركة دلالية تتناغم من خلاله العناصر رغم تباعدها[٤] .

وقد وُظّفت أدوات الوصل في النص القرآني بشكل كبير ، وكانت من أكثر وسائل الاتّساق حضوراً ، إذ لا توجد سورة تخلو منها ، وورود أدوات الوصل بهذا الكمّ يمكّننا من إدراك ((إلى أي حدّ اتّسم هذا النص الكريم بالإيجاز والتماسك ، فكلّ أداة من هذه الأدوات أدّت حين استخدامها إلى حذف كلمات وجمل كثيرة ، كانت بالطبع سوف تؤدي إلى الحشو الزائد الذي يتنزّه عنه النص الكريم))[٥] .

إنّ كثرة ورود الوصل في النص القرآني يكشف لنا عن وظيفة أدواته ، إذ إنّها تعمل على تكوين جمل مركّبة من جمل بسيطة[٦] ، ومن ثمّ بيان المعنى الدلالي الذي ينتج عن عن توظيف هذه الأدوات داخل النص ، متجاوزة بذلك دلالاتها الثابتة .

وتجدر الإشارة إلى أنّه ليس بالإمكان دراسة كلّ ما ورد من وصل هنا ، إذ هو كثير ومتفرّع ، لذا سنقتصر على إيراد نماذج له بالأدوات (الواو ، الفاء ، أو ، ثم) ، من دون النظر إلى بقية الأدوات التي عُدّت عاطفةً أيضاً .

---

(١) ينظر : لسانيات النص : ٢٤ .
(٢) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٩٩ .
(٣) ينظر : نسيج النص : ٣٧ .
(٤) ينظر : النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، محمد عبد الباسط عيد : ١٩٧ .
(٥) علم اللغة النصي : ٢٥٨/١ .
(٦) ينظر : النص والسياق : ٨٣ .

ومن العطف ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ﴾ [النمل: ٢٨] . وما يلاحظ أنّ أول عطف يبرز هنا هو العطف بالفاء (فألقه) ، وقد أفاد التعقيب بلا مهلة أو فاصل زمني[١] .

ومجيء العطف بالفاء له دلالة تناسب الموقع الذي جاءت فيه ، إذ رسمت صورة تراتبيّة في غاية الدقة ، حيث لمّا زاد قلق سليمان (عليه السلام) بسجود قوم سبأ لغير الله، أمر الهدهد بغاية الإسراع ، فأشار إلى ذلك بالفاء[٢] . وبعد ذلك استعمل الأداة (ثمّ) للتراخي في الزمان[٣] في (ثمّ تولّ) ؛ كي لا يداخلهم شكٌّ في أنه هو الملقي له ، فأمره أن يمكث بعد إلقاء الكتاب يرفرف على رؤوسهم حتى يتحقّقوا أمره[٤] ، فناسب العطف بـ(ثُمّ) في هذا الموقع المعنى الذي سيق له. والربط هنا تمّ بين مجموعة عبارات داخل جملة واحدة ، وهو المستوى الثاني من مستويات الربط التي أشار إليها الدكتور الفقي[٥] .

والعطف هنا بـ(الفاء ، وثُمّ) من معطيات الدرس النصّي ، وينضوي تحت ما عبر عنه (هاليداي وحسن) بالوصل الزمني الذي يقتضي تتابع جملتين ما زمنياً ، ويندرج تحت العلاقة الرابعة التي أشار إليها (دي بوجراند) بالتفريع ، التي تفيد بأنّ بين صورتين ما علاقة تدرّج تتوقف إحداهما على حدوث الأخرى ، فصورة الإلقاء في النص القرآني (فألقه) تتوقّف على حدوث (الذهاب) ، فإن لم يكن ثمّة ذهاب لم يكن إلقاء ، وصورة التولّي في (ثمّ تولَّ) تتوقف أيضاً على الإلقاء ، فتحقّق حدوث الصور متوقّف على تدرّج العلاقات بينها ، فليس ثمّة شكّ إذن فيما قامت به أداتا العطف هنا من صنع اتّساق على مستوى الجملة القرآنية ، ومن ثمّ ما أحدثاه من دلالة.

ومن العطف ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ [الكهف: ١٩].

---

(١) ينظر : من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ، د. محمد أمين الخضري : ٥٠ .
(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٥٦/١٤ .
(٣) ينظر : معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ، محمد حسن الشريف : ٦٢٠/٢ .
(٤) ينظر : نظم الدرر : ١٥٦/١٤ .
(٥) ينظر : علم اللغة النصي : ٢٧٧/١ .

وقد ورد العطف بـ(أو) ، إذ عطف (بعض) على (يوماً) ، وقد أفاد هنا الشك ، إذ العطف مرتبط بحال المتكلّم كونه في حالة شكّ لا يعرف التعيين ، بل هو متردّد[١] ، فهو عطف مناسب للظن الغالب من بعضهم ، بدليل أن بعضاً آخر منهم ردّوا بما علموا من الأدلة أو بإلهام أنّ المدّة متطاولة فقالوا (ربكم أعلم بما لبثتم)[٢]، وهذا يدلّ على أنّ الخطاب المحكي جارٍ على منهاج المحاورة وإلاّ لقيل ثمّ قالوا ربكم أعلم بما لبثنا[٣] ، فناسب العطف بذلك الموقع الذي وقعت فيه أداة العطف .

أمّا العطف بالفاء فقد ورد ثلاث مرّات (فابعثوا)، و(فلينظر)، و(فليأتكم)، وهو في الأولى وقع موقعاً مناسباً لما تحمله الفاء من معنى التعقيب بلا مهلة ، إذ جاء الخطاب بالفاء لمّا رأى كبير أصحاب الكهف الاختلاف بينهم[٤] ، وكأنّه بادر بالإسراع في الكلام ليتركوا الخوض في ما نجم بينهم من اختلاف ويشتغلوا بما ينفعهم ، أمّا الثانية (فلينظر) فقد عطفت ما اتّصل بها على ما قبلها بالترتيب وبلا مهلة ، وكذلك الثالثة .

وما يُسجّل على العطف بالفاءات الثلاثة هو وجود علاقات التدرّج بينها جميعاً ، فحدوث واحدة منها مترتّب على الأخرى ، فالإتيان بالطعام مترتّب على التوجّه في طلبه ، والتوجّه في الطلب مترتب على قطع الجدال في مدّة اللبث[٥]. وعندما انقطع الترتيب ، ورد العطف بالواو ، إذ لم يكن التلطّف مترتباً على ما قبله ، أي إتيان الطعام ، وقد أفاد عطف ما اتصل به (وليتلطف) على ما قبله، أمّا ما ورد في قوله : (ولا يشعرن) فقد أفاد مطلق الجمع بين صورتين متشابهتين ، ذلك أنّ قوله : (ليتلطف) أمر للمبعوث بالتخفي حتى لا يُعرف، وقوله : (ولا يشعرن) ، أي لا يفعل ما يؤدي إلى الشعور بنا[٦] ، فالتخفي فالتخفي وعدم الإشعار صورتان متلازمتان ونسقهما واحد ، وعلى حدّ تنظير (دي بوجراند) ينتميان إلى بيئة متشابهة ومتّحدة ، فناسب بذلك العطف بالواو الجمع بين

---

(١) ينظر : معجم حروف المعاني : ٤٣٣/١ ، ٤٣٩ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ١٠٧/٦ .
(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢١٣/٥-٢١٤ .
(٤) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ، لابن عادل الدمشقيّ : ٤٤٩/١٢ ، ونظم الدرر : ٣٢/١٢ .
(٥) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٧٥/٤ .
(٦) ينظر : الكشّاف : ٥٧٣/٣-٥٧٤ .

الصورتين . وبذلك تظهر قيمة أدوات العطف هنا بما عملته من اتّساق شكلي بين الجمل القرآنية ، تبعه تماسك دلالي .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئه بج بح بخ به تج تح تخ ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٦] .

إذ ورد العطف بالواو في مواضع كثيرة من هذا النص، وبلغ عدد وروده تسع مرات، جاء في سبعة مواضع منهن على لسان شعيب (عليه السلام) ، وفي موضعين على لسان أصحاب الأيكة ، والعطف بالواو هنا من صميم ما يقتضيه الدرس النصّي ؛ إذ جاء بحسب ما يقتضيه مطلق الجمع ، وبه تمّ الربط بين مجموعة صور متشابهة من حيث البيئة ومتّحدة، وفي نسق زمني وسببي واحد، فالاتقاء، والطاعة، والإيفاء بالكيل ، وعدم الخسران ، والوزن بالعدل ، وعدم بخس الناس أشيائهم ، وعدم الإفساد ، كلّها صورٌ متشابهةٌ قصد إليها المتكلّم ، فكانت دعوات متراكمة في نفسية المخاطِب ، حاول الدعوة إليها جميعاً ، ولم يستغن بواحدة منها عن الأخرى فلم يراخِ في زمنها ، بل استعمل لذلك عطفاً يوائم حصولها جميعاً في آنٍ واحد .

ولا شكّ في أنّ هذا الأسلوب ممّا يضفي على النص اتّساقاً، ومن ثمّ يكسبه دلالةً، على أنّ هذا الأمر يصدق على الآيات التي وردت فيها دعوة الأنبياء (عليهم السلام) أقوامهم[١] .

أمّا ما جاء من عطف بالواو على لسان أصحاب الأيكة في ردّهم على نبيّهم ، فيجري عليه مثل ما جرى آنفاً ، إذ ربطت الواو بين مجموعة من الجمل ، ولم تقتصر على الربط على مستوى جملة واحدة ، وأنّ المتعاطفات التي جاءت على لسانهم جاءت متشابهة جميعاً من حيث الصور ، وفي نسق واحد ، فزعمهم بأنّه مسحور كنايةً لنفي رسالته عن الله (عز وجل) ، وأنّه بشرٌ مثلهم إبطالاً ثانياً لرسالته ؛ لأنّ ما يصدر عنه ليس

(١) ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر : الأعراف : [٧٣-٧٧ ، ٨٥-٩١] ، الشعراء : [١٠٥-١١٨ ، ١٢٣-١٣٨ ، ١٤١-١٥٧ ، ١٦٠-١٦٩] .

وحياً على الله ، بل هو من تأثير كونه مسحوراً[١] ، وأنّه كاذب ، فمآل المعاني كلّها واحدة ، وكل ذلك مصاديق على اتّحاد هذه الصور .

ومن العطف قوله تعالى : ﴿ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ﴾ [الكهف: ٣٧] . ردّاً على قوله : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [الكهف: ٣٤]

وقد ناسب العطف بـ(ثم) الموقع الذي ورد فيه، فاستعمال (ثمّ) إنّما يكون للعطف في المدّة المتطاولة التي يُعبّر عنها بالتراخي، وليس من شكّ أنّ أطواراً عدّة ومدة زمنية متباعدة بين الخلق من التراب ، إلى النطفة ، إلى تسويته رجلاً ، وليس بخافٍ ما بين كون الإنسان نطفة وكونه رجلاً من مراحل تقتضي مدة زمنية متباعدة .

فلا يخفى إذن ، ما عملته أدوات العطف على تنوّعها واختلاف ورودها من أثر في اتّساق النص القرآني على المستوى الشكلي إذ ربطت بين العبارات على مستوى الجملة الواحدة، متجاوزة في بعض الأحيان حيّز الجملة والفواصل التركيبية إلى مجموع الجمل داخل النص ، فضلاً عمّا أنتجته من دلالة من خلال التركيب الذي وردت فيه .

تناوب حروف العطف :

ورد في كثير من المواضع داخل النص القرآني وقوع حروف العطف في غير موقعها ، أي يقع حرف عطف في تركيب ما فيحل محلّ غيره ، ومن ثمّ ينوب عنه في المعنى ، وليس من شكّ أن هذا الإجراء لا يخرج هذه الحروف عن اختصاصها ، بل يؤتى به قصداً لدلالة خاصة ، ولعلّ ما يسوّغ هذا الأمر أنّ حروف العطف مشتركة فيما بينها جميعاً من الناحية الوظيفية . ومن التناوب في الآيات التي هي موضع الدراسة التناوب بين حرفي العطف (أو) والواو في قوله تعالى : ﴿ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ﴾ [طه: ٤٤] .

فالوضع اللغوي يقتضي أن يكون العطف بالواو ، لكنّه جاء بـ(أو) ، و(أو) هنا أفادت الإباحة في إيقاع أحد الأمرين، ولا يمتنع من الجمع بينهما ، ولكن المراد به الأمر

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨٦/١٩ .

بأحدهما رفقاً بالمكلّف[١]، ((ومن علامات التي للإباحة استحسان وقوع الواو موقعها))[٢]، فجاز بذلك استعمال (أو) على معنى الواو، لما بين التذكّر والخشية من التناسب والتلازم، فكلاهما يحملان دلالة عدم الشك في الله عزّ وجلّ[٣] ، ولا خشية من دون تذكّر[٤] ، فربطت (أو) بين صورتين تنتميان إلى بيئة واحدة ومتشابهة ، وفي نسق زمني وسببي واحد، على حد تعبير علماء النص، فصارت بذلك شأنها شأن الواو.

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ ﴾ [هود: ٧٠–٧١] . والفاء في (فبشرناها) تُحمل على معنى الواو فتنوب عنه، لأنّ الأصل في الضحك أن يكون متحقّقا بالتبشير ، بدليل تقدّم التبشير في قوله تعالى : ﴿ □ □ □ □ ى ى ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [الذاريات: ٢٨–٢٩] .

قال الفرّاء (ت٢٠٧هـ) : ((هذا مقدّم ومؤخّر ، والمعنى فيه : فبشّرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة ، وهو ممّا قد يحتمله الكلام))[٥] .

فحمل الفاء هنا على ما تحمله من معنى الترتيب والتعقيب، لا يمكّننا من إدراك أو حدوث علاقة التدرّج بين الضحك والتبشير ، التي تقتضي من وجهة نصية أنّ إمكان حدوث الثاني يتوقّف على إمكان حدوث الأول ، ولعلّ اشتراك الضحك والبشارة في بيئة واحدة ، هو الذي سوّغ وقوع الفاء بمعنى الواو، والفاء جائزة أن تقع موقع الواو إذا كان المتعاطفان بمعنى واحد[٦] .

الفاء وطي الزمن والأحداث :

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢١١/٤ .
(٢) شرح التسهيل ، لابن مالك : ٣٦٤/٣ .
(٣) ينظر : البحر المحيط : ٢٣٠/٦ .
(٤) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٣٩٨/١٣ .
(٥) معاني القرآن : ٢٢/٢ .
(٦) ينظر : الأدوات النحوية في كتب التفسير ، محمود أحمد الصغير : ٥٦٠ .

اختصّت الفاء من بين أدوات العطف بالتعقيب فضلاً عن إفادتها الترتيب ، حتّى سُمّيت فاء التعقيب دلالة على رسوخ هذا المعنى فيها[١] ، ومعنى التعقيب اتّصال المعطوف بها بالمعطوف عليه بلا مهلة[٢]، قال المراديّ (ت٧٤٩هـ) : ((إذا قلت : قام زيد فعمرو، دلّت على أنّ قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة ، فتُشارك (ثُمّ) في إفادة الترتيب ، وتفارقها في أنّها تفيد الاتّصال ، و(ثُمّ) تفيد الانفصال))[٣] .

وعلى هذا فإنّ التعقيب يقتضي زمناً قصيراً جداً بين المتعاطفين ، ولكن في بعض السياقات القرآنية نجد أن المعطوف بالفاء يقتضي زمناً طويلاً ، إذ يطول الزمان بينه وبين ما عُطف عليه ، وبذلك فإنّ معنى التعقيب يكون مخالفاً لما وُضع عليه ، فلم يجدوا بدّاً من التوسّع في معناه[٤] ، قال ابن هشام في المغني: ((وهو في كلّ شيء بحسبه ، ألا ألا ترى أنّه يقال : تزوّج فلانٌ فوُلد له، إذا لم يكن بينهما إلاّ مدّة الحمل، وإن كانت متطاولة))[٥]، إلاّ أنّ مفهوم التوسّع في التعقيب هنا سيجعل من الفاء ترادف (ثمّ) في التراخي، فالمعنى الأخير هو ما يُعبّر به عن المدة المتطاولة، وبذلك يكون في الفاء خروج عن العادة أو مخالفة لما يقتضيه معنى التعقيب.

ومن الأمثلة القرآنية الدالة على هذا الخروج ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ﴾ [مريم: ٢٢ – ٢٣] .

وليس ثمّة شكّ في أنّ الزمن الذي يقتضيه الحمل زمن طويل ، فيجب أن يُعبّر عن المدة بين الحمل والوضع بـ(ثُمّ) ، يدلّ على هذا قوله تعالى : ﴿ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾ [عبس: ١٩–٢٠]، ولكن أمر الله دلّ على سرعة تسبيب الحمل، ثمّ عقّبه بالنبذ أي الاعتزال ، والمخاض ، دلالة على قرب الولادة[٦]، وكلّ ذلك تمّ متعاقباً لدلالة الفاء على ذلك ، قال (ابن الأثير) : ((وهذه الآية مزيلة للخلاف؛ لأنّها دلّت صريحاً على أنّ

---

(١) ينظر : المرجع نفسه : ٥٥٧ .
(٢) ينظر : الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم ، شرف الدين الراجحيّ : ١٨ .
(٣) الجنى الداني في حروف المعاني : ٦١ .
(٤) ينظر : من أسرار حروف العطف : ٥٠ .
(٥) مغني اللبيب : ١٧٤/١ .
(٦) ينظر : نظم الدرر : ١٨٦/١–١٨٧ .

الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، وربّما كان ذلك في يوم واحد أو أقل، أخذاً بما دلّت عليه الآية))[١] .

واتصال الحمل بالفاء فيه من المهلة الزمنية المتطاولة ما يخالف معنى التعقيب الذي تقتضيه الفاء ، ولكن الاختصار في الزمن هنا يمثّل خرقاً للعادة وخروجاً عن المألوف، فيكون بمنزلة انعدام الزمن[٢] ، فحسُن التعبير بالفاء هنا دلالة على طيّ الزمن وسرعة الأحداث ، وامتثالاً لأمره تعالى .

وليس أدلّ على ما طُوي من الأحداث التي يقتضي حدوثها زمناً متطاولاً ، مثل ما دلّت عليه الفاء ، في قوله تعالى : ﴿ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ﴾ [النمل: ٤٠] .

إذ ناسبت الفاء في قوله : (فلمّا رآه مستقراً) ، في طيّ الزمن والأحداث ، سرعة وقوع الحدث ، وهو الإتيان بعرش بلقيس ، إذ لم يكن بين ما وعد به مَن عنده علمٌ من الكتاب ، ورؤية سليمان للعرش مستقرّاً أمامه قبل أن يرتدّ طرفه ، أيّة مدّة ، على أنّ أبا حيّان وغيره قدّروا أفعالاً محذوفة دلّت عليها الفاء، نحو (فدعا الله ، فأتاه به)[٣] ، وعطفت ما اتّصلت به عليها ، وتقدير الأفعال أمام ما طوته الفاء فيه إماتة للحدث ، ((فما يستغرقه ارتفاع الطرف وانخفاضه من الزمن، دون زمن النطق بفعل واحد))[٤].

المبحث الرابع : الاتّساق المعجمي :

أولاً : التكرار (Repetition) :

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٥١/٢ .
(٢) ينظر : من أسرار حروف العطف : ٥٤ .
(٣) البحر المحيط : ٧٣/٧ ، وينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٨٧/٦ .
(٤) من أسرار حروف العطف : ٨١ .

شغل التكرار حيّزاً كبيراً في الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً ، واحتفت به دراسات النص بصورة خاصّة ، حتّى عُدّ أداةً مركزية في النص ، والتكرار أسلوب يشيع في النصوص والخطابات على حدّ سواء ، ويؤدّي فعلاً تعبيرياً واضحاً ؛ إذ يعمد منتج النص بوعي منه أو من غير وعي إلى تكرار لفظٍ ما ، ويكون هذا المكرّر إبرازاً للعنصر الأول الذي وقع موقعاً سابقاً له ، فيحمّله معنى مشحوناً بالدلالة يقصد إليه قصداً ، وهو ممّا لا شكّ فيه مختلف عن معنى العنصر الأول ، فتكرار عنصرٍ ما قد يوحي بأهميته أو سيطرته ، ومن ثمّ يشكّل محوراً أو بؤرة ، إذ يعمل على إحداث تأثير في المتلقّي ، يدرك من خلاله القيمة الدلالية المضافة للعنصر المكرّر في هذا الموقع ، وهو وسيلة من وسائل الاتّساق النصيّ ، إلاّ أنّه يختلف عمّا تقدّمه من مثيلاته من الوسائل ، كونه ظاهرةً تُعالَج على وفق المعجم والنحو والدلالة .

والتكرار في اصطلاح النصيين ((إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة ، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف ، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة ، أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة))[١] .

إنّ صور التكرار في النص تتمثّل في إعادة عنصر معجمي ، أو صوتي ، أو تركيبي ، أو دلالي[٢] ، وهناك حالات تشبه التكرار إلى حدّ ما ، كالإحالة والحذف اللذين يعبران عن إعادة أو تكرار مضمر ، وقد تأسّس على هذا الفهم اختلاف في نظرة النصيّين إلى العنصر المكرّر ، إذ يرى (دي بوجراند) أنّ التكرار وحدة معجمية تتمثّل في ((إعادة اللفظ في العبارات السطحية))[٣] ، على حين نظر (براون ويول) إلى التكرار على أنّه وحدة نحوية فعالجاه ضمن الإحالة ، ولم يقدّما مفهوماً خاصاً به ، بل اكتفيا بذكر أنواعه[٤] .

---

(١) علم اللغة النصي : ٢/٢٠ .

(٢) ينظر : أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة ، د. عبد الحميد هنداوي ، (صحيفة دار العلوم ، كلية دار العلوم ، ديسمبر ، ١٩٩٩) : ٩١ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٣٠٣ .

(٤) ينظر : تحليل الخطاب : ٢٣٠-٢٣١ .

والفهم الأخير عبّر عنه الزنّاد بمصطلح الإحالة التكرارية (Epanaphora)، أو الإحالة بالعودة ، ويرى أنّ هذا النوع من الإحالة من أكثر الأنواع دوراناً في الكلام[١]، وأنّ من شأنه أن يحقّق القوة في الثبات ؛ لأنّ الوحدات المكرّرة تحتفظ بالإحالة نفسها ، وتستمرّ في تسمية الشيء نفسه في عالم النصّ[٢] ، ويشترط في هذا النوع من التكرار وحدة المرجع ، أي يتمّ من خلال تكرار لفظين مرجعهما واحد ، فالثاني يحيل على الأول[٣] ، أمّا إذا اختلفا في المرجع فلا يمكن أن يصدق عليهما مصطلح الإحالة التكرارية .

ويُستعمل التكرار لتقرير وجهة نظرٍ معينة وتوكيدها ، إذ لا طائل من إعادة التعبير ذاته مرتين[٤] ، ويُوظّف لتحقيق العلاقات المتبادلة بين العناصر اللغوية التي يتكوّن منها النص[٥] ، ويشترط في اللفظ المكرّر للقيام بهذه الوظيفة ((أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام ، وإلا كان لفظة متكلفة لا سبيل إلى قبولها))[٦] ، وأن يكون اللفظ المكرّر شائعاً وارداً بنسبة عالية في النصّ ، وأنّ رصده يساعد على حلّ رموز النصّ ، وإدراك الكيفية التي يؤدّي بها دلالته[٧] .

والاشتراط بالنسبة هنا محلُّ نظر ، وهو أمرٌ لا يمكن تعميمه ؛ فشيوع المكرّر بنسبة عالية قد لا يصدق في النصوص جميعها على مستوى واحد ، إذ قد يكثر في نص ما ، وقد يقل في آخر ، وورود في كلا النصّيين محقّق للاتّساق ، ولعلّ هذا يمدّنا بحقيقة مؤدّاها أنّ أثر العنصر المكرّر في ارتباطه بمعنى النص ، أو في ما ينتجه من دلالة أكثر من نسبة وروده .

---

(١) ينظر : نسيج النص : ١١٩ .
(٢) ينظر : الدلالة والنحو ، د. صلاح الدين حسنين : ٢٤٢ .
(٣) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ٧٩ .
(٤) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ٨٢ .
(٥) ينظر : نظرية علم النص : ١٠٧ .
(٦) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : ٢٣١ .
(٧) ينظر : ظواهر أسلوبية في شعر شوقي ، صلاح فضل ، (مجلة فصول ، مج١ ، ع٤ ، ١٩٨١) : ٢١٠ .

وبلحاظ ما قيل في التكرار ، فإنّه يؤخذ عليه تقليله من الإعلامية وتقليصها ، وقد نبّه (دي بوجراند) على هذا بقوله : ((ويمكن لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضارة لأنّها تحبط الإعلامية ، ما لم يكن هناك تحفيز قوي))[١] ، وللتغلّب على ذلك لا بُدّ أن يُخالف ما بين العبارات بواسطة المترادفات[٢] ، وباستعمال((بعض الأساليب التي تتكرّر فيها الأشكال مع بعض الاختلاف في المحتوى، أو يتكرّر فيها المحتوى مع اختلاف الأشكال))[٣].

أنماط التكرار :

ثمّة اعتباران في تقسيم التكرار : الأول لفظي[٤] ، أي يتمّ بإعادة اللفظ ، ويُقسم على أساسه التكرار إلى كلّي ، حيث تتكّرر الكلمة من دون أي تغيير ، أو جزئي[٥] ، ويندرج تحته تكرار الحروف ، والكلمات ، والعبارات ، والجمل ، والفقرات[٦] ، ويتطلّب هذا النوع من التكرار وحدة الإحالة بين العنصرين المكررين بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد[٧] . والاعتبار الثاني اعتبار دلالي أو معنوي ، وهو يلي ما سبق في الأهمية ، ، ويتمثّل في مجموعة أوجه، منها التكرار بالترادف، والاشتراك اللفظي ، والتوكيد ، والبدل ، وتكرار المعنى الجملي ، وتكرار الدلالة الحالية أو المقامية ، وتراكم الإيحاءات والدلالات لعناصر معجمية ، أو يتمّ بواسطة كلمة شاملة تندرج تحتها كلمة أخرى ، أو باسم عام غير محدد الدلالة ، أو التفصيل بعد الإجمال[٨] .

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٠٦ .

(٢) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ٨٧ .

(٤) ينظر : أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة : ٩٤ .

(٥) ينظر : نظرية علم النص : ١٠٧ .

(٦) ينظر : علم اللغة النصي : ٢٠/٢ .

(٧) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠٣ .

(٨) ينظر : نظرية علم النص : ١٠٧ ، وعلم اللغة النصي ، نادية رمضان النجار : ٣٣٦-٣٤٠ ، وأسلوب التكرار بين بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة : ٩٥ .

والنمط الأول من التكرار، أي (اللفظي) يدخل ضمن الحيز المعجميّ ، و((هو الذي نهتمّ به على أساس أنّه وسيلة لإيضاح تماسك النص))[١] ، وسُمّي بالمعجميّ تفريقاً له عن الدلالي ، وهو الذي سيكون موضع الدراسة هنا ، من دون التطرّق إلى الثاني، أي (الدلالي المعنوي)؛ لأنّ هذا الأخير يدخل ضمن البحوث الدلالية التي تندرج تحت معيار الانسجام .

مع التنويه إلى أنّه لا ينبغي معالجة ظاهرة التكرار من جهة النظر إلى أنّه تكرار لعناصر أو تراكيب تمّت ضمن إطارٍ معجميٍّ فحسب ، وإنّما إلى ما ينتج عنه من أبعاد دلالية ، إذ ليس ثمّة شكّ في أنّ معاني أو إيحاءات قد ترتّبت على هذا التكرار ، وإلاّ كان ضرباً من العبث أو الزيادة المخلّة .

أثر التكرار في تحقيق الاتّساق :

يحمل التكرار طاقة وظيفية تمثّل دعماً دلالياً لمفردات محددة في نصّ ما ، وإبقاؤه عليها ظاهرة مكرّرة للقارئ في بؤرة النص يؤكّد أهمّيتها في بناء المعنى[٢] ، وزيادة على ذلك فإنّه يؤدّي إلى تحقيق الاتّساق النصي ، ممّا يُسهم في استمرارية المعنى ((عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتّى آخره ، ... وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص، بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك النصّي الأخرى))[٣]. وهذا يمنح منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأنّ أحد المكرّرين قد يُسهم في فهم الآخر[٤]، الآخر[٤]، مما يمثّل بذلك دعماً لبناء النص وإعادة تأكيده .

وقد يؤخذ على التكرار في بعض الأحيان أنّه من باب الزيادة المخلّة ، وهذا الأمر قد يصدق على بعض النصوص الأدبية[٥] ، ولا يصدق على النصّ القرآني ، إذ لم يرد التكرار في القرآن الكريم إلاّ وكان في وروده غرض ما .

---

(١) الدلالة والنحو ، د. صلاح الدين حسنين : ٢٣٦ .
(٢) ينظر : نظرية علم النص : ١٠٨ .
(٣) علم اللغة النصي : ٢٢/٢ .
(٤) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠٦ .
(٥) ينظر : قضايا الشعر المعاصر : ٢٤٣ ، ٢٤٥ .

ومن التكرار في آيات الردّ قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٦] .

وقد تكرّرت كلمة (ربّ) تكراراً تاماً ؛ إذ امتدّت من بداية النص إلى آخره ، وشكّلت حضوراً مكثّفاً على مستوى النص ، فكانت بذلك عنصراً متسيّداً ، وإلحاحاً على جهة مهمة أو نقطة حسّاسة في الخطاب تكشف عن اهتمام المتكلّمين بها[١] ، وبغيابها يكون النص متفكّكاً ولا يُتصوّر استقامته، والعنصر المكرّر الأول المضاف إلى (موسى وهارون) ، أحدث تدرّجاً أو انتقالاً في معنى الربوبية ، وذلك عن طريق إبداله من الأول لئلاّ يُتوهّم أنّ مرادهم فرعون[٢] ، الذي يدّعي الربوبية أيضاً ، فتوظيف التكرار اللفظي هنا أضاف قيمة دلالية أو معنى مختلفاً كلّياً عن الذي وقع موقعاً سابقاً له ، مع أنّ لفظهما واحد ، وفي تكرار كلمة (ربّنا) في قولهم (إنّا إلى ربّنا منقلبون ...) إيصال لفكرة إيمانهم بالله إلى ذهن المخاطب وتأكيد لها ، ولاسيما أنّها جاءت بعد وعيده لهم بالتنكيل .

وليس ثمّة شكّ ، أنّ للتكرار هنا ارتباطاً وثيقاً بالمعنى العام للنص وموضوعه ، فموضوع سورة الأعراف العقيدة وإنذار من أعرض عن التوحيد[٣]، وتكرار هذه الكلمة على لسان السحرة – وهم في معرض الردّ على فرعون – له دلالة نفسية على إيمانهم بربّ العالمين وصحّة عقيدتهم بعد فسادها ، فمثّلت بذلك ((استعلان الحق في نفوسهم على هذا التوعّد وانتصار العقيدة في قلوبهم))[٤] ، وله وقع شديد على متلقّي الخطاب ، فصارت معادلاً موضوعياً لما ادّعاه فرعون من مقام الربوبية .

إنّ ورود العنصر المكرّر بهذه الكثافة ربط بين عناصر النص ، فهو لم يحقّق اتّساقاً شكلياً فحسب ، بل أضاف قيمة دلالية بما تجدّد من معانٍ .

---

(١) ينظر : المرجع نفسه : ٢٤٢ .
(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٦١/٣ .
(٣) ينظر : نظم الدرر : ٣٤٧/٧ .
(٤) في ظلال القرآن : ١٣٤٤/٩ .

ويتّضح التكرار اللفظي في قوله تعالى : ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [المائدة: ١١٦]

إذ تكرّر العنصر المعجمي (علم) وما اشتُقّ منه كثيراً في هذا النص ، وقد طغت هذه المفردة بصورة واضحة على النص حتّى شكّلت محوراً رئيساً فيه ، وورد العنصر المكرّر الأول بصورة الفعل لتعليل عدم صدور القول منه (عليه السلام)[(١)] ، وجاء العنصر المكرّر الثاني بصيغة الفعل أيضاً ، ونحن نعلم ما للفعل من حركة زمنية ، لها دلالة على استمرار المعنى وتجدّده ، وكرّره ثالثاً بصيغة الاسم دلالة على الثبوت والمبالغة .

فأجملت هذه الصيغ – مع أنّ إحالتها مختلفة – مبادئ العلم بالغيب بما لا يدع مجالاً لإشراك أحدٍ مع الله (عز وجل) بهذه الصفة حتى الأنبياء (عليهم السلام) ، وأكّدت لنا تفرّده بها سبحانه وتعالى ، ومجيء هذه الصيغ مرتبط بالمعنى العام للسورة ، ولا يخرج عنه ، ذلك أنّ سورة المائدة جاءت لـ((بيان الحق في المزاعم التي كان يثيرها أهل الكتاب ممّا يتّصل بالعقائد والأحكام))[(٢)] ، فجاء التكرار مشحوناً بدلالة تحقّق الغرض من تكثيف العنصر المكرّر ، والقصد الذي قصد إليه مرسل الخطاب ، وهو الإقرار بأنّ الله (عز وجل) هو علاّم الغيوب وحده لا شريك له . ولا شكّ أنّ تكرار هذه الصيغ باللفظ نفسه أسهم في صنع اتّساق النص على المستوى اللفظي ، وربطه بالمعنى العام الذي جاءت عليه السورة.

ومن التكرار اللفظي تكرار لفظ القول ، وهذا النوع من التكرار كثير في القرآن الكريم[(٣)] ، وتعليل ذلك أنّ طبيعة بعض السور القرآنية طبيعة قصصية ، تتّخذ أو تجعل من الردّ أو الحوار أساساً لها، ويُعدّ لفظ القول أسلوباً مهماً من أساليب ذلك الحوار[(٤)] .

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٠١/٣ .

(٢) أهداف كلّ سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د. عبد الله شحاته : ٦٢ .

(٣) ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر الآيات التي هي موضع الدراسة: البقرة : [١١–١٣ ، ٣٠–٣٣ ، ٦٧–٧١]، المائدة : [١١٢–١١٩] ، الأعراف : [١٢–١٨ ، ٦٥–٧١]، هود : [٢٥–٣٤ ، ٨٧–٩٣] ، يوسف : [٤٣–٤٩، ٨٨–٩٢] ، الحجر : [٣٢–٤٣ ، ٥٢–٦٥] ، الكهف : [٦٠–٨٢] .

(٤) ينظر علم اللغة النصّي : ٥٤/٢ .

وقد تكرّر لفظ القول وما اشتُقّ منه (ست مرّات) في قوله تعالى : ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦] .

وهذا التكثيف في تكرار لفظ القول، أسهم في تحقيق الربط والاتّساق على مستوى مجموعة من الجمل ، لا على مستوى جملة واحدة فقط ، كونه نقل لنا سياقات لغوية مدرجة للحوار ، فمثّل بذلك دعماً لبناء النص ، فلو خلا النص أو هذه السياقات من لفظ القول لكان أقرب للتفكّك منه إلى الاتّساق ؛ إذ لا يمكن بغيابه تصوّر وجود النص .

ومن التكرار اللفظي قوله تعالى : ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ﴾ [الأنعام: ١٣٠] .

والتكرار الواقع هنا هو تكرار للفعل مع الاختلاف في صيغة الاسناد ، إذ ورد في الأول مسنداً إلى ضمير المتكلّم (شهدنا) ، وورد في الثاني مسنداً إلى ضمير الجماعة (شهدوا) . وليس من شكّ أنّ الثاني يحمل دلالة مغايرة لدلالة الأول ، قال الزمخشريّ : ((فإن قلت: لم كرّر ذكر شهادتهم على أنفسهم ؟ قلت : الأولى : حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون، والثانية: ذمٌّ لهم وتخطئة لرأيهم، ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم ، وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة ، وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم))[١] .

ومن دواعي التكرار التغيّر في الصيغة ، أو الانتقال في الوظيفة النحوية مع وحدة المرجع ، أو الاتّحاد في الإحالة على حدّ تعبير (دي بوجراند)[٢] ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى :

---

(١) الكشّاف : ٢/٣٩٧-٣٩٨ .

(٢) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠٦ .

ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ [البقرة: ١١–١٢] .

ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [آل عمران: ٨١] .

ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ [المائدة: ٢١–٢٢] .

ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [الأعراف: ١٤–١٥]

ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [الأعراف: ٧٥]

ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [الأعراف: ١١٥]

فالانتقال من الصيغة الفعلية في قوله (تفسدوا، اشهدوا ، ادخلوا ، انظرني ، آمن ، تلقي) إلى الصيغة الإسمية (المفسدون ، الشاهدين ، داخلون ، المنظرين ، مؤمنون ، الملقين) تمّ بواسطة التكرار الجزئي، وقد يعبّر عنه بالتكرار الاشتقاقي(١) ، وقد أدّى هذا الانتقال إلى خلق صورة لغوية جديدة(٢) .

ومن التكرار الذي ورد في الآيات التي هي موضع الدراسة تكرار الجملة ، وهذا التكرار مما يندرج تحت التكرار اللفظي لا المعنوي ، وهو تكرار تام متماثل بلا تغيير في مكوناتها التركيبية ، والجملة الفعلية تعبّر عن الحدث مرتبطاً بالزمن ، وتكرارها يعني تكرار الحدث ، ومن الأمثلة القرآنية ما جاء في قوله تعالى : ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ [البقرة: ٦٨–٧٠] .

إنّ تكرار الجملة هنا باللفظ نفسه مع وحدة المرجع أو الإحالة ، يدل على عناد بني إسرائيل وتعنّتهم وعدم امتثالهم لأوامر الله (ﷻ) التي جاءت على لسان نبيهم ، والتعبير الذي تحمله هو تعبير قطعي لا يحتمل غير هذا المعنى، والإلحاح في تكرارها إنّما هو

(١) ينظر : علم اللغة النصّي : ٢/٢٦ .
(٢) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠٦ .

تكرار للمعنى ، وبذلك تكون المعاني كلها واحدة كما الألفاظ ، فالجملة الأولى دلّت على تعنّتهم وقلّة طواعيتهم؛ إذ لم يمتثلوا ولم يأتوا بالمأمور[١] ، ((والسؤال بهذه الصيغة يشي بأنّهم ما يزالون في شكّهم أن يكون موسى هازئاً فيما أنهى إليهم ، فهم أولاً يقولون : (ادع لنا ربّك) فكأنّما هو ربّه وحده لا ربهم كذلك ، وكأنّ المسألة لا تعنيهم هم إنّما تعني موسى وربه))[٢] .

وبتكرار الجملة الثانية يتكرّر المعنى ويؤكّد عنادهم وتعنّتهم ، ولعلّ عدم امتثالهم لقول نبيهم (عليه السلام) : (فافعلوا ما تؤمرون) ، يدلّ على ما هم فيه من العناد ، أما في تكرار الجملة الثالثة فقد علّلوا سبب تكرارهم أو إعادتهم السؤال بقولهم : إنّ البقر تشابه علينا ، لأنّ للثالثة في التكرير وقعاً من النفس في التأكيد والسآمة[٣] .

ثم إنّ تكرار الجملة بألفاظها ومعانيها لا يخرج عن المعنى العام الذي وضعت له السورة وسبب تسميتها[٤] ، وإنّ الصورة التي حملها النص الحواري من عناد بني إسرائيل تقترب من صورة موقفهم من الدعوة الإسلامية في المدينة واستقبالهم لها[٥] . فتكرار الجملة الفعلية في فقرات النص وامتدادها في الحوار ، إنّما هو لبيان ما تشغله هذه الجملة من حيّز في النص ، وما تحمله من دلالة ، فتكرار الجملة بألفاظها تكرار للمعنى وتأكيد له ، ولا شكّ أنّ التأكيد غرض من أغراض التكرار ، الذي يمثّل دعماً لبناء النص .

ثانياً : التضام (Collocation) :

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٤١٥/١ .
(٢) في ظلال القرآن : ٧٨/١ .
(٣) ينظر : تحرير والتنوير : ٥٥٤/١ .
(٤) ينظر : أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ١١ .
(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٨/١ .

والتضام علاقة اتّساق تتمّ على مستوى الوحدات المعجمية ، ولعلّ أهمّ ما يميّز هذه الوحدات أنّها لا تحمل في ذاتها ما يدلّ على قيامها بالاتّساق وإنّما يكون ذلك بحسب موقعها في النص[١] ، والتضام من وجهة نظر نصّية هو ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك))[٢] ، ويُسمّى عند (فيرث) بالمصاحبة ، وعرّفه بأنّه ((الارتباط المعتاد لكلمة في اللغة بكلمات أخرى معينة في الجمل))[٣] .

ويرى الدكتور (تمّام حسّان) أنّ التضام يُعبّر عنه بوجهين ، هما : التوارد ، وهو الطرق الممكنة في رصف الجملة ، وهو بهذا المعنى أقرب إلى دراسة الأساليب البلاغية الجمالية ، والوجه الآخر: أن يستلزم أحد العنصرين عنصراً آخرَ ، فالتضام هنا (تلازم) ، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ، ويُسمى (التنافي)[٤] ، فمفردات المعجم تنتظم في طوائف يتوارد بعضها مع بعض ، ويتنافر بعضها مع بعض[٥] .

وبناءً على هذا الفهم فإنّ العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج ، هي علاقة تعارض، من نحو : (ولد ـ بنت) ، (جلس ـ وقف) إلى آخره، يضاف إليها علاقة التضاد ، وعلاقة الكل والجزء ، أو عناصر تنتمي إلى اسم عامٍ ، فكلّ زوجين من الأزواج السابقة لا يمكن أن يكون لديهما عنصر إحالي واحد ، إلاّ أنّ ورودهما في الخطاب قد يُسهم في نصيته[٦] .

ويرى (محمّد خطابي) أنّ إمكانية إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة تحكمها ليس أمراً هيناً، لكنّ القارئ يتجاوز هذا الأمر بما يخلقه من سياق تترابط فيه العناصر المعجمية ،

---

(١) ينظر : أصول تحليل الخطاب : ١٤٢/١ .
(٢) لسانيات النص : ٢٥ .
(٣) المعنى وظلال المعنى ، د. محمد محمد يونس علي : ١٢٢ .
(٤) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢١٦-٢١٧ .
(٥) ينظر : البيان في روائع القرآن : ١٥٥/١ .
(٦) ينظر : لسانيات النص : ٢٥ .

معتمداً في ذلك على حدسه اللغويّ ومعرفته بمعاني الكلمات ، ومن ثمّ الحكم على كلمة ما بأنّها أشد ارتباطاً بهذه المجموعة من دون غيرها(١) .

لذلك صرّح (فيرث) بأنّ التضام هو أن تعرف الكلمة بالمجموعة التي تلازمها ، وهو التوقّع المشترك للكلمات ، فغالباً ما نستطيع التمييز بين المعاني المختلفة بالنظر إلى السياقات اللغوية للكلمات(٢) ؛ ذلك أنّ ((معنى الكلمة يستمدّ حياته من السياق فقط ، بل إنّ المنهل الوحيد الذي تستقي منه اللفظة معناها هو مصاحبتها للفظة أخرى))(٣) .

ومن النماذج القرآنية التي ورد فيها التضام هي :

قوله تعالى : ﴿ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾ [البقرة: ٣٠-٣١] .

وعلاقة التضام واضحة بين الوحدتين المعجميتين (السفك) و(الدم) ؛ لما بينهما من التلازم ، إذ لا يمكن ورود كلمة (سفك) من دون أن يتصوّر الذهن مفردة (الدم) ، وبهذا التلازم تخصّصت دلالة الفعل ، قال ابن عاشور : ((والسفك الإراقة ، وقد غلب في كلامهم تعديته إلى الدماء ، وأما إراقة غير الدم فهي سفح بالحاء))(٤) ، وجعل أبو السعود السعود السفك والسفح مختصّين بالدم ، وخصّص السفك بالدم المحرّم(٥) .

ومن تضام التلازم ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ﴾ [الأعراف: ١٢] . فالنار والطين زوج من الكلمات تحكمهما علاقة تضام ، والتضام بين العنصرين تضام تلازم ، لأنّ أحد العنصرين يستلزم الآخر ، فبيان كونه من عنصر النار يستدعي أو يستلزم ذكر عنصر الطين ، يضاف إلى ذلك الظهور المشترك للطين والنار في سياقات متشابهة ، وهذا ما عبّر عنه (فيرث) بالتوقّع المشترك

---

(١) ينظر : لسانيات النص : ٢٥ .
(٢) ينظر : علم الدلالة إطار جديد ، ف. ر. بالمر تر ، : د. صبري إبراهيم السيد : ١٤٥ .
(٣) المعنى وظلال المعنى : ١٢٢ .
(٤) التحرير والتنوير : ٤٠٢/١ .
(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٨٢/١ .

للكلمات ، فقارئ النص القرآني ولاسيما في قصة آدم وإبليس ، عندما يقرأ مفردة نار ترد إلى ذهنه مباشرة مفردة طين ، كون العلاقة بينهما علاقة تلازم ، ولا يستدعي الذهن مفردة ماء مثلاً .

ومن التضام أيضاً التلازم بين الوحدتين المعجميتين (عَثِيَ) و(فسد) ، من ذلك ما ورد في قوله تعالى :

ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [البقرة: ٦٠]

ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ [الأعراف: ٧٤]

ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [هود: ٨٥]

ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ [الشعراء: ١٨٣]

ففي هذه السياقات القرآنية لم ترد مفردة (لا تعثَوا) من دون أن تكون مقرونة بمفردة (مفسدين) ، وما ذلك إلاّ للتلازم بينهما .

ومن التضام الذي يندرج تحت علاقة الكل والجزء ، ما ورد في قوله تعالى : ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ... ﯓ ﭼ [البقرة: ٦١] .

والطعام اسم عام ، يدخل تحته البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل ، وقد تكون العلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل ، وواضحٌ أنّ هذا التفصيل أو التعددية في بيان أنواع الطعام ضرورة في النص ، لأنهم رفضوا الطعام الواحد ، فالتفصيل وقع موقعاً مهماً في النص .

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [المائدة: ٢٠] . فالأنبياء والملوك وما آتاهم ، كلّ ذلك نعمٌ تدخل تحت نعمة الله على قوم موسى.

وشبيه بهذا المعنى ما ورد في قوله تعالى مخاطباً عيسى : ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ

ﮋ ڈ ڈ ڈ ژ ژڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گگ گچ گچ گچ گ گ گ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ﮊ [المائدة: ١١٠] .

فتأييد عيسى بروح القدس ، وتكليمه الناس في المهد ، وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وخلقه من الطين طيراً، وإبراء الأكمه والأبرص، وإخراج الموتى، كلُّ ذلك جزء من نعمة الله ﷻ على عيسى عليه السلام ، ويمكن أن يقال : إنّ النعمة اسمٌ عام متضمّن لما ورد جميعاً .

ومن خلال ما تقدّم يمكن القول : إنّ للتضام أثراً في صنع الاتّساق بين العناصر اللغوية الظاهرة على سطح النص ، ولا يقف أثره عند هذا الحدّ فحسب ، بل للتضام أثر في تحديد دلالة المفردات المعجمية ومعانيها بناء على ما يرد ملازماً لها ، أو بناءً على السياقات التي ترد فيها .

الفصل الثاني

الانسجام النصّي
في آيات الردّ

ـ في مفهوم الانسجام (COHERENCE)(*)

النصُّ وحدة كبرى تتشكّل ((من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي ، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي ، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية ، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية))(١) .

والمستوى الثاني في وجهة نظر النص ، هو ما يُطلق عليه معيار الانسجام ، وأنّ دراسة هذا المعيار تتّصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص(٢) .

والانسجام عند علماء لغة النص ، هو ما ((يتطلّب من الإجراءات ما تتنشّط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي(٣)واسترجاعه))(٤)، أي((الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات ، منها علاقات منطقية كالسببية ، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث ، ومنها أيضاً محاولة توفير الاستمرارية))(٥) .

وهو عند (هاليداي وحسن) : ((علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النص ، هذا العنصر الآخر يوجد في النص ، غير أنّه لا يمكن تحديد مكانه إلاّ عن طريق العلاقة التماسكية))(٦) .

(*) اختلف الدارسون في إيجاد مقابل عربي لهذا المصطلح، فلم يكن ثمّة اتّفاق بينهم على ترجمته ترجمة موحّدة ، لذا تعدّدت البدائل اللغوية عنه، فأطلق عليه الدكتور تمّام حسّان (الالتحام) ، واختار الدكتور سعد مصلوح (الحبك) ، وأطلق عليه الدكتور سعيد بحيري (التماسك) ، واختار محمد خطّابي مصطلح (الانسجام) ، ينظر : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، د. أشرف عبد البديع : ١٤٠-١٤١ ، والمعايير النصية في السور القرآنية ، د. يسري نوفل : ١٢٥-١٢٦ .

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١١٩ .

(٢) ينظر : نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٩٠ .

(٣) والترابط المفهومي هو تشكيلة من المعرفة يمكن استثارتها بقدر ما من الاتساق في الذهن من خلال العلاقات التي هي روابط قائمة بين المفاهيم ، ينظر : نظرية علم النص : ١٢٨ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٥) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد : ١١-١٢ .

(٦) نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٩٠ .

وعبّر عنه (محمدّ مفتاح) بأنّه ((العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها))[١] . لذا فالانسجام لا يتعلّق بمستوى التحقّق اللساني ، وإنّما يتعلّق بالمتصورات التي تنظّم التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع النص[٢] ، فهو إذن ، ليس ((خاصّية لغوية في الملفوظات وإنّما هو نتاج نشاط تأويليّ ... يحيل على خصائص النص التي تضمن تأويليّته))[٣] .

وهو بذلك يمثّل خاصية سيمانيطيقية قائمة على تأويل جملة ما بأخرى[٤] . وهذا الأمر يطلق عليه (فان دايك) الدلالة النسبية[٥] ؛ ذلك أنّ ((الجمل لا تؤول حسب نماذج معزولة ، بل متناسبة ؛ لكون تأويل الجمل المترابطة مندرجة في نماذج متصلة ، وإنّما تتحد العلاقة الموجودة بين الجمل باعتبار هذه التأويلات))[٦] .

وبناءً على هذا التصّور يمكن أن نحكم على انسجام نصّ ما من خلال مجموعة معايير منها القراءة ، وتراكم الخبرات ، وتفكيك العلاقات داخل النص ، وبذلك ((يمكن أن نسمّي نصّاً منسجماً بالنسبة إلى تأويل معطى إذا كانت العلاقة الداخلية في النص الذي مُنحت له ... تحتوي الظهور الصريح أو المتوقّع لكلّ حالات الأشياء في حصيلة نهائية للتأويل))[٧] . وعليه فالانسجام ((يختص بالاستمرارية المتحقّقة في عالم النص ، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم))[٨] . وهو معيار له أهمية كبيرة في دراسة النص ؛ بعدّه بنية كبرى ذات طبيعة دلالية متعلّقة بمدى التماسك الكلّي له ، الذي يحدد إطارها المتلقّي[٩] .

---

(١) دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٤٤ .
(٢) ينظر : النص ، جان ماري سشايفر : ١٣٣ .
(٣) معجم السرديات ، مجموعة مؤلفين : ٤١ .
(٤) ينظر : النص والسياق : ١٣٧ .
(٥) ينظر : لسانيات النص : ٣٤ .
(٦) النص والسياق : ١٤٠ .
(٧) دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٤٤ .
(٨) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : ٢٢٨ .
(٩) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤١ .

ـ أثر القارئ في تحقّق الانسجام :

ثمّة مبدآن أو افتراضان يعينان على فهم عملية انسجام النص ، هما[١] :

١. لا يملك الخطاب في ذاته مقوّمات انسجامه ، وإنّما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقوّمات .

٢. كلّ نصّ قابلٍ للفهم والتأويل هو نص منسجم ، والعكس صحيح .

وبناءً على هذا الفهم ، فإنّ للقارئ أثراً كبيراً في الحكم على انسجام النص ، كون انسجامه يتعلّق بفهم المتلقّي وقدرته على تفسير ما كان مبهماً أو خفياً ، فـ((ليس هناك نصّ منسجم في ذاته ونصّ غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقّي ، بل إنّ المتلقي هو الذي يحكم على نصّ بأنه منسجمٌ وعلى آخر بأنه غير منسجم ... بتعبير آخر ، يستمدّ الخطاب انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير))[٢] .

ولا يعني هذا أنّ انسجام النص قد يُلقى على عاتق المتلقّي من دون أن يراعي مجموعة ضوابط أو معايير تحكمه ، إذ لا يتمّ له ذلك إلاّ عن طريق توظيف خبراته ومعارفه ((فعند فهم النص توظّف المعارف استراتيجياً))[٣] ؛ لذا فإن مفسّر النص أو المتلقي يبني ((تمثيلاً ذهنياً للأوضاع ، التي تمّ إبلاغها عبر النص بواسطة المنتِج ، أي أنّ مفسّر النص بتطبيقه لاستراتيجيات مختلفة يدخل النظام إلى المعلومات المأخوذة من النص ، ويملؤها بالعلم الموجود من قبل))[٤] .

وبتعبير آخر ((يستضيف النص ، ويعقد معه صلات حميمة ؛ ليتعاونا معاً على انجاز مهمّة الفهم والتأويل))[٥] . وقد يضاف إلى هذا أنّ انسجام النص ليس حكراً على فهم المتلقي بما يمتلكه من مخزون وخبرات متراكمة ، وإنّما يتوقّف أيضاً على السياق

---

(١) ينظر : لسانيات النص : ٥٢ .
(٢) المرجع نفسه : ٥١ .
(٣) مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ١٥٨ .
(٤) المرجع نفسه : ١٥٨ .
(٥) دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٤٢ .

الذي يرد فيه النص . وفي هذا الشأن يؤكّد (براون ويول) على أهمية السياق ، فمحلل النص عليه ((أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب))[١] .

فانسجام النص إذن، ليس من خواصّه، وإنّما هو حصيلة تفعيل دلالي واعتبارات معرفية وبنائية عند المتلقّي (القارئ) ، ينهض على ترابط معنوي بين المعارف والتصوّرات[٢] . وهو ليس شيئاً موجوداً مباشرة في النص ، وإنّما يظهر من خلال القراءات والتأويلات التي تعقد عليه ، فإذا ((حكم قارئ على نصّ ما بأنّه منسجم فلأنه عثر على تأويل يتقارب مع نظرته للعالم ، لأن الانسجام غير موجود في النص فقط ، ولكنه نتيجة ذلك التفاعل مع مستقبل محتمل))[٣] .

إنّ إسناد انسجام النص إلى المتلقّي يقودنا إلى حقيقة مفادها أنّ العلاقة بين المتلقّي والنص ، أكثر من العلاقة بين الأبنية والعلاقات التي يتشكّل منها النص ، وأنّ ما يبدو منسجماً لقارئ ما، قد لا يكون منسجماً لآخر ؛ ((لأنّ انسجامه ليس رهين نسقه الداخليّ الذي ينتظم مكوناته ، إنّما هو كذلك رهين جملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متقبّله))[٤] ؛ لذا نجد أنّ الدراسات اللسانية قد اهتمّت بانسجام النصّ، فوضعت مجموعة آليات تُسهم في إسعاف محلل النص في الربط بين معاني النصوص، ولاسيما النصوص الخارقة للأعراف اللغوية، وأوجبت عليه أن يراعيها وأن يتقيّد بها ، منها[٥]:

. مراعاة الانسجام القولي المتمثّل في مبدأ(المشابهة) المستقى من تجارب سابقة.

. مراعاة الانسجام المعرفي المستمد من تجاربه الحياتية وتقاليده .

. مراعاة مبدأ التأويل المحلّي .

. مراعاة المجاورة الزمانية والمكانية .

---

(١) تحليل الخطاب : ٣٥ .

(٢) ينظر : حبك النص منظورات من التراث العربي ، محمد العبد (مجلة فصول ، ع٥٩ ، ٢٠٠٢) : ٥٥ .

(٣) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب : ٩٢ .

(٤) أصول تحليل الخطاب : ١١٢/١ .

(٥) ينظر : دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٥٢-٥٣ .

ـ ما بين الانسجام والاتّساق :

إنّ محاولة إيجاد فرق بين هذين المصطلحين لا تخلو من صعوبة فيما لو نظرنا إلى بدايات علم النص ، لما بينهما من تداخل وكونهما يسيران معاً ، وفي هذا الشأن يقول (دومينيك مانغونو) : ((إنّ التمييز بين الظواهر التي هي من قبيل الانسجام وتلك التي هي من قبيل الاتّساق ليست بالأمر السهل إن نحن أردنا تفصيل هذا التمييز))[١] .

وما تلك الصعوبة إلاّ بسبب الغموض الذي يحفّ بمفهوم المصطلحين وإطلاق بعضهما على الآخر ، فمشكلة الحدود بين الاتّساق النصي الذي يتمّ بأدوات لسانية محضة ، والانسجام النصّي مشكلة معقّدة ، إذ من المحتمل أن نعدَّ وقائع نصّية معينة جزءاً من الانسجام في الوقت الذي نستطيع أن نفسّرها بمصطلحات الاتساق اللسانية المحضة[٢] .

إلاّ أنّه مع توسّع الدراسات النصية والتنظير لها ، أخذت هذه الصعوبة تزول شيئاً فشيئاً ، حتّى صار لكلّ من المفهومين مصطلحه الخاص به ، وأدواته الإجرائية ، ممّا أسهم ذلك في أمكانية الفصل بين المصطلحين ، وبناء على هذا الفصل نجد أنّ الانسجام يوظّف آلياته لتحديد الدلالة بين الجمل أو البنيات النصية بشكل غير مباشر ، في حين أنّ الاتّساق يعمل على ربط البنى بعضها مع بعض من خلال أدوات ووسائل شكلية تتمّ على مستوى البنية السطحية للنص .

ويترتّب على هذا ((أنّ الانسجام أعمّ من الاتّساق ، كما أنّه يغدو أعمق منه بحيث يتطلّب بناء الانسجام من المتلقّي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظّم النص وتولّده ، بمعنى تجاوز رصد المتحقّق فعلاً أو غير المتحقّق أي الاتّساق إلى الكامن (الانسجام) ، ومن ثمّ ، وتأسيساً على هذا التمايز ، تصبح بعض المفاهيم ، مثل موضوع الخطاب والبنية الكلية ، والمعرفة الخلفية بمختلف مفاهيمها ، حشواً إن أردنا توظيفها في

---

(١) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن : ١٨-١٩ .

(٢) ينظر : النص ، جان ماري سشايفر : ١٣٤-١٣٥ .

مستوى اتساق النص/الخطاب ، والعكس صحيح ، أي أنّ الوسائل التي يتجلّى بها اتساق النص عاجزة عن مقاربة بناء موضوع الخطاب والبنية الكلية لمعطى لغوي))[١] .

وبناء على هذا الفهم لا يمكن النظر إلى النصّ – فيما لو أردنا الحكم عليه أنّه منسجم – على أنّه مجرّد تتابع للجمل ؛ لأنّ هذا الأمر قد يؤدّي بنا إلى النظر للنص من خلال بنيته السطحية فقط ، وتجاوزاً لذلك لا بدّ من النظر إليه من خلال ما تحكمه من عوامل متوافقة في العالم المطروح ، تلك العوامل التي تعدّ بمثابة روابط أو علاقات دلاليّة، تعمل على إحداث تتابع واندماج للمعنى ، بما يضمن له استمراريته ، فتحقّق بذلك انسجاماً للنص على مستوى بنيته العميقة ككل .

ـ قواعد الانسجام :

وبناءً على ما تقدّم اقترح (شارول) في مقال له سنة (١٩٧٨) تحت عنوان (مدخل إلى إشكاليات انسجام النصوص) أربع قواعد عامة تصف الانسجام[٢] ، حاول من خلاله أن ((يؤسس لهذه القواعد بمنطلق مفاده أنّ الكلام عن الانسجام يجب أن يضع في الحسبان خطيّة النص ، أي ... التتابع الذي تظهر فيه العناصر المكوّنة له))[٣] . وهذه القواعد هي[٤] :

١. **قاعدة التكرار**: ولا يقصد به التكرار بمفهومه الشائع، أي التكرار عن طريق إعادة عنصر معجمي بلفظه، وإنّما تكرار القضية الذي يؤدّي إلى وحدة الموضوع، وتسمح قاعدة التكرار هنا بتحقيق طابع الاستمراريّة، والتدرج المتجانس ، وغياب القطيعة. وكلّ هذه الإجراءات تعمل على ربط جملة ما بأخرى من خلال التذكير بأنّ عنصراً ما في جملة يوجد في عنصر آخر في جملة أخرى، والتذكير يتعلّق بمحتويات دلاليّة غير ظاهرة على سطح النصّ، يبيّنها القارئ حتى يظهر الاستمرار.

---

(١) لسانيات النص : ٥-٦ .
(٢) ينظر : معجم السرديات : ٤١ .
(٣) الاتساق والانسجام في القرآن : ٣١ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ٣١-٣٧ .

٢. **قاعدة التدرّج** : وتشترط هذه القاعدة لانسجام النص في مستويي البنى الصغرى والكبرى أن يصاحبه تدرج دلالي متجدّد باستمرار ، إذ من غير المعقول أن يتأسّس نصٌّ ما على التكرار وحده، فإنّ قولاً ما لا يكتفي بالتكرار وحده ليكون منسجماً ، بل لابدّ من أن يصاحبه تدرّج دلالي . والتدرّج كثيراً ما يكون ((بموضوع متفجّر ، وهو عبارة عن موضوع عام ، ويكون عادة كلمة تحتل رتبة دلاليّة أعلى قياساً بالعناصر التي تشتقّ منها ، أو مجموعة من الوحدات التي تحتلّ موقع المحمول في الجملة السابقة ، ثمّ تصبح كل وحدة موضوعاً في الجملة اللاحقة))[١] .

ومن هذا المنطلق يرى شارول أنّ قاعدة التدرّج تتكامل مع قاعدة التكرار ، وإن كانت الأولى (التكرار) تتجه إلى الثبات ، فإنّ الأخرى تتجه إلى الحركة والتجدّد ، وهذا التوازن بين الثبات والتدرّج يضمن الاستمرارية للنصّ، ومن ثمة يمكن وصفه بالانسجام. وقاعدة التدرّج بحسب هذا الفهم تقتضي أنّ جملةً ما قد تحقّق قيمةً دلالية وجديدة عن سابقتها ، وهذا الأمر يعد شكلاً من أشكال التجدّد في الدلالة .

٣. **قاعدة عدم التناقض** : يؤكّد (شارول) اعتماداً على قاعدة عدم التناقض ، على عدم اجتماع القضية ونقيضها في الوقت نفسه ، ويرى أنّ هذا ممّا يأباه المنطق ويمنعه ، لأنّ وجود التناقض في النص من شأنه أن يغيّب انسجامه .

٤. **قاعدة العلاقة** : وهذا ما بيّنه (شارول) بطرحه : ((حتى يكون مقطع ما أو نصّ منسجماً ، يجب أن تكون الوقائع التي يوردها في العالم المطروح مترابطة))[٢] .

ومعنى هذا أنّ ما يطرحه المنتج في النص من وقائع يُشترط فيها وجود ترابط دلالي قد يتمّ عن طريق العلاقات الدلالية ، فضلاً عمّا يضفيه المتلقي استناداً إلى عالمه المعرفي ، لذا فإنّ أيّ خلل في الوقائع المطروحة في النصّ سيؤدي حتماً إلى عدم التوافق بين المنتج والمتلقي ، ومن ثمّ يُحكم على النص بعدم انسجامه .

---

(١) الاتساق والانسجام في القرآن : ٦١ .

(٢) المرجع نفسه : ٣٧ .

وانطلاقاً من هذا الفهم أو التأسيس يمكن الحديث على أهم الوسائل والآليات التي يمكن من خلالها الحكم على انسجام نصّ ما من عدمه ، وهذه الوسائل هي :

المبحث الأول : العلاقات الدلالية :

تشكّل العلاقات الدلالية محوراً مهماً من محاور الدراسة النصية ، كونها تحكم النص دلالياً بما لا يدع مجالاً لوجود فجوات قد تشعر القارئ أو المتلقي بعدم انسياب المعاني والدلالات ، بل تتعلّق بأهم معيار من المعايير التي تعمل مجتمعة على إيجاد الكفاءة النصية ، التي يسعى إليها كلٌّ من المنتج والمتلقّي ، ألا هو معيار الانسجام .

وينظر إليها عادة على أنّها علاقات تجمع أطراف النص ، أو تربط بين متواليات من دون وسائل شكلية ، وهي علاقات لا يخلو منها أي نصّ يحقّق الإخبارية والشفافية لينشد درجة معينة من التواصل ، سالكاً في ذلك بناء اللاحق على السابق[١] .

وتعمل هذه العلاقات على إحداث ربط منطقي بين أبنية النص المتتابعة أو المنفصلة[٢] ، لتكوّن شبكة دلالية تجعل من ((أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء))[٣] .

فالعلاقات ((هي حلقات الاتصال بين المفاهيم ، وتحمل كل حلقة اتّصال نوعاً من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفاً أو حكماً ، أو تحدّد له هيأةً أو شكلاً ، وقد تتجلّى في روابط لغوية واضحة في ظاهر النص ، كما تكون أحياناً علاقات ضمنية يضفيها المتلقّي على النص ، ويستطيع بها أن يوجد للنص مغزى بطريق الاستنباط))[٤] .

إنّ الحديث في العلاقات الدلالية رهينٌ بالحديث على الأبنية الصغرى ، التي تتداخل مع ما يماثلها من البنى في إطار دلالي[٥] ، للوصول إلى البنية الكلية التي تجعل

---

(١) ينظر : لسانيات النص : ٢٦٨-٢٦٩ .
(٢) ينظر : نسيج النص : ٤٨-٤٩ .
(٣) البرهان في علوم القرآن : ٣٦/١ .
(٤) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : ٢٢٨ .
(٥) ينظر : نظرية علم النص : ١٢٩ .

من النص وحدة دلالية قائمة بذاتها، على أنّ هذه العلاقات ((لا تعكسها الأبنية الموجودة على السطح بشكل مباشر ؛ ومن ثمّ يحتاج إلى تصور معرفي أكثر اتساعا ، حتى يمكن اكتشافها وتحديدها ووصفها بشكل كافٍ ، يصير معه النص مفهوماً))[١] .

فالعلاقات الدلاليّة إذن علاقات متدرجة ؛ كونها تجمع بين القضايا الصغرى فيما بينها إلى علاقات أكثر شمولاً تجمع أطراً محدّدة داخل النص الواحد ، وتكون بذلك أكثر تعقيداً ، لأنّها تعتمد على الاستنتاج القائم على فهم كلية النص[٢] .

وتأسيساً على هذا الفهم يولي بعض علماء النص – الذين ينظرون إلى النص من جانب قواعده الدلالية ، أو الذين يعتمدون على النماذج الدلالية في وصفهم للنص – العلاقات الدلالية أهمية أكبر من العلاقات اللفظية ، ذلك ((أنّ العلاقات بين الجمل في الجمل المركّبة والتتابعات هي بوجه خاص ذات طبيعة دلالية، وتكون العلاقات النحوية تابعة لها أحياناً ؛ فالأمر يتعلّق في المقام الأول بوصف العلاقات بين معاني الجمل وتحديد معنى التتابعات الجزئية للجمل))[٣] . وأنّه ((في البناء السطحي تنعكس دائماً أجزاء فقط من معنى النص ، وليس كلّ المعلومات الدلالية ، ما يعني أنّ وحدة النص لا يمكن أن توجد بشكل كافٍ إلاّ بمراعاة بناء القاعدة الدلالية أيضاً، أمّا وسائل الربط التركيبية فتصلح بعكس ذلك وسائل إضافية فقط))[٤] . ومن هذه العلاقات التي تمنح النص صفة الانسجام هي :

١. الإجمال والتفصيل :

وتمثّل هذه العلاقة نوعاً من الروابط المنطقية أو الدلالية التي تبدو بها بعض العناصر أو التراكيب بحاجة إلى غيرها ممّا يعين على كشفها وبيانها ، وقد جعل الدكتور (تمّام حسّان) هذه العلاقة بمثابة التعريف من التنكير ، إذ قال : ((إنّما يأتي التفصيل

---

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٢٠ .
(٢) ينظر : نظرية علم النص : ١٣١ .
(٣) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٤٨ .
(٤) مدخل إلى علم اللغة النصي ، هاينمان وفيهفيجر : ٣٧ .

مقترناً بإجمال فيكون بمنزلة التعريف من التنكير ، إذ يجد المرء في كلّ منهما دلالة ، ولكن دلالة التفصيل كدلالة التعريف أكثر تحديداً من قرينتها))[١] .

والإجمال أو المجمل هو ((ما يتناول جملة الأشياء ، أو ما ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل))[٢] .أي مجيء بنية نصّية تحمل دلالة تشتمل على جملة أشياء غير ملخّصة ، ولا تُدرك إلاّ بما يفصّلها ويبيّنها ، وهنا تأتي وظيفة اللازم الآخر في هذه العلاقة ألا وهو التفصيل الذي يجعل الدلالة مستمرة غير منقطعة، والتفصيل في حقيقته هو ((ذكر ما تضمّنته الجملة على سبيل الإفراد))[٣] . وبناءً على هذا فإنّ علاقة الإجمال والتفصيل تعمل على ربط مجموعة من البنى النصية ، ووظيفتها في ذلك ((ضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة))[٤] ، وهي شديدة الصلة بالانسجام ، ذلك أنّ ((التفصيل يعدّ شرحاً للإجمال ، والإجمال في الغالب سابق التفصيل ، ومن ثمّ نرى أنّ التفصيل يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله في الإجمال ، وكذلك يمثّل ردّاً للعجز على الصدر))[٥].

إنّ علاقة الإجمال والتفصيل تعمل على توثيق الصلة بين الأبنية النصية، وتساعد على ترسيخ المعنى ، بما تثيره من تفاعل بين المتلقّي والنص ، فتضمن للنص واحدة من وظائفه ، وهي وظيفته التوجيهية التي تعدّ ((من ضرورات نمو النص وسيرورته ، إذ كلّ جملة تلقي مزيداً من الضوء على المنطلق ، ... ، فقد يحدث أنّ المنطلق يكون في البداية ثمّ تتوالى جمل تخصّصه))[٦] .

وبلحاظ ما ذُكر يظهر ما لهذه العلاقة من أثر في تحقيق الانسجام الدلالي بين مجموعة البنى النصية التي قد تكون متقاربة أو متباعدة ؛ إذ تمكّننا ((من إدراك كيفية من

---

(١) اجتهادات لغوية : ٣٠٣ .
(٢) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكريّ : ٥٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٥٨ .
(٤) لسانيات النص : ٢٧٢ .
(٥) علم اللغة النصي : ١٤١/٢ .
(٦) النص من القراءة إلى التنظير ، محمد مفتاح : ١٣ .

الكيفيات التي يُبنى بها النص وينسجم))[١] ، فتعمل على ((لمّ شعث الأبنية النصية للوصول إلى البنية العامة الكبرى للنص ؛ لأنّها في موضع الإجمال تحرك ذهن المتلقي إلى أن يخمّن المعنى العام للنص ، أو البنية الكبرى لمقطع منه على الأقل))[٢] .

إنّ علاقة الإجمال بالتفصيل قاعدة استقرّ بها النص القرآني ، فهي من أهم العلاقات التي وفّرت له خاصّية الانسجام ، وهي الملمح الرئيس من ملامح الانسجام التي تصير كلّ سورة معها وحدةً من وحدات الخطاب القرآني المترابطة[٣] .

ومن الأمثلة القرآنية على علاقة الإجمال والتفصيل ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ہ ہ ﴾ [البقرة :٣٠-٣٣].

إذ جاء قوله (**ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ**) مجملاً ، وهو بنية نصّية تمثّل قضية مركزية في النص ، وهي قضية (العلم) الذي يشغل مركز الثقل الذي انعقد لأجله الحوار ، وتفصيل هذا الإجمال جاء تباعاً في الآيات اللاحقة ، التي مثّلت عناصر رئيسة للقضية النواة ، فالعلاقة بين الآية (٣٠) وما بعدها من الآيات هي علاقة إجمال بتفصيل ، وبواسطة هذه العلاقة يمكن اعتبار أنّ فعل (العلم) ينبغي أن يتمّ في حدود تعليمه تعالى الأسماء لآدم ، ثم عرضهم عليهم .

وفي هذا الصدد يقول الفخر الرازيّ : ((اعلم أنّ الملائكة لمّا سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى : (**ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ**) أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصّل لهم ذلك المجمل ، فبيّن تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من

---

(١) لسانيات النص : ٢٧٠ .

(٢) خطب الإمام عليّ (ع) في نهج البلاغة ، مقاربة في ضوء علم لغة النص ، راشد مدفون ، (رسالة ماجستير) : ٥٠.

(٣) ينظر : النص والخطاب والاتصال ، د. محمد العبد : ١٢٤ .

ذلك معلوماً لهم ، وذلك بأن علّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتأكّد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي))[١] .

يمكن القول: إنّ منزلة التفصيل بعد الإجمال هنا يعدُّ بمثابة التعريف بعد التنكير على حدّ قول الدكتور تمّام حسّان ، وهذا الفهم أليق بهذا المقام ، فقوله تعالى : (**ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ**) ، قول مجمل ؛ إذ إنّ علم الله جل جلاله مطلق لا حدود له ، وعليه لا يعرف الملائكة ما خفي عنهم تحديداً ، ويعلمه الله في هذا الشأن ، فلمّا جاء التفصيل كشف عن بعض من أنماط علمه المتمثّلة بعلم غيب السماوات ، وغيب الأرض ، وعلم ما يبدون ، وعلم ما يكتمون .

وليس من شكّ أنّ الغاية من علاقة التفصيل بالإجمال هنا هي تأكيد التفصيل للإجمال[٢] . وبذلك تكون البنى النصية المفصّلة بمثابة المرجع أو العنصر الذي يبيّن ما أُجمل سابقاً ، وقد تجاوزت هذه العلاقة حيّز الجملة الواحدة إلى مستوى أكبر ، هو مستوى النص . على أنّ المشهد الحواري في هذا النص جاء مصداقاً آخر على تفصيل المجمل أيضاً ، فالمجمل هو علم الله (ﷻ) بالخلق عموماً على سعته ، وقد أجمله تعالى في الآية السابقة بعد الكلام في خلق السموات والأرض ، وما ذيّلت به الآية الكريمة : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

ونظير ما تقدّم ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [الأعراف: ١٢٨–١٢٩] .

وقد وردت لفظتا (يهلك ، ويستخلف) في قول موسى (ﷺ) إجمالاً ، ومن ثمّ فُصّلا تفصيلاً تجاوز نطاق الجملة الواحدة والفواصل التركيبية إلى مستوى النص ؛ إذ فُصّل الهلاك بقوله تعالى : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃﰄ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ

(١) مفاتيح الغيب : ٢/١٩٠–١٩١ .
(٢) ينظر : لسانيات النص : ١٨٨ .

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴿[الأعراف: ١٣٠-١٣٦] .

وفُصّل الاستخلاف بقوله :﴿ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﴿[الأعراف: ١٣٧] .

الذي يلحظ هنا أنّ الإجمال جاء في كلمة واحدة ، على حين التفصيل جاء في مجموعة آيات ، وأنّ البنى التفصيلية غير مستقلة عن بنية الإجمال ، بل هي تتبادل التأثير ، وتبيّن مغزاه ، لذلك أتبع الهلاك بألفاظ مثل (السنين ، نقص الثمرات ، الطوفان ، الجراد ، القمل ... ، وآخرها الإغراق) ، فهذه الألفاظ تنتمي إلى حقل واحد هو حقل الهلاك وتصدق عليه جميعاً، أمّا الاستخلاف فبيّنه أو فصّله بقضية (التوريث)، ولا يخفى بعد هذا الفهم ما للتلازم من أثر بين الإجمال والتفصيل .

وبناء على ما ذكره (شارول) من قواعد تصف الانسجام ، نجد أنّ هذه القواعد متمثّلة جميعها في هذا المثال القرآني ، فالأبنية النصية جميعها بمثابة تكرار معنوي لما أجُمل سابقاً وأنّ التدرّج حاصل فيها ؛ إذ ذكر الهلاك ثم أتى على أنواعه بالتدرّج، وأن لا تناقض بين ما أُجمل وبين ما فُصّل ، فكلّ الألفاظ يحتويها حقل دلالي واحد ، ولا يخفى ما لقاعدة العلاقة الدلالية من أثر في عقد الوشيجة بين الألفاظ جميعاً .

إنّ علاقة الإجمال بالتفصيل هنا ليست علاقة صريحة ؛ إذ لم تعكسها الأبنية النصية بشكل مباشر ، وإنّما احتاجت إلى تصوّر معرفي حتّى يمكن تحديدها ووصفها ، وهذا الأمر من شأنه إبراز جوانب مهمة من التحليل النصي ، ذلك أنّ التفصيل قد مثّل علاقة مرجعية لما أُجمل من قبل .

ومن علاقة الإجمال بالتفصيل ما جاء في قوله تعالى:﴿ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﴿[النمل: ٢٢] . فالنبأ جاء مجملاً ، وقد ورد تفصيله في الآيات اللاحقة في قوله تعالى :﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﴿ [النمل: ٢٣-٢٥].

والبنية النصية (نبأ) تمثّل قضية أو نواة مركزية في النص ، لذا ركّز المنتج على إظهارها بشكل مجمل أو غير ملخّص ، والإجمال هنا وقع موقعاً يتلاءم مع حالة الهدهد التي تشفُّ عن قلقه أو خشيته من سليمان (عليه السلام) ، إلاّ أنّ الدلالة التي حملتها هي دلالة واسعة بدليل أنّه أكّدها أو بيّنها بتفصيل جاء موزعاً على أبنية نصية كثيرة ، وفي مجموعة من الآيات التي مثّلت عناصر رئيسة لهذه القضية ، فالعلاقة الدلالية هنا وإن كانت غير صريحة إلاّ أنّها مثّلت الصّلة بين مجموعة من الأبنية ، ومن ثمّ عملت على تقديم النص بشكل يبدو متلائماً ومنسجماً مع ما أُريد له .

ولو وقف النص عند قوله : **(جئتك من سبأ بنبأ يقين)** ، لكان عاجزاً عن إيصال المعنى أو الدلالة للمتلقي ، لكنه بيّن المعنى عندما أتى بجمل متتابعة فصّلته . وهذا من شأنه أن يضمن للنص استمراريته التي تحدث التأثير في المتلقّي ليبقى مشدود الذهن ومتواصلاً مع النص ، فلو خلا النص من هذه الأبنية لكانت دلالته غير واضحة ، ولا يمكن للمتلقّي أن يتقبّل النص ليتواصل أو يستمرّ معه ، لأنّه لم يحقّق الغرض المقصود المتمثّل بالكفاءة النصية ، ومن ثمّ لا يمكن الحكم على النص بأنّه منسجم .

ومن الأمثلة القرآنية التي جاءت تفصيلاً لما أُجمل قبلها ما جاء في قوله تعالى على لسان العبد الصالح : ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ﴾ [الكهف : ٧٩-٨٢] .

فكلّ هذه الآيات كانت تفصيلاً لما أُجمل في قوله : ﴿ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﴾ . والذي يعزّز كون هذه الآيات تفصيلاً لما قبلها أنّها بدأت بـ(أمّا) التي تدلّ على تفصيل المجمل[١] ، وهو تفصيل متّصل تمّ على مستوى جمل متتابعة ، فضلاً عن أنّ جميع ما ورد في الأبنية المفصّلة هو إيضاح أو تكرار لما أُبهم في المجمل ، وقد جاء التفصيل بالتدريج موافقاً للأفعال التي صدرت عن الخضر .

---

(١) ينظر : الأدوات النحوية في كتب التفسير ، د. محمود أحمد الصغير : ١٧٥ .

٣. علاقة السبب والنتيجة :

وهذه العلاقة واحدة من أهمّ ما صُنّف تحت العلاقات المنطقية[١] ، وتقوم على الربط بين بنى النص ، بما يُسهم في إحداث بناء منطقي بين أجزاء النص .

إنّ علاقة السبب بالنتيجة تضمن لنا حقيقةً مفادُها ((أنّ الجمل مترابطة إذا كانت الوقائع التي تشير إليها قضاياها في عوالم متعالقة))[٢] . وهي بحسب ما يذهب (فان دايك) أحد شروط تعالق الوقائع التي ينبغي أن يكون فيها السبب دالاً على شرط كاف لوقوع النتيجة[٣] ، وبعبارة أخرى أنّ حادثةً في قضية ما يكون لها من جهة السببية تعلّق بالحادثة المذكورة في التالي (النتيجة) ، وهذا التعلّق يتطلّب مزيد تخصيص وبيان بين الأحداث[٤] .

ويرى بعضهم أنّ هذه العلاقة قلّما تظهر بين القضايا الصغرى ، وأكثر ما تتمّ على مستوى القضايا الكبرى والأفكار العامة[٥] .

إنّ كون علاقة السبب بالنتيجة علاقة منطقية يجعلها تستند إلى أسلوب منطقي متدرّج من حدث إلى حدث ، مما يجعل قارئ النص في أثناء الكشف عنها أن يلجأ إلى توليد عقلي قائم على التفكير ، فمجيء البنية (النتيجة) بسبب من البنية (السبب) يُشعرنا بوجود علاقة تعمل على إحداث بناء منطقي بين أجزاء النص التي تخلو من أي رابط لفظي بينها .

ومن الشواهد القرآنية الدالة على هذه العلاقة ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ﴾ [الأعراف: ١٢-١٣] .

---

(١) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤٧ .
(٢) لسانيات النص : ٣٢-٣٣ .
(٣) ينظر : النص والسياق : ٩٤ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ٧٦ .
(٥) ينظر : نظرية علم النص : ١٤٤ .

إنّ ((امتناع إبليس من السجود ينطوي على دلالة ستنعكس أصداؤها على مجموع السورة ، كما أنّها في هذا المقطع الجزئي تنطوي على دلالة يوحي بها النص ، وهي قضية (التكبّر) من خلال التمسّك بالأصل))[١] . فامتناع إبليس من السجود كان نتيجة متقدّمة لسبب متأخر ، هو الأفضلية في الخلق ، فأجابته عن عدم سجوده بقوله : (**پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ**) ، أي ((المانع لي من السجود هو كوني أنا خير منه ، ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول ، فكيف يحسُن أن يؤمر به ... فاعتقد أنّ النار خير من الطين، وقد غلط في ذلك؛ فإنّ الأفضلية إنّما تظهر باعتبار النتائج والثمرات ، لا باعتبار العنصر والمادة فقط)) [٢] .

وقضية (التكبّر) التي صدرت عن إبليس بامتناعه من السجود لكونه ينتسب إلى النار ، كانت أيضاً سبباً متقدّماً لنتيجة متأخّرة ، فهي في الحقيقة حادثةٌ كان لها من جهة السببية أثرٌ في صدور نتائج مترتبة عليها ، وهي الهبوط إلى الأرض ، والخروج صاغراً من الجنّة .فعبّر عن هذه النتائج ((بالهبوط الذي يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج ، لأنّ مقصود هذه السورة الإنذار وهو أدلّ عليه ، وسبّب عن أمره بالهبوط الذي معناه النزول والحدور والانحطاط والنقصان والوقوع في شيء منه قوله : (فما يكون) أي يصحّ ويتوجّه بوجه من الوجوه لك أن تتكبّر فيها))[٣] .

فالنتيجة كانت ((على الضدّ تماماً من الباعث على التكبّر ، فإذا كان الامتناع عن السجود ينطلق من دافع التكبّر، فإنّ الذلّ وهو ضد التكبّر سوف يلحق الشخصية المتكبّرة))[٤] . فتحقّقت جراء هذه العلاقة (السبب والنتيجة) علاقة مقابلة بين دلالتين ضدّيتين هما (الكبر ، والإذلال) ، والإذلال المتمثّل في النتيجة الثانية أدى إلى نتائج أخرى أيضاً ؛ فعلاقة السبب بالنتيجة بين الحادثتين ، لم تكن مقتصرة عليهما فحسب ، بل نراها اتّسعت لتكون قابلة للتطبيق على بنيات أكثر امتداداً[٥] ، فنتيجة للتكبّر هبط

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د. محمود البستاني : ١٠/٢ .
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة : ٢٠١/٢ .
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٣٣٦/٧ .
(٤) التفسير البنائي للقرآن الكريم : ١١/٢ .
(٥) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤٢ .

إبليس، ونتيجة للهبوط توعّد إبليس الآدميين بالقعود لهم في الصراط المستقيم وغوايتهم، وإتيانهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وغير ذلك .

إنّ ما يقوي كون علاقة السبب بالنتيجة علاقة منطقية ؛ أنّها لم تخرج عن الموضوع العام لسورة الأعراف، وهو ((إنذار من يتولّون غير الله ومن يكذّبون بآيات الله ومن يستكبرون عن طاعة الله))(١) .

ومن الأمثلة القرآنية التي كان لعلاقة السبب والنتيجة أثرٌ في إحداث الانسجام الدلالي كونها ربطت بين القضايا ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ئـُ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە [illegible] ئې ئې ئى [illegible] ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ﴾ [الأعراف: ١١٥ – ١٢٢] .

وواضح أنّ قضية الإلقاء من قبل السحرة كانت سبباً لوقوع حادثة سحر أعين الناس واسترهابهم ، وهذا ما يؤدّي إلى ترابط الجمل داخل النص كون الوقائع التي تشير إليها الحادثتان متعالقة فيما بينها ، ونجد هذا الأمر نفسه في إلقاء موسى (عليه السلام) لعصاه ، إذ كان هذا الإلقاء سبباً في حدوث أكثر من نتيجة ، إذ ترتّب عليه تلقّف ما يأفِكون ، ووقوع الحق، وبطلان سحرهم، ثُمّ غُلبوا وانقلبوا صاغرين ، إلى أن سجدوا وآمنوا بربّ العالمين .

إنّ الترابط بين السبب والنتيجة يكشف عن قوّة التعالق بين هذه الجمل ، كما أنّه يكشف عن حقيقة مؤدّاها أنّ موقف السحرة وإيمانهم بالله عزّ وجلّ ، الذي يعدّ نتيجة مترتبة عن السبب ليس موقفاً عرضياً بقدر ما هو حقيقة عبادية عامة(٢) ، وهذا كلُّه مرتبط بالجو العام للسورة المباركة من تبليغ لرسالة السماء وإنذار ، ومن الدعوة إلى عبادة الله وحده والنهي عن اتّخاذ الشركاء من دون الله .

٣. علاقة الاستقصاء :

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د. عبد الله محمود شحاته : ٩٢ .

(٢) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٢/٥٠ .

والاستقصاء هو : ((تصعيد المعنى والوصول به إلى غايته))[١] . وقد بيّنه (السيوطيّ) بقوله : ((هو أن يتناول المتكلّم معنى يستقصيه ، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه ... حتّى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه، فلا يبقى لأحد فيه مساغ))[٢] .

وممّا دلّ على استقصاء المعنى، قوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ﴾ [مريم: ٢٧-٣٣] .

وقد انبنى هذا النص على نواة دلالية ، أو قضية كبرى ، هي واحدة من أهم القضايا التي ارتكزت عليها سورة (مريم) لكونها نصّاً موحّداً يشتمل على مجموعة قضايا، وهي قضية ولادة عيسى (عليه السلام) وتكليمه في المهد صبياً ، التي جاءت على شكل سؤال انكاري ، لذا جاء الردّ على لسان عيسى باستقصاء جميع ما من شأنه أن يدفع الشك الذي وقع في نفوس المخاطَبين ، فقال : (إنّي عبد الله ، آتاني الكتاب ...) ، فكلّ الأبنية التي وردت متتابعة وعلى اختلاف ألفاظها عملت متّحدة وبتدرّج على تصعيد المعنى الذي يركّز عليه منتج النص ، أو تدخل ضمن هذا المعنى الذي أراد ، ولو اقتصر فيها على قوله (إنّي عبد الله) لكان كافياً في الإخبار وبيان المعنى ، لكنّه لم يقف عند ذلك بل استقصى في تصعيد المعنى ، فقال (آتاني الكتاب) ، وزاد عليه ببيان صفاته (جعلني نبياً) ، ثمّ زاد (جعلني مباركاً) ... إلى ذكره لقضية الموت والبعث ، فاستقصى جميع المعاني التي أراد إيصالها حتّى بلغ الغاية فيها ، وكل ذلك مرتبط بالقضايا العامة الكبرى التي قام عليها نص سورة مريم ، وهي قضية التوحيد ، ونفي الولد والشريك لله سبحانه وتعالى ، وقضية البعث[٣] .

وليس من شكّ أنّ ارتباط استقصاء المعنى بالقضية الكبرى للسورة يعمل على تصعيد الدلالة والوصول بها إلى بنية دلالية كلّية ، ومن ثمّ يُسهم في إحداث انسجام دلالي .

---

(١) نظرية علم النص : ١٣٨ .

(٢) معترك الأقران : ١/٢٨٠-٢٨١ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٢٩٩/١٦ .

ونظير ما مرّ ما جاء على لسان عيسى (عليه السلام) في ردّه: ﴿ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] .

وقد اشتمل هذا النص على نواة مركزية هي مسألة الربوبية ، أو الألوهية من دون الله (عزّ وجلّ) ، إذ حاول (عليه السلام) أن يحشّد في ردّه كلّ ما من شأنه أن يصعّد المعنى ليصل به إلى غايته ، وهي نفي ادّعاء للربوبية ، يقابل ذلك استقصاؤه لبعض صفات الله المتعلّقة بالعلم المطلق والغيب .

إنّ دلالة الردّ لا تنحصر بين المنتج والمتلقي ، بل هي دلالة مفتوحة عبر الزمن ، وتمتدّ إلى كلّ من يصل إليه هذا القول ، والردّ بوصفه فعلاً كلامياً أدى إلى تقرير حقيقة تتعلّق بمسألة الربوبية ، وقد بدأت هذه الحقيقة بقوله : سبحانك ، تنزيها لله عزّ وجلّ ، ثمّ تدرّج إلى نفي ما أُسند إليه عن طريق الاستئناف المقرّر للتنزيه ، وإيثار (ليس) على الفعل المنفي لدلالته على استمرار انتفاء الحقّية وإفادة التأكيد ، ثم زاد على هذا النفي نفياً آخر يبيّنه بعدم صدور القول المذكور عنه بالطريق البرهاني ، ذلك أنّ صدوره عنه مستلزم لعلم الله تعالى به قطعاً، فحيث انتفى علمه عزّ وجلّ به انتفى صدوره عنه حتماً ، ثمّ زاد بأن علّل علم الله بما يُخفي في نفسه فكيف بما يُعلن! ، ثمّ بيّن الواقع في قصوره عما يُخفيه الله ، ثمّ أكّد مضمون ما سبق منطوقاً ومفهوماً بتقريره حقيقة كون الله علاّم الغيوب ، ثمّ زاد على كلّ ما سبق بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به[١] .

وليس بخافٍ بعد هذا ، أنّ ما قُرّر هنا بواسطة علاقة الاستقصاء مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالموضوع العام والبنية الكلية التي قامت عليها السورة، ذلك أنّها جاءت لـ((بيان الحق في المزاعم التي كان يثيرها أهل الكتاب ممّا يتّصل بالعقائد والأحكام))[٢] . وهذا من شأنه أن يعمل على إحداث الانسجام .

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٠١/٣ .

(٢) أهداف كلّ سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٦٢ .

٤ . علاقة السؤال والجواب :

تعمل علاقة السؤال بالجواب على بناء الحوار الداخلي ، كما أنّها تُسهم في بناء موضوع النص ، كونها تعمل على الربط بين القضايا داخل النص ، فضلاً عن ربطها النصّ بالسياق[١] .

وقد عبّر (محمد خطّابي) عن هذه العلاقة بالاستفهام المقدّر، وعنى به ((وجود سؤال مقدّر غير متجّلٍ في سطح الخطاب ، والذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هو بناء الخطاب على شكل زوج مكوّن من سؤال مقدّر/جواب ظاهر))[٢] ، ويرى أنّ هذه العلاقة تُسهم في ربط الكلام وجعل المعنى متّصلاً من دون وجود رابط لفظي[٣] .

ومن الشواهد القرآنية الدالة على هذه العلاقة ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ﴾ [العنكبوت: ٣١-٣٢] . إذ مثّل ردّ الرسل (قالوا نحن أعلم ...) جواباً عن سؤال مقدّر ، لم يرد في ظاهر النص ، قال أبو السعود في تقديره : ((قال إنّ فيها لوطاً ، فكيف تهلكونها ؟ قالوا نحن أعلم ...))[٤] .

وليس ثمة شكّ أنّ الإجابة عن السؤال المقدّر إنّما هو علاقة دلالية ، وقد وقع على المفسّر كيفية إظهارها ، من خلال استنطاق النص الذي ترك مساحة أو دلالة مفتوحة تمكّن المتلقّي من الكشف عنها .

المبحث الثاني : موضوع النص (البنية الكبرى) :

---

(١) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٠٧-٢٠٨ .
(٢) لسانيات النص : ١٠٩ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه : ١٠٩ .
(٤) إرشاد العقل السليم : ٣٨/٧ .

يعمد منتج النص عند انتاج نصّه إلى أن يعالج موضوعاً أو قضية ما ، وقد يضمّن نصّه مجموعة قضايا ، تكون بمثابة الأبنية الكبرى للنص ، ومن ثمّ فإنّها تمثّل قاعدة لموضوع النصّ . وأنّ إدراك موضوع النصّ هو أولى معطيات القارئ أو المحلّل ، إذ يتشكّل موضوع النصّ عنده نتيجة عملية الفهم[١] ، وعن طريق هذا الفهم يتمكّن من التحكّم في دلالة النص .

وموضوع النص أو موضوع التحاور على حدّ تعبير (فان دايك)[٢] ، يعدّ بنية دلالية يتمّ بواسطتها وصف انسجام النص ، لأنّه يختزل الإخبار الدلالي للمتتاليات وينظّمه ويصنّفه[٣] ، وهو يمثّل ((الفكرة الأساس أو الرئيسة في النص ، التي تتضمن معلومة المحتوى ... المحدّدة للبناء في كامل النص بشكل مركّز))[٤] .

ويذهب (محمّد خطابي) إلى أنّ موضوع النص ((ليس إلاّ أداة عملية لمقاربة بنية أكثر تجريداً هي البنية الكلية ، فعلى مستوى الوظيفة تقوم البنية الكلية بتنظيم الإخبار الدلالي المعقّد ، في المعالجة وفي الذاكرة))[٥] . وهذا ما أشار إليه (فان دايك) مسبقاً ، إذ قال : ((إنّ المتصوّر النظري الذي سنستعمله لوصف هذا المعنى الإجمالي ، أي موضوع النص ، هو البنية الكبرى))[٦] .

وتأسيساً على هذا الفهم يكون موضوع النص معادلاً للبنية (الكبرى) للنص، فكلاهما تمثيل دلالي لقضايا النص، أو اختزال له بأكمله. وموضوع النص أو البنية الكبرى ((تكمن في تحديد ما هو أكثر جوهرية في النص ككل من جهة الدلالة ... وتقتصر على المعلومات الجوهرية في النظر ، أمّا التفاصيل فقد تكون مهمة في ذاتها لتحقيق مقاصد معينة ، ليس لتشكيل البنية التجريدية المحورية في النص))[٧]. لذا فالأبنية الكبرى لا

---

(١) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ٥٠ .
(٢) ينظر : النص والسياق : ١٨٥ .
(٣) ينظر : لسانيات النص : ٤٢ .
(٤) مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ٥٠ .
(٥) لسانيات النص : ٢٧٦-٢٧٧ .
(٦) النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص : ١٥٩ .
(٧) اتجاهات لغوية معاصرة : ١٨٩ .

تتحدد بمستوى الجمل ، ((بل بالنظر إلى النص بوصفه وحدة كلية ، إذ إنها تتجاوز تحديد أبنية النص النحوية والدلالية إلى تحديد الترتيب الكلي لأجزاء النص، إلى النظام العام الذي يحكم حركة النص))[١] .

والبنية الكبرى للنص ذات طبيعة دلالية، وهي مشروطة بمدى الانسجام الكلي للنص ، ومع هذا لا يبدأ بها التحليل[٢] ، بل يبدأ من الأبنية الصغرى المتشكلة في متواليات وجمل تكون نصاً معيناً ، ثمّ ينتقل إلى الأبنية الكبرى التي تمثّل إجمال المعنى المقصود أو المراد من الخطاب ، والتي هي تصوّرات دلالية يتجمّع تحتها كمٌّ غير محدّد من الأبنية الصغرى[٣] .

وبلحاظ ما تقدّم فإنّ موضوع النص يمثّل قاعدة دلالية أو بنية كبرى ذات صبغة دلالية وطابع شمولي ، وهي تمثيل تجريدي للدلالة الكلية للنص[٤] ، ومنها ينطلق منتج النص في بناء نصّه ، وقارئ النص عند تلقّيه ، وأنّ جميع ما يشتمل عليه النصّ من الجمل والمتتاليات ، أي الأبنية الصغرى لا يجب أن يخرج عن الإطار الشمولي لبنية النص الكبرى ، ذلك أنّ تحليل العلاقات بين الوحدات في المتتاليات النصية مرهون بالكشف عن البنية الكبرى[٥] .

ومع هذا لا يمنع أن تكون متتالية جملية ما أو بنية صغرى تمثّل قضية كبرى تنضوي تحت بنية النص الكلية، لذا نجد أنّ تعويل (فان دايك) على الجملة كان لازماً ، فقد تشكّل جملة واحدة مفهوم قضية أو قاعدة كبرى تحدّد ما هو الأكثر جوهرية داخل النصّ الأساسي الدلالي للنص كلّه[٦] ، لذا نجده يوكّد على هذا المعنى بقوله : ((إنّ بنية

---

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ٢١٩ .

(٢) ثمة رأي يفارق ما قيل هنا ؛ إذ يذهب كلّ من د. صلاح فضل في (بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٥٣)، ود. صبحي الفقي في (علم اللغة النصي : ٦٠/١) إلى أنّ التحليل النصي يبدأ من البنية الكبرى ، والأولى ما ذهب إليه د. سعيد بحيري ؛ كون أنّ الأبنية الكبرى نتاج أو تصوّرات تُستخلص من مضامين الأبنية الصغرى.

(٣) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٣٠ .

(٤) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٥٢ .

(٥) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٦ .

(٦) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٥٢ ، وبلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٧ .

تصورية أو مفهومية (قضية ما) قد تصبح موضوع خطاب إذا نُظّمت بنية تصورية (قضائية) متوالية تنظيماً تراتبياً))[١] ، ويرى في موضع آخر أنّ كلّ بنية كبرى لمتوالية من الجمل هي تمثّل سيمانطيقي لنوع معين يتضمّنها الخطاب أو جزء منه [٢] ، فهو بذلك يفترض وجود أبنية نصّية ذات طبيعة عامة (كبرى) ، وأنّ هذه الأبنية على وفق طبيعتها دلالية، ولأجل هذا تتمثّل البنية الدلالية الكلية لأي نصّ بصورة مجرّدة في بنيته الكبرى[٣]. وبهذا فإنّ البنية الكبرى يجب أن تنبثق بالنسبة لمحتواها كنتيجة لبنية صغرى ، أو لبنية كبرى لكنّها في مستوى أدنى أو أقلّ منها [٤] .

إنّ مفهوم موضوع النص أو البنية الكلية مفهوم فضفاض على حدّ تعبير (فان دايك)[٥] ، وهو ليس شيئاً معطى في النص ، وإنّما هو مفهوم حدسي تتجلّى به كلية النص[٦] ، وإنّ كيفية تحديده رهين بالقرّاء ، ذلك أنّ ((القرّاء يختارون من النصّ عناصر مهمة ، تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم أو آرائهم ، وعليه يمكن أن تتغيّر البنية الكبرى من شخص إلى آخر))[٧] .

وانطلاقاً من المبدأ الذي تعوّل عليه الدراسات النصية من إسناد الانسجام إلى القارئ، نجد أنّ ارتباط البنية الكلية – كونها ذات طبيعة دلالية – مسند أيضاً إلى القارئ أكثر منه إلى المنتج ، كونها تعكس بقوةٍ كفاءة المتلقّي، وأنّ الاتجاه التحليلي بحسب (فان دايك) ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ على النص[٨] ، لذا حدد (فان

---

(١) النص والسياق : ١٨٧ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ١٩١ .
(٣) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٥٣ .
(٤) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٨ .
(٥) ينظر : لسانيات النص : ٤٢ .
(٦) ينظر : المرجع نفسه : ٤٦ .
(٧) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٧ .
(٨) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٩٠ .

دايك) ضوابط الوصول للأبنية الكبرى من خلال تنفيذ مجموعة عمليات أو قواعد ، هي[١] :

الأولى : قاعدة الحذف : ويقصد بها أنّ كل معلومة غير أساسية يمكن أن تحذف، وهذا لا يعني أن هذه المعلومة ليست مهمة في حدّ ذاتها ، ولكنها تعدّ ثانوية بالنسبة للمعنى الأعلى أو الأعم[٢] .

الثانية : قاعدة الاختيار : وتتعلق بحذف كم محدّد من معلومات نص ما ، ولا يعني ذلك تكرير القاعدة السابقة ، وإنما يختصّ الحذف هنا باختيار ما يتصل اتصالاً وثيقا بالقضية الجوهرية في نص ما وحذف ما سواه[٣] .

الثالثة : قاعدة التعميم : وتعني إمكانية أن تحلّ قضية شاملة محل قضايا متعددة، أي حلول تصور علوي مشترك محل عدد من التصورات الجزئية ، ويُطلق على التعميم أحياناً مصطلح (التجريد)[٤] .

الرابعة : قاعدة التركيب ، أو (الإدماج): وتعني أن تحلّ معلومة جديدة قائمة، مع ضرورة وجود ترابط ملازم بين التصورات أي (البنى الكبرى) ، القائمة في سلسلة القضايا الواردة ، أي يستخلص من عناصر النص ذاته ، ويشترط حينئذ ألاّ يفقد النصُّ مضمونه الأصلي ، أي ما يُسمى (ثيمة النص)[٥] .

الذي يُلحظ على هذه القواعد من الوجهة الشكلية ((أنّ القاعدتين الأوليين هما للإلغاء ، والثانيتين للإبدال . وإن كانت كلّها تقتضي ضرورة تحقيق المبدأ المسمّى بالتضمّن الدلالي، وهو يعني أنّ كلّ بنية كبرى نصل إليها عبر القواعد يجب أن تكون متضمّنة دلالياً في جملتها داخل مجموعة من الأقوال التي تطبّق عليها القاعدة))[٦] .

---

(١) ينظر : لسانيات النص : ٢٨٥ ، وبلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٨، واتجاهات لغوية معاصرة : ١٩٢.
(٢) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٩٢ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه : ١٩٢ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ١٩٣ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٦) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٨ .

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه القواعد ((لا تستطيع أن تعمل إلاّ بالاستناد إلى معرفتنا بالعالم ... وتعدّ مجرّدة أو نظرية إلى حدّ ما ، فهي لا تقول شيئاً عن الطريقة التي يطبقها فيها المستعمل لحظة التأويل الواقعي للنص))[١] .

وأنّ طريقة الوصول إلى البنية الكلية تختلف بحسب اختلاف النص، وأنّ ((اطراد تطبيق هذه القواعد من المؤوّلين متفاوت ، كما أنّ انتقاء المعلومات التي تعد هامة[٢] يتوقف على المعارف الموسوعية لكلّ شخص أكثر مما يتوقف على المقام))[٣] .

إنّ موضوع النص ووحدته يتجليّان بشكل كبير في النصّ القرآني، فالقرآن الكريم لشدّة انسجامه وتماسكه عُدّ كلمة واحدة ، وهو بذلك يمثّل وحدة كبرى في التحليل النصّي، على الرغم من أنّ ((كلّ سورة من سور القرآن ذات شخصية متفرّدة، وذات ملامحٍ متميزة، وذات منهج خاص ، وذات أسلوب معيّن ، وذات مجال متخصّص في علاج هذا الموضوع الواحد ، وهذه القضية الكبيرة ، إنّها كلّها تتجمع على الموضوع والغاية ، ثمّ تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة))[٤] .

وفي القرآن الكريم يُقصد بموضوع النص ((بنية دلالية تصبُّ فيها مجموعة من الآيات بتضافر مستمر عبر متواليات قد تطول أو تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب من إيجاز أو إطناب ، ... إلخ))[٥] . وعند النظر إلى السور القرآنية نجد أنّ الآيات فيها متجاورة على الرغم من اختلاف أسباب نزولها، وهذا الأمر راجع إلى وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة[٦] .

إنّ قضية تحديد البنى الكبرى للسور أمر مناطٌ بالمفسّر أو المتلقّي (القارئ) ، الذي يمتلك كفاءة الفهم والتفسير والتحليل ، ويُعلّل (بحيري) ذلك الأمر بأنّه : ((ينتمي إلى

---

(١) النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص : ١٦١ .
(٢) الصواب : مهمة .
(٣) لسانيات النص : ٢٨٥ .
(٤) في ظلال القرآن : ١٢٤٣/٨ .
(٥) ينظر : لسانيات النص : ١٨٠ .
(٦) ينظر : علم اللغة النصي : ٩٧/١ .

مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص ، ... وأنّ النسبة تختلف باختلاف درجات كفاءة القارئ ، ولكن يشترط أصحاب هذا الاتّجاه قدراً كبيراً من التوافق بين مستخدمي[١] اللغة ، فعلى الرغم من اختلاف القرّاء في اختيارهم عناصر مهمة في النص لتحديد الأبنية الكبرى للنص تبعاً لمعارفهم واهتماماتهم وآرائهم ، مما يجعل البنية الكبرى تتغير من شخص إلى آخر ، فإنّه على مستوى التفسير الإجمالي لأحد النصوص لا بدّ من وجود توافق كبير بين مستخدمي اللغة))[٢] .

سورة الأعراف :

وموضوع سورة الأعراف جاء ليعالج مجموعة من القضايا ، وقد ذكر ابن عاشور أنّ مقاصدها تدور على محاور منها[٣] :

- النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله
- إنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك
- ووصف ما حلّ بالمشركين والذين كذّبوا الرسل ... إلى غير ذلك .

وأنّ الهدف الرئيس من السورة المباركة هو الإنذار ، ((إنذار من يتولّون غير الله ومن يكذّبون بآيات الله ومن يستكبرون عن طاعة الله))[٤] .

فالسورة المباركة إذن ، سورة مكّية ، موضوعها الأساس هو موضوع القرآن المكّي (العقيدة)[٥] . لذا نجد أنّ قارئ النص (المتلقّي) ، أو المفسّر لم يعتمد على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمّنها النص فحسب ، بل أدخل عناصر القراءة التي يمتلكها داخل ما يُسمّى بكفاءة النص أو إنجازه ، وبتعبير آخر ، أنّه لم يقم بترجمة البيانات

---

(١) الصواب : مستعملي .
(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٣٠ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٨/٢٢٤-٢٢٥ .
(٤) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٩٢ .
(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٨/١٢٤٤ .

الواردة في النص دلالياً فقط ، بل وضع لها نوع الإطار الذي يراها من خلاله[١] . لذا نجد أنّه عمد إلى قاعدة الاختيار ، إذ اختار من السورة المباركة ، ما يتصل اتصالاً وثيقاً بالقضية الجوهرية في نص ما وحذف ما سواه .

أمّا (سيد قطب) فقد عالج قضية سورة الأعراف من خلال لجوئه إلى قاعدة (التعميم) ، أي حلول تصوّر علوي مشترك محلّ عدد من التصورات الجزئية للكشف عن بنية النص الكبرى ، وهذا التصوّر هو موضوع العقيدة الذي تعالجه سورة الأعراف وتعرضه في مجال التاريخ البشري مبتدأة بالجنة والملأ الأعلى ، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها[٢] ، فصارت بذلك قضية العقيدة شاملة لقضايا متعددة .

وبقراءة متفحّصة نجد أنّ موضوع العقيدة والنهي عن اتّخاذ الشركاء من دون الله عزّ وجل ، الذي مثّل بنية كبرى قامت عليها سورة الأعراف ، قد تمثّل في مجموعة آيات من سورة الأعراف ، وذلك في قوله تعالى :

. ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ﴾ .

. ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ .

. ﴿ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ... ڈ ڈ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ﴾ .

. ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ... ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ .

---

(١) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤١ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٢٤٤/٨ .

فسورة الأعراف بلحاظ موضوعها العام انطوت على جملة محادثات ، ولاسيما محادثات الأنبياء (عليهم السلام) مع أقوامهم ، وهذه المحادثات على اختلاف أبنيتها الصغرى إلاّ أنّها تغذّي البنية الكبرى لنص السورة ، وهي العقيدة والتوحيد ، أي عبادة الله جلّ وعلا وعدم الإشراك به .

فنجد أنّ من بين المحادثات التي تضمّنتها سورة الأعراف محادثة نوح مع قومه ، وعاد وقومه ، وعلى الرغم من اختلاف البنية الصغرى في حوار صالح (ع) مع قومه عن سابقيه (نوح وهود) إذ أمرهم بترك الناقة وعدم مسّها ، وكذا كانت دعوة شعيب (ع) مغايرة من حيث بنيتها الصغرى ، وهي الدعوة إلى القسط ، إلاّ أنّنا نجد أنّ القدْر الجامع بين هذه المحادثات والردود تمّثل أشكالاً مختلفة نسبياً لتشكّل في المحصّلة النهائية صورة البنية الكلية للنص .

إنّ دعوة الأنبياء عليهم السلام أقوامهم ، مثّلت مواقف وأحداث تتناسب مع مقدّمة السورة التي طرحت مفهومي (التبليغ) و(الإنذار) ، اللذين شكّلا في ما بعد العصب الفكري الذي امتدّ في هيكل السورة[1] . إذ تضمّنت آيات الردّ هذين المفهومين :

. ﴿ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ﴾

. ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ...﴾ .

إنّ هذه الدعوات قد قوبلت بردود مضادّة تماماً للغة النصيحة والرحمة التي جاءت على لسان الأنبياء ، وكانت هذه الردود أيضاً بمثابة قاعدة صغرى لبناء بنية كبرى ، كانت من أهمّ البنى التي عالجتها سورة الأعراف، وهي قضية تكذيب الأنبياء والرسل ووصفهم بالضلالة والسفاهة والكذب (أجلّهم الله) ، وقد احتفظت هذه الردود جميعاً بدلالتها السلبية. ونجد أيضاً أنّ من بين هذه الآيات آيات تتّجه إلى وصف سوء العذاب ، ووصف ما حلّ بالمشركين الذين كذّبوا الرسل ، ومن هذه الآيات ما جاء في قوله تعالى :

(١) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٣٥/٢ .

ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گگ ... ۀ ، وقوله تعالى : ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ، وليس بخافٍ أنّ هذه الآيات تتحرّك ضمن موضوع عام وبنية كبرى قامت عليها السورة المباركة .

إنّ بناء الموضوع الذي قامت عليه السورة المباركة تمّ من خلال التمثيل الذهني للمعلومات والقضايا التي احتواها النص ، ومن ثمّ تمّ دمجها في كلّ أكبر لمجموعة من الآيات تتضمن دلالياً ، لذا نجد أنّ تجمّع الأبنية الصغرى وتراكمها دلالياً تحت قضية عامة أو شاملة ما هو في الحقيقة إلاّ تكرار للقضية أو البنية الكبرى ، وأنّها خلو من التناقض ، بحسب مبدأ شارول .

سورة طه :

وقد قامت هذه السورة المباركة على مجموعة قضايا أو أبنية كبرى ، منها : التنويه بعظمة الله تعالى ، وإثبات رسالة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومماثلتها رسالة موسى (عليه السلام)[١] ، ثمّ تنتقل بشخصية النبي محمد للحديث ((عن رسالة موسى وجهاده في مصر ، وجهوده مع بني إسرائيل))[٢] .

وليس بخافٍ في علم النص أنّ تصوّر البنية الكبرى هو تصوّر نسبي ، ((فالقضية لن تكون أبداً قضية كبرى في حد ذاتها ، ولكنها ستكون كذلك إزاء القضية (الصغرى) التي اشتقت منها بوساطة الضوابط الكبرى))[٣] .

لذا نجد أنّ المفسر قد عمد إلى بيان مجموعة قضايا للوصول إلى البنية الكبرى للنص، وأنّه قد استند إلى قاعدة التعميم لبيانها ، ففي العرض القصصي لرسالة موسى، نجد أنّ البنى التي عرضها هي ما بسطته السورة المباركة من نشأة موسى وتأييده من الله

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨١/١٦ .
(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٢٣٤ .
(٣) النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص : ١٦١ .

سبحانه ، ونصره على فرعون وأتباعه بالحجة والمعجزات ، وإنجاءه وقومه، وغرق فرعون، وقصة السامريّ وصنعه العجل الذي عبده بنو إسرائيل[١] .

ولم يبتعد (سيد قطب) في ظلال القرآن عمّا ذهب إليه ابن عاشور ، ولاسيما فيما يتعلّق بالجانب القصصي لرسالة موسى (عليه السلام) ، فهو يعرض لهذه القصة من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل ، ويرى أنّ في ذكر هذه القصة نموذجاً كاملاً لرعاية الله سبحانه وتعالى لمن يختارهم لإبلاغ دعوته، فلا يشقون بها وهم في رعايته[٢] .

ففي قوله تعالى : ﴿ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﴾ [طه: ٤٥-٤٦] ، تجلّت رعاية الله سبحانه وتعالى وتأييده لموسى (عليه السلام) . وفي قوله تعالى : ﴿ □ ﴾ [طه: ٤٩-٥٢] ، تنويهٌ بعظمة الله (عز وجل) ، واستدلال على إثبات ربوبيته لجميع الموجودات ، وتذكيرٌ بنعمة الخلق والتكوين معاً[٣] . وتمثّل في قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ﴾ [طه: ٦٥-٧٠] ، تأييده تبارك وتعالى لموسى (عليه السلام) بالحجّة والمعجزة ، ونصره على فرعون وأتباعه .

فهذه النصوص الحوارية بما اشتملت عليه من ردود كانت بمثابة مفاهيم أو قضايا صغرى تتفاعل فيما بينها ، لتمثّل معنى أعم وأعلى متّصلاً اتصالاً وثيقاً بالبنى الكبرى التي تعدّ تجريداً كلياً لدلالة السورة وموضوعاتها التي قامت عليها . فالأبنية الصغرى تتحرّك دلالياً تحت نطاق الكلية ، التي ينبغي أن تنبثق كنتيجة لها .

إنّ تصوّر البنى الكلية الدلالية للسورة مشروط بتحليل الأبنية الصغرى وتجمّعها تحتها ، ولأجل هذا لا يمكن لتلك الأبنية أن تخرج عن إطار التمثيل التجريدي لبنى النص

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨١/١٦ .
(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٣٢٦/١٦-٢٣٢٧ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣٢/١٦ .

الكبرى. وهذا ممّا لا شكّ فيه وجدناه يصدق على النصوص الحوارية في أعلاه، إذ مثّلت دعماً لبناء تصوّر كلّي لنص (سورة طه) ، فلولاها لما تمكّن المتلقّي أو المفسّر أن يخمن المعنى الكلي العام وبنى السورة الكبرى .

المبحث الثالث : السياق :

إنّ اللغة تُدرس في نطاق التواصل والاستعمال ، والمعنى اللغوي على ذلك ليس متأصلاً في الكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلّم أو السامع ، بل يتمثّل في التداول بينهما في سياق محدد وصولاً إلى المعنى الكامن في الكلام[١] . لذا ذكر (فندريس) أنّ ((الذي يعيّن قيمة الكلمة ... إنّما هو السياق ؛ إذ إنّ الكلمة توجد في كلّ مرة تُستعمل فيها في جوٍّ يُحدّد معناها تحديداً مؤقّتاً ، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها ، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية))[٢] .

والسياق عند (أولمان) يشمل النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة ، ولا يشمل الكلمات والجمل فحسب ، بل يشمل النص كله ، وكل ما يتّصل به من ظروف وملابسات ، والعناصر غير اللغوية المتعلّقة بالمقام الذي أُنتج فيه[٣] .

فللسياق إذاً ، أثر كبير في تحديد معنى النص ، ومن ثم انسجامه[٤] ، فهو آلية من آليات الانسجام ، وعن طريقه يمكن التوصّل إلى دلالة النص ، كون المعنى يتغيّر تبعاً لتعدّد السياقات .

---

(١) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. محمود أحمد نحلة : ١٤ .
(٢) اللغة ، فندريس : ٢٣١ .
(٣) ينظر : دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، تر : د. كمال بشر : ٥٧ .
(٤) ينظر : علم اللغة النصي : ١٠٦/١ .

والسياق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليّة إنتاج النصوص ، فهو أداة معرفيّة تمكّن محلّل النص من الوصول إلى المعنى المراد، بسبب أنّه ((إطار عام تنتظم فيه عناصر النصّ ووحداته اللغويّة ، ومقياس تتّصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط ، وبيئة لغويّة وتداوليّة ترعى مجموع العناصر المعرفيّة التي يقدّمها النص للقارئ ، ويضبط حركة الإحالة بين عناصر النص ، فلا يُفهم معنى كلمة أو جملة إلاّ بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق ، وكثيراً ما يرد الشبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميز بينها ، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلاّ بالرجوع إلى السياق اللغوي))[١] .

وعليه فالسياق مؤثّر في انسجام النص وفهمه انسجاماً يجعل منه مرتبطاً بعضه ببعض حتّى يكون كالكلمة الواحدة متّسقة معنى ومنتظمة مبنى ، وكثير من النصوص لو عُزلت عن سياقها لفقدت صفة النصية ، فتحليل النص وفهمه متزامن مع السياق وفهمه . لذا عدّ (هاليداي) السياق والنصّ وجهين لعملة واحدة ، وأنّ السياق بحسب مفهومه هو النص الآخر ، أو النص المصاحب للنص الظاهر ، والنص الآخر لا يشترط أن يكون قوليّاً إذ هو يمثّل البيئة الخارجيّة للبيئة اللغويّة بأسرها ، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثّل اللغوي ببيئته الخارجيّة ، ونظراً لأنّ السياق يسبق في الواقع العملي النص الظاهر أو الخطاب المتصل به ، فقد رأى (هاليداي) أن يعالج موضوع السياق قبل أن يعالج موضوع النص[٢] .

وهذا ما أكّد عليه (جون لاينز)، إذ يرى أنّ كلاً من النصّ والسياق متمّم للآخر، وتعدّ النصوص مكوّنات للسياقات التي تظهر فيها ، أما السياقات فيتمّ تكوينها وتعديلها وتحويلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستعملها المتحدّثون والكتّاب في مواقف معينة[٣] .

---

(١) أثر السياق في فهم النص القرآني ، عبد الرحمن بودرع ، (مجلة الإحياء المغربية ، ع٢٥ ، ٢٠٠٧) : ٧٣ .

(٢) ينظر : علم النص ونظريّة الترجمة ، يوسف نور عوض : ٢٩ .

(٣) ينظر : اللغة والمعنى والسياق : ٢١٥ .

إنّ البحث عن انسجام النص يُلزمنا الرجوع إلى عناصر السياق اللغوية وغير اللغوية[١] ؛ والغرض من التركيز على هذه العناصر يكمن في كونها هي التي تمكّننا من ((التطلّع إلى فهم أدقّ وإشراك فعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعيّة ؛ عمليّات استلزمتها غايات تفسيريّة لامحدودة تتأبّى على أن تنغلق في حدود الأطر الظاهرية والنظرات السطحيّة ، وترنو إلى استمرار التفاعل بين النص ومتلقيه ، في حركة تحافظ على ديناميّة النص من جهة ، وعلى تعدد القراءة الذي تتيحه نصوص خلاّقة ومناهج لا تقل عنها في إمكانات الخلق والاستنطاق والتفسير))[٢] .

عناصر السياق وأثرها في فهم النص :

إنّ العناصر السياقية التي تشكّل سياق نص ما، التي هي في رأي (هايمس) عناصر قابلة للتصنيف ، هي[٣] : المتكلّم (الكاتب) ، المخاطب (المتلقّي/القارئ) ، الحضور ، الموضوع (مدار الحدث) ، والمقام (زمان الحدث ومكانه) ، القناة (الكيفية)، النظام (اللغة أو اللهجة أو الأسلوب) ، المفتاح ، الغرض (المقصد) .

إلاّ أنّ هذه العناصر لا يمكن الاحتفاظ بها جميعاً في معالجة النص ، وهي ليست ضرورية في الأحداث التواصلية جميعاً ، إذ يذهب (براون ويول) إلى الاكتفاء ببعضها وأنّ على محلّل النصّ أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه ، والسياق عندهما يتشكّل من (المتكلّم ، والمتلقّي ، والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي)[٤] .

هذا هو المبدأ أو الإطار العام الذي يبيّن أهمية السياق في فهم نصٍّ ما وتأويله[٥]، إذ يمكّن السياقُ منتج النص أن يعدل في التعبير عن قصده عمّا يتطابق مع ظاهر اللفظ

---

(١) ينظر : النص والسياق ، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي ، فطومة لحمادي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية) ، بسكرة ، العددان ٢-٣ ، ٢٠٠٨ : ٢.

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٣ .

(٣) ينظر : لسانيات النص : ٥٢-٥٣ .

(٤) ينظر : تحليل الخطاب : ٣٥ .

(٥) ينظر : لسانيات النص : ٢٩٧ .

إلى التلميح ، لينتج بذلك دلالة يستلزمها النص ، وهذا الأمر يؤكّد لنا حقيقة مفادها أنّ للسياق مركزية في التعبير عن القصد .

أنـواع السياق :

إنّ تعدّد معاني الكلمة الواحدة غير راجع إلى الكلمة ذاتها ، بل راجع إلى تعدّد المواضع والسياقات التي ترد فيها ، فمعنى الكلمة هو استعمالها في سياق معين ، وعليه فإنّ دراسة المعنى لكلمة ما يتطلّب تحليل السياقات التي ترد فيها ، والاستعمال يحكمه أمران :

الأوّل : السياق اللغوي (النـصّي) :

وكثيراً ما يُعبّر عنه بالسياق الداخلي أو المقالي ، وهذا النوع من السياق محدود بحدود النص لا يتجاوزه ، ويبدأ بالنظر في بنية الكلمة المفردة وسياقها المعجمي ثم تركيب الجملة وعلاقات الجمل انتهاءً بالنص[١] .

إذ إنّ معنى الكلمة لا يتحدّد إلاّ بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية[٢] ، وموقعها مما يجاورها من الكلمات التي تشترك معها في السياق ، فهو الذي من خلاله تتجلّى دلالة الكلمة من خلال استعمالها[٣] ، لهذا يصرّح (فيرث) بـ((أنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة ... فمعظم الوحدات الدلالية ، تقع في مجاورة وحدات أخرى . وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها))[٤] .

---

(١) ينظر : السياق وتوجيه دلالة النص ، عيد بلبع : ١٤١ .
(٢) ينظر : تحليل الخطاب : ٦٨ .
(٣) ينظر : علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ٦٨ .
(٤) علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر : ٦٨ .

فالسياق يحدّد الكلمة (البؤرة) ؛ ويمارس عمله عليها ليثير دلالة جديدة غير قابلة للانحصار في المعنى الحرفي من جانب، ولا في الشروح المستفيضة من جانب آخر[١].

أمّا عن السياق في القرآن الكريم ، فنجد أنّ ((الخطاب القرآني يتجاوز في كثير من الأحيان الصيغة التصريحية ليلجأ إلى التلميح ، وذلك سياق الإشارة إلى إمكانية مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلّم ، فتتحوّل الأفعال الكلامية بوجود جملة من القرائن المقالية والمقامية يختارها المرسل لتحقيق قصد معين ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فهم مقاصد القرآن من دون اللجوء إلى كشف القرائن والسياقات النصية التي ارتبط بها المقام لكشف المعنى الذي يسعى إلى تحقيقه ، وهذه القرائن تؤدي وظيفة المرشد للتعامل مع هذا النوع من الخطاب))[٢] .

لذا يُقسم السياق القرآني على أنواع أربعة تتداخل في ما بينها ، إذ ((قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد ، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة ، ويضاف إليها ، وقد يكون له امتداد في السورة كلّها ، بعد أن يمتدّ إلى ما يسبقه ويلحقه ، وقد يطلق على القرآن بأجمعه ، ويضاف إليه ، بمعنى أنّ هناك سياق آية ، وسياق النص ، وسياق السورة ، والسياق القرآني ، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى))[٣] .

ومن موارد السياق النصّي في آيات الردّ ، ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٠].

ولفظة (نراك) يتجاذبها معنيان ، المعنى الأساس المعجمي ، والمعنى السياقي، وقد استعملت في هذا الموقع بغير معناها الحقيقي الذي هو رؤية العين ، إذ وردت في سياق خاص ليُدَلّ بها على ما يُراد منها من مقصد ، وهي مأخوذة من (الرؤية) القلبية، قال ابن

---

(١) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ١٥٥ .

(٢) دور السياق في فهم النص القرآني ، بوقرومة حكيمة ، (مجلة اللغة والأدب) ، ع ٢١ ، ٢٠١٤ : ٣١٢ .

(٣) السياق القرآني وأثره في التفسير ، عبد الرحمن المطيري ، (رسالة ماجستير) : ١٠٤ .

عاشور : ((والرؤية قلبية بمعنى العلم ، أي لنوقن أنّك في ضلال مبين))[١] . فاستعمالها إذاً ، يختلف عمّا جاء في قوله تعالى : ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ [هود: ٢٧] .

فسياق الآية النصي يقتضي استعمال هذه اللفظة بهذا المعنى كون أنّ الضلال هو الذهاب عن طريق الحق والصواب[٢] ، واستعمال اللفظة بهذا المعنى كان له أثرٌ في إنتاج دلالة معينة لدى المتلقّي . وبذلك استمدّت هذه اللفظة قيمتها من السياق الذي وردت فيه ، فكان معناها جزءاً من معنى السياق جميعه .

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﴾ [يونس: ١٦] ، ردّاً على : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ﴾ [يونس: ١٥] .

فإطلاق لفظة (عُمُراً) على ما يقتضيه السياق يُراد منه الحياة[٣]، مشتقٌّ من العُمران؛ لأنّ مدّة الحياة يَعمُر بها الحي العالم الدنيوي ، والعُمر المدة الطويلة التي لو عاش المرءُ مقدارها لكان قد أخذ حظّه من البقاء ، وهذا هو المعنى المقصود هنا ، وليس المراد لبثت مدة عمري ، بدليل أنّ عمره لم ينته[٤] .

ومن موارد الكشف عن المعنى من خلال السياق اللغوي ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾ [آل عمران: ٣٨ – ٣٩] .

وقد ورد في سياق الآية أنّ يحيى (حصوراً) ، والحصر في اللغة هو الحبس والجمع والمنع ، وقد يُراد به العيُّ أو ضيق الصدر[٥] . أمّا الحصور فقد قيل : إنّ معناه كاتمّ

---

(١) التحرير والتنوير : ١٩٠/٨ .
(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٣٥/٣ .
(٣) ينظر : لسان العرب ، (عمر) : ٦٠١/٤ .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢٢/١١ .
(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، (حصر) : ٧٢/٢ .

السرّ ، وقيل : إنّه لم يكن له ما للرجال[١] . وقال الماورديّ (ت٤٥٠هـ) : ((وحصوراً فيه ثلاثة أقاويل : أحدها : أنّه كان عِنّيناً لا ماء له ، ... والثاني : أنّه كان لا يأتي النساء ، ... والثالث : أنّه لم يكن له ما يأتي به النساء))[٢] .

وبهذه الأقوال الثلاث يكون حصور على (فَعُول) بمعنى (مَفْعُول) ، أي محصور، كقولهم: ((رَكوب بمعنى مركوب، وحَلوب بمعنى محلوب، وهَيوب بمعنى مهيوب))[٣]. وهذا يجافي ما في الآية الكريمة من ذكر لتمام البشرى على زكريا ، فإن كان محصوراً نُقضت صفة الكمال فيه، وعليه نجد أنّ قول الزمخشريّ في أنّ ((الحصور : الذي لا يقرب النساء حصراً لنفسه ، أي منعاً لها من الشهوات))[٤] ، أقرب صواباً .

وبهذا يكون (فَعُول) بمعنى (فاعِل) ، ولم تتكشّف هذه الدلالة إلاّ بفعل السياق ، الذي عيّن المعنى القصود من هذا اللفظ وأعطاه قيمة حضورية من دون النظر إلى غيره من المعاني ، ممّا يؤدي إلى إكساب النص صفة الانسجام ، وقد تمّ هذا من خلال النظر إلى موقع اللفظ في السلسلة الكلامية ، وإلى ما يجاوره من الألفاظ . فسياق الآية يتضمّن هذا المعنى من دون غيره ، بدليل دعاء زكريا (ع) أن يهبه الله ذرية طيبة ، والقرينة الأخرى التي تُساعد على هذا المعنى أنّه جاء بعد البشرى ، التي تحمل صفات الكمال والمدح بالذرية .

ومن الألفاظ التي كان للسياق اللغوي أثرٌ في بيان معناها ، وتحديد دلالتها المقصودة ، لفظة (يُغاث) ، التي وردت في ردّ يوسف (ع) على رسول الملك ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ۓ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ﴾ [يوسف: ٤٩] .

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٤٦٨/٢ .
(٢) النُكت والعيون : ٣٩٠/١-٣٩١ .
(٣) تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ١٠٥ .
(٤) الكشّاف : ٥٥٥/١ .

و(يُغاث) لفظٌ متردّد بين الغيث ، فيكون معناه يُمطرون ، وبين أن يكون من الإغاثة بمعنى الإعانة[١]، يقال (أغاثهم الله) إذا فرّج عنهم[٢] . ويجوز أن يكون بمعنى الكلأ الذي ينبت من ماء السماء ، أو من الإغاثة بمعنى النصرة[٣] .

هذه المعاني جميعها مضمّنة تحت هذا اللفظ ، إذ يحتملها جميعاً فيما لو قُرئت اللفظة بمعزل عن سياقها الذي وردت فيه ، وهنا تأتي وظيفة السياق في تحديد المعنى الملائم المقصود ، مستبعداً المعاني الأخرى . يقول صاحب الميزان : ((فقوله **(فيه يُغاث الناس)** إن كان من الغوث كان معناه : يُنصرون فيه من قبل الله سبحانه بكشف الكربة ، ورفع الجدب والمجاعة وإنزال النعمة والبركة ، وإن كان من الغيث كان معناه يمطرون ، فيرتفع الجدب من بينهم ، وهذا المعنى الثاني أنسب بالنظر إلى قوله بعده **(وفيه يَعصِرون)**، ولا يُصغى إلى قول من يدّعي أنّ المعنى الأول هو المتبادر من سياق الآية، إلاّ على قراءة (يعصرون) بالبناء للمجهول))[٤] .

ويمضي المفسّر في تحديد دلالة اللفظ المراد الذي ينسجم مع النص الذي ورد فيه معتمداً على سياق النص ، إذ يقول في موضع آخر : ((وممّا تقدّم يظهر أيضاً أنّ الأنسب أن يكون المراد ... الإمطار وحلب المواشي ؛ لأنّ ذلك هو المناسب لما رآه في منامه من البقرات السبع سماناً وعجافاً ، فإنّ هذا هو المعهود ، ومنه يظهر وجه تخصيص الغيث والعصر بالذكر في هذه الآية))[٥] .

ولا يخفى بعد هذا ، أنّ السياق اللغوي قد مثّل ضابطاً دلالياً لحركة المعنى داخل النص بالشكل الذي يسمح للمتلقّي من تقليص احتمالات معانٍ مختلفة تقع خارج دائرة قصد المنتج ، كما لا يخفى ما له من أهمية في تحديد معاني الوحدات اللغوية ، بل في

---

(١) ينظر : لسان العرب ، (غيث) : ١٧٥/٢ .
(٢) ينظر : المحرّر الوجيز : ٩٩/٥-١٠٠ .
(٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٥١/٦ .
(٤) الميزان في تفسير القرآن : ١٩٣/١١-١٩٤ .
(٥) الميزان في تفسير القرآن : ١٩٧/١١ .

تحديد معنى الكلمة ، وتحديد معنى الكلمات يؤدي – بلا شكّ – إلى بيان دلالة الجمل داخل النص ، ممّا يؤدّي إلى تحقيق انسجامه[١] .

الثاني : السياق غير اللغوي (الخارجي) :

وهو ما يعبر عنه بسياق الموقف أو المقام ، ويمثّل هذا النوع من السياق كلَّ ما يحكم عناصر الموقف اللغوي من سياقات خارج النص ، نفسية كانت كالتي تتمثّل بدوافع المرسل واستجابة المتلقّي، أو ثقافية كالتي تتعلّق بالمحيط الذي يحكمهما معاً[٢]. وقد عرّفه الدكتور (حسام أحمد فرج) بأنّه ((ما يشير إلى الموقف الاتصالي بعناصره : المتكلّم / الكاتب ، والمستمع/القارئ ، والعلاقة بينهما ، وزمان ومكان النص ، والظروف الاجتماعية والسياسية المرتبطة به))[٣] .

وبتعبير آخر يمكن القول : إنّ السياق غير اللغوي هو كلّ ما يتعلّق بالنص ، من أحداث تقع خارجه – تتعلّق بالمنتج والمتلقي، والظروف الزمانية والمكانية – وتساعد على فهم معناه[٤] .

وقد اهتمّ علماء النص بهذا النوع من السياق لما له من أثر بالغ في إضاءة جوانب النص ، وذلك من خلال بيان مناسبة النص للموقف الذي أُنشئ فيه ، ومنهم (دي بوجراند) الذي يرى أنّ هذا السياق ((يتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه ، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره))[٥] .

إنّ قراءة السياق غير اللغوي ، والعناصر المحيطة بالنص تُشكّل عاملاً مهماً في تحديد دلالة المعنى العام له وفهمها ، وفي اقتراحات الخروج عمّا يفرضه اللفظ من

---

(١) ينظر : علم اللغة النصي : ١٠٦/١ .
(٢) ينظر : المعنى خارج النص ، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي : ٧ .
(٣) نظرية علم النص : ٢٥ .
(٤) ينظر : السياق وتوجيه دلالة النص : ١٣١ .
(٥) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

معنى مباشر أو أوّلي[١] . ذلك أنّ أيّ تغيير في عالم خارج النص قد يجد له صدى في النص أو الحدث اللغوي المتّصل به. وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا يُعطي لمتلقّي النص، مساحة كبيرة تمكّنه من الحكم على انسجام النص ، فلو جهل القارئ السياق الذي أُنتج فيه النص – ولا سيما النصوص التي لا يمكن فهم دلالاتها بمعزلٍ عن سياقاتها الخارجية – لما أمكنه من الوصول إلى فهم دقيق يمكّنه من تحليله ؛ بسبب أنّ السياق ((يتعلّق بقضايا التأويل والإشارة والأيديولوجيا والعالم الخارجي ، ممّا يقتضي ضرورة حصره في الإطار المعرفي الملامس للنص بشكل مباشر))[٢] .

فالسياق الخارجي ، إذن ، رهين بالقارئ ؛ إذ هو الذي يُسعفه في بعض الأحيان في تبيين دلالات النص ، ومن ثمّ تبيين انسجامه ، وإذا حصل تناقض بين العالم والنص الداخلي ، سارع القارئ إلى إحداث عملية تجسير عبر مستوى الدلالة أو المنطق[٣] .

ومن الآيات التي أسهم السياق الخارجي في فهم دلالتها وبيان معناها ما جاء في قوله تعالى : ﮋ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﮊ [يوسف: ٢٣] .

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ الضمير في قوله (إنّه ربي) يعود إلى اسم الجلالة[٤]، وبالنظر إلى المقام الذي قيلت فيه الآية نجد أنّ الضمير في ردّ يوسف (ع)، إنّما يعود إلى زوجها لا على الله (ﷻ) ، وقد ذكر الزمخشريّ أنّه يريد به سيده ومالكه بدلالة (أحسن مثواي) إشارة إلى قوله لها في آية سابقة (أكرمي مثواه)[٥] .

قال أبو السعود : ((وقوله عزّ وجلّ (إنّه ربي أحسن مثواي) تعليل للامتناع ببعض الأسباب الخارجية مما عسى أن يكون مؤثراً عندها وداعياً لها إلى اعتباره بعد التنبيه

(١) ينظر : المعنى خارج النص : ١٨ .
(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٢٥ .
(٣) ينظر : الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، خلود العموش : ٢٧٤ .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٥١/١٢ ، والبحر المحيط : ٢٩٤/٥ .
(٥) ينظر : الكشّاف : ٢٦٧/٣ .

على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سوّلته لها نفسها ، والضمير للشأن ... لا يُفهم منه أول الأمر إلاّ شأن مبهم له خطر، فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكّن، فكأنّه قيل إنّ الشأن الخطير هذا هو ربي أي سيدي العزيز أحسن مثواي، ... ، حيث أمرك بإكرامي ، فكيف يمكن أن أسيئ إليه بالخيانة في حرمه ، وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه))[١] . فضلاً عن ذلك أنّ التعبير بكلمة (ربي) كان مستعملاً في ذلك المجتمع ، إذ يُطلق على السيد المالك ، وهذا يتأتّى من مقام العرف[٢] ، وأنّ ((جوّ الحادثة يوحي به بشكل بارز ، فإنّ الموقف من الزوجة التي تريد خيانة زوجها يبعث على التفكير بالزوج بطريقة طبيعية ، تماما كما لو ذكر باللفظ))[٣] .

إنّ الذي دعا المفسّر إلى فهم النص وتوجيهه هو السياق الاجتماعي، الذي يعتمد على معرفة الحدث أو العالم الذي كان يلفّ أجواء عملية التخاطب بين المتخاطبينِ ، ففهم ما يحيط بالنص من سياقات هو الذي ساعد على إدراك مرجعية النص .

ومن الآيات التي كان للسياق الخارجي أثر في تبيين دلالتها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۇ ۆ ۆ و و ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ [النمل: ٥٤ – ٥٦] .

وقد حملت صيغة (يتطهرون) دلالات كثيرة ، إذ بنت بتفاعلها مع السياق مدلولات متعدّدة ، وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ المراد بها الاستهزاء والتهكّم بآل لوط ومن معهم[٤] .

وقد ذكر الفخر الرازي أنّهم ((جعلوا الذي لأجله يخرجون أنّهم يتطهرون من هذا الصنيع الفاحش، وهذا يوجب تنعيمهم وتعظيمهم أولى))[١] . وقد يكون مرادهم الإنكار

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢٦٥/٤ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٥١/١٢ .

(٣) تفسير من وحي القرآن ، السيد محمّد حسين فضل الله : ١٨٣/١٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣٥/٨ ، إرشاد العقل السليم : ٢٩٢/٦ .

على لوط أن يُسمّى هذا تطهّراً ، وقد يكون ضيقاً بالتطهّر لما كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ(٢) .

إنّ إطلاق هذه الصيغة جاء على صيغة التكلّف والتصنّع ، وهي تدلّ على تزكية النفس والحذر من الرذائل، وتلك صفة كمال(٣) . ((ولكنّ القوم لما تمرّدوا على الفسوق كانوا يعُدّون الكمال منافراً لطباعهم ، فلا يطيقون أهل الكمال ، ويذمّون ما لهم من الكمالات فيُسمّونها ثقلاً ، ولذلك وصفوا تنزّه لوط (عليه السلام) وآله تطهّراً بصيغة التكلّف والتصنّع))(٤) .

إنّ ما يُعرف عن أحوال قوم لوط وبيئتهم ، وطبيعتهم وجبلّتهم التي جُبلوا عليها ، يقتضي أنّ الصيغة التي جاء عليها الوصف لم تكن إنكاراً منهم أو ضيقاً ، وإنّما طبيعتهم الفاسدة هي التي دعتهم إلى استعماله ، فهم ((قد علموا أنّ هذا التطهّر من خلق قوم لوط (عليه السلام) وأهله لأنّهم عاشروهم ، ورأوا سيرتهم ، ولذلك جيء بالخبر جملة فعلية مضارعة لدلالتها على أنّ التطهّر متكرّر منهم ومتجدّد ، وذلك أدعى لمنافرتهم طباعهم والغضب عليهم))(٥) .

إنّ توظيف سياق الحال هنا من (علم ، ومعاشرة ، ورؤية) أي كلّ ما يتعلّق بأحوال المخاطَب ، وتضافره مع بناء لفظة (يتطهّرون) داخل هذا التركيب ، قد شكّل صورة وصفية تُسعف القارئ على بناء فهم النص ، ومن ثمّ تُساعده على حصر استعمالات اللفظ وتعدّد مدلولاته ومعانيه .

المبحث الرابع : التأويل المحلّي :

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٠٤/٢٤ .
(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٦٤٨/٥ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣٥/٨ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٣٥/٨ .
(٥) التحرير والتنوير : ٢٣٥/٨-٢٣٦ .

السائد أنّ محلّل النص (المتلقّي/القارئ) يعمد إلى ممارسة إجراءات متتالية على مجموعة العناصر المكوّنة للنص ، توصله في النهاية لفهم دلالة النص والمعنى الذي يختفي وراءه ، ومن خلال هذا الفهم يغدو متمكناً من إطلاق الحكم على انسجام هذا النصّ من عدمه .

ويمكن القول : إنّ مبدأ التأويل بشكل عام ، أو التأويل المحلّي على وجه خاص هو الإطار الذي يتحرّك ضمنه القارئ ليمارس من خلاله نوعاً من الإجراء التحليلي على النص ، ولا يمكن للقارئ أن يعمد إلى هذا النوع من التحليل إلاّ من خلال سياق النص ذاته ، إذ يفرض عليه ((أن لا يُنشئ سياقاً أكبر ممّا يحتاجه إلى تأويل ما))[١] .

وهذا الأمر يُلزم المحلّل أن يأوّل النص تأويلاً داخلياً بناءً على تفاعله مع معطيات النص وسياقه الخاص به من منتج ومتلقٍّ والحدث الذي يدور بينهما ، ولا يُعنى بما هو خارج النص الذي قد يجعله يتجاوز قصد المنتج ، ليصل بذلك إلى قراءة انتاجية تبني معنى النص وتُسهم في خلق انسجامه ، لذا يرى (محمد خطّابي) أنّ هذا المبدأ ، أي : (التأويل المحلّي) ، يرتبط بما يمكن أن يُعدّ تقييداً للطاقة التأويلية بالشكل الذي يجعل المتلقّي قادراً على تحديد تأويل ملائم لمناسبة قولية معينة[٢] . ومن الأمثلة القرآنية التي كان لمبدأ التأويل المحلّي أثر في بيان دلالتها ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڼ ڼ ڽ ڽ ھ ھ ہ ہ ۀ ۀ ﴾ [المائدة: ١١٦] .

وقد احتوى هذا النص على عناصر العملية التواصلية من منتج ومتلق وحدث يدور بينهما ، فالنص خطاب يدور بين منتج هو (الذات المقدسة) ومتلقّ للخطاب ، هو (عيسى) .

ومن خلال القراءة الفاحصة نجد أنّ عناصر الخطاب قد شكّلت مجالاً تأويلياً يبعث المعنى الخفي ، وقد نتج عنه افتراضات تنطلق من قضية (العلم) ، وأولى هذه

---

(١) لسانيات النص : ٥٦ .

(٢) لسانيات النص : ٥٦ .

الافتراضات أنّ ((السؤال موجّه من الله سبحانه ، الذي لا يخفى عليه شيء ، وهذا يقتضي انتفاء طلب الإجابة للعلم بها))[١]، وافتراض آخر مفاده أنّ عيسى هو الذي توجّه إليه السؤال، ويترتب على هذا الافتراض أمران ، أحدهما أنّه قال بما وُجّه إليه ، والآخر أنّه ((هو من نُسبت إليه مقولة بدعوى باطلة اتّخذها النصارى للإشراك بالله تعالى))[٢] .

إنّ بنية السورة المباركة تدور حول موضوعات وقضايا عدّة تتداخل فيما بينها لتشكّل بنيتها الكلية الموحدة ، ومن ضمن هذه الموضوعات نجد أنّ موضوع إبطال العقائد الضالة وتصحيح العقيدة[٣] قد مثّل ركناً أساساً فيها ، لذا فإنّ بنية الخطاب النصية هنا ينبغي أن تمثّل قضية تنفتح على سياق السورة العام ، وهذا متحقّق فيها .

والذي ينبغي على محلّل النص أن لا يتصوّر وجود أطراف أخرى تشارك في عملية التخاطب هذه ، ذلك أنّ سياق النص لا يحتمل هذا التأويل ، وأن لا ينظر إلى خارج سياق النص لأنّه قد يتجاوز قصد المنتج ويحمله ما لا يُحتمل .

إنّ النظر إلى ذات المخاطب من خلال سياق النص ، تقتضي منّا أن لا نطلق حكماً أولياً على أنّه هو المقصود بالسؤال والاستفهام ، وبذلك يسقط افتراض كونه أنّه قال بما وُجّه إليه ، ذلك أنّ السؤال يحمل في طياته تهمة يُعاقب عليها من قال بها ، وإنّما ((ألقي الاستفهام لعيسى أهو قال لهم ذلك ، تعريضاً بالإرهاب والوعيد بتوجّه عقوبة ذلك إلى مَن قال هذا القول إن تنصّل منه عيسى ، فيعلم أحبارهم الذين اخترعوا هذا القول أنّه المراد بذلك ، والمعنى أنّه إن لم يكن هو قائل ذلك فلا عُذر لمن قاله ، لأنّهم زعموا أنّهم يتّبعون أقوال عيسى وتعاليمه))[٤] .

إنّ عدم توجّه الاستفهام إلى المخاطب الحقيقي ، مع علم المستفهم به ، قد جاءت من رغبة النص في التركيز على فحوى المقولة التي واجهه بها بأسلوب غير مباشر ؛

---

(١) تأويل الجملة القرآنية الواحدة ، د. نوار محمد إسماعيل : ١١٢ .
(٢) المرجع نفسه : ١١٢ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٧٣/٦ ، وأهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٦٢ .
(٤) التحرير والتنوير : ١١٣/٧ .

ليحقّق بذلك أثاراً نفسية أعمق من مواجهته بها مباشرة(١) . وإنّ المجال التأويلي للخطاب يمكّننا من القول : إنّ الخطاب على ظاهر القول موجّه إلى عيسى (ع) ، لكنّه في باطنه مفتوح عبر الزمن ، ذلك أنّ استقراء النص بسياقه الذي ورد فيه يحمل بعداً آخر ، فأثر الخطاب له دلالة مفتوحة يراد منها بعث معانٍ متولّدة قد لا توّفرها عناصر الخطاب في ظاهرها، ومن هذه المعاني هي تبرئة من وُجّه إليه الخطاب بشكل مباشر، وتوجيه التهديد والعقوبة لمن قال بهذا القول .

ومن الآيات التي نلحظ فيها بعداً تأويلياً ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑڑ ک ک ک ک گگ گ گ گ ڳ ڳڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ﴾ [يوسف: ٨٩-٩٠] .

والبنية النصّية توفّر فيها عناصر خطابية تمثّلت بيوسف (عليه السلام) ، وبأخوته ، وحدث كلامي دار بينهم ، والذي يلاحظ أنّ ردّ أخوة يوسف قد اشتمل على استفهام موجّه له(٢) ، فالمستفهِم هنا هم أخوته ، والمستفهَم عنه هو يوسف (عليه السلام) . وقد أجابهم بقوله : (ک ک) ، على أنّ هذا الجواب يحمل في طياته مدلولات إيحائية ذات أبعاد تأويلية ، منها أنّه ((صرح بالاسم تعظيماً لما نزل به من ظلم أخوته ، وما عوّضه الله من الظفر والنصر ؛ فكأنّه قال : أنا الذي ظلمتموني على أعظم الوجوه ، والله تعالى أوصلني إلى أعظم المناصب ، أنا ذلك العاجز الذي قصدتم قتله وإلقاءه في البئر ثمّ صرت كما ترون))(٣). على أنّ هذا المعنى قد استدعاه ما ذُكر في سياق نصّي سابق ، يتمثّل في ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ﴾ [يوسف:٧-١٠] . ومنها أنّها تعطينا دلالة ثانية من خلال انتظامها داخل هذا السياق ، لتكون فيها إشارة إلى قدرة الله (عز وجل)(٤) .

(١) ينظر : تأويل الجملة القرآنية الواحدة : ١١٣ .
(٢) ينظر : الكشّاف : ٣٢١/٣ ، مفاتيح الغيب : ٢٠٧/١٨ .
(٣) مفاتيح الغيب : ٢٠٨/١٨ ،
(٤) ينظر : تأويل الجملة القرآنية الواحدة : ١٩٠ .

ومن الأبعاد الأخرى لجوابه أنّه ذكر (ﮐ ﮒ ﮓ) ، وجوابه هذا لا بدّ من أن يحمل دلالة أكبر من دلالة إخبارهم ، إذ هم يعرفونه من دون أدنى شك ، ولعلّه بجوابه هذا أراد حصر الأخوة بينه وبين أخيه لا غير ، فآصرة الأخوة بينهما أكبر وأجلّ من التي بينه وبينهم ، ولعلّ ما يستدعي هذا الفهم أيضاً ما ورد في سياق سابق (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ) ، (ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) ، (ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ) .

الذي يلحظ أنّ البنية النصية لجواب يوسف (عليه السلام) قد تجاوزت بنية الاستفهام وفحواه، وحملت قيمة تضاعف بها المعنى والدلالة .

المبحث الخامس : التناسب :

مما يلفت النظر من آليات أو أدوات تحقّق الانسجام النصّي في الخطاب القرآني ، هي (المناسبة)[١] . وقضية التناسب أو المناسبة لم يشر إليها علماء النص على أنّها وسيلة من وسائل تحقيق الانسجام النصّي ، فهي إضافة أو مساهمة من إسهامات المحدثين العرب ، الذين عُنوا بقضايا النصية وتطبيقاتها . ويعدّ (محمّد خطابي) أوّل من نظّر للمناسبة نصّياً ، وجاء بعده (صبحي إبراهيم الفقي) ، وقد اعتمدا في ذكر المناسبة على آراء العلماء المتقدّمين من العرب .

ويذهب (محمّد خطّابي) إلى أنّ ((المناسبة أو التناسب بين الآي بحث عن علاقة آية بأخرى متقدّمة))[٢] . وأنّ المفسّر يعمد إلى البحث عن التناسب في النصوص عند انقطاع الصلة بينها كأن تكون الآية عن كلام معين ، والسابقة عن كلام آخر ، وكأنّا به يفترض سؤالاً : ما وجه المناسبة بينهما؟ [٣] .

ويذهب الدكتور (نصر حامد أبو زيد) إلى أنّ المناسبة مرتبطة ((بقضية الإعجاز من حيث هي في حقيقتها بحث في آليات النص الخاصة التي تميّزه عن غيره من

---

(١) ينظر : جمالية الخطاب في النص القرآني ، د. لطفي فكري محمد الجودي : ٢١٩ .
(٢) لسانيات النص : ١٨٩ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه : ١٨٩-١٩٠ .

النصوص داخل الثقافة ... إنّه بعبارة أخرى فارق بين البحث عن جماليات النص وبين البحث عن دلالة النص على الوقائع الخارجية))[١] .

فالكشف عن التناسب بين آيات النص الواحد، أو بين النصوص ، هو في الحقيقة كشفٌ عن الترابط الدلالي فيها ، ((فالمناسبة تأتي ضمن الآليات المهمة التي يؤسس من خلالها لتحقيق الانسجام والتوافق الدلالي بين أجزاء النص القرآني))[٢] . وتحقيقٌ للانسجام الحاصل فيها ، فإذا كان ((انسجام نص ما ينهض ضرورة على منظومة من العلاقات المفهومة ، أو التي يمكن فهمها بين جزئياته وكلياته ، فمن الضروري – ونحن إزاء نص معجز في الأساس بنظمه – أن يكون كلّ دال فيه منسجماً مع ما يجاوره مناسباً له، بما يفضي إلى تناسب كلّ آية من آياته في ذاتها أولاً، وفي موقعها الذي حدّدته علاقتها بالسورة التي تسبقها والتي تعقبها ثانياً)) [٣] .

وحول أهمية التناسب يقول (الزركشيّ) : ((وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضُها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء))[٤] .

إنّ إظهار المناسبة بين النص الواحد ، أو بين النصوص ، لا يتمّ عبر تمثّلها في النص وحده ، وإنّما هو أمر يقوم به المتلقّي ويقع على عاتقه ، فيعمل على إظهار المناسبة بين النصوص ، كما يسند صفة الانسجام إليها . فـ((المناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أنّ النص وحدة بنائية مترابطة الأجزاء . ومهمة المفسّر محاولة اكتشاف هذه العلاقات أو المناسبات الرابطة بين الآية والآية من جهة ، وبين السورة والسورة من جهة أخرى . وبديهي أنّ اكتشاف هذه العلاقات يعتمد على قدرة المفسّر وعلى نفاذ بصيرته في اقتحام آفاق النص))[٥] .

---

(١) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن : ١٥٩–١٦٠ .
(٢) جمالية الخطاب في النص القرآني : ٢١٩ .
(٣) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن : ٣٩ .
(٤) البرهان في علوم القرآن : ٣٦/١ .
(٥) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن : ١٦٠ .

ومن المناسبات التي سنعرض لتحليلها، تلك التي تتمّ ضمن إطار سورة واحدة ، على أنّ إظهار المناسبة يضطلع بممارسة نصية مهمة ، فهو يقوم بوظيفة إسناد الانسجام للنص من خلال إظهار ترابط أفكاره فيما بينها . ومن المناسبة على هذا النطاق ، المناسبة بين مضمون السورة وعنوانها ، وممّا تُجدر الإشارة إليه أنّ علاقة التناسب لا تقتصر على ورودها داخلياً بين الآيات فحسب ، بل تسلك اتجاهاً آخر تبرز فيه ؛ إذ نجدها قائمة بين مسمّى السورة وما يرد فيها ، لذا يرى (البقاعيّ) : ((أنّ اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ، لأنّ اسم كلّ شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه ، عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه))[١] .

وهذا الفهم في الحقيقة يقترب كثيراً مما ذكره بعض علماء النصّ من أنّ العنوان يدلّ على موضوع الخطاب وأنّه نقطة بدايته ، وأنّه المتحكّم في تأويل المتلقّي ، إذ كثيراً ما يؤدّي تغيير عنوان نصّ ما إلى تأويله على وفق عنوانه المتغيّر[٢] . ويدلّ العنوان أيضاً على البنية الكبرى للنص ، أو يمثّل جزءاً منها . إذ يرى (فان دايك) أنّ عنوان النص يمكّننا من إدراك ما ينبغي أن يتحدّث عنه[٣] ، وأنّه ((يقدّم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص ، وفهم ما غمض منه ، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه ، ... فهو – إن صحّت المشابهة – بمثابة الرأس للجسد))[٤].

فالعنوان في النص الأدبيّ يشكّل ((مرتكزاً دلالياً يجب أن ينتبه عليه فعل التلقّي ، بوصفه أعلى سلطة تلقٍّ ممكنة ، ولتميّزه بأعلى اقتصاد لغوي ممكن ، ولاكتنازه بعلاقات إحالة (مقصدية) حرّة إلى العالم ، وإلى النص ، وإلى المرسل))[٥] . وهو ((أوّل ما يواجهه يواجهه متلقّي النص ، أو محلّله ، ومن ثمّ فهو يحتلّ مكانة عالية في التحليل النصّي ؛

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١/١٨-١٩ .
(٢) ينظر : لسانيات النص : ٦٠ .
(٣) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٨٨ .
(٤) دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٧٢ .
(٥) سيمياء العنوان ، د. بسّام قطّوس : ٣٩ .

فالنص قد يكون مكمّلاً للعنوان ، أو موضّحاً له ، ولا شكّ في أنّه يكون مفصّلاً للإجمال الكائن فيه ، وكذلك اسم السور ؛ إذ إنّه يمثّل عنوانها))[١] .

وبلحاظ ما تقدّم يمكن القول : إنّ جميع ما يرد في النص من موضوعات عامة أو أبنية كبرى ، وكذلك ما يرد من أبنية صغرى قد يكون تبياناً لما في العنوان ، ولا يخفى أنّ العلاقة بين الأبنية الكبرى والأبنية الصغرى علاقة دلالية ، تهدف إلى الكشف عن انسجام النص .

وعلى مستوى الخطاب القرآني تشيع علاقة التناسب مع مضمون السورة من خلال اسمها بصورة كبيرة ، ففي ((سورة الأنعام نجد أنّ علاقة الإجمال والتفصيل كائنة في الصلة بين الاسم وما حدث فيها من تفصيل أحوال الأنعام ، وما يتّصل بها من حق التشريع بالحلال والحرام ، وكذلك سورة الأعراف لما فيها من تفصيل لأصحاب الأعراف وموقفهم ...))[٢] .

ومن الأمثلة القرآنية التي تبيّن علاقة التناسب ما ورد في قصة البقرة في قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ... ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ﴾ [البقرة: ٦٧–٧٣] .

هذه الآيات التي كانت جزءاً من السورة مثّلت حواراً مركزياً فيها ، فكانت بمثابة أبنية صغرى دلّت على مناسبة العنوان للسورة المباركة كلّها ، يقول (البقاعيّ) : ((سورة البقرة مقصودها إقامة الدليل على أنّ الكتاب هدى ليُتّبع في كلّ ما قال، وأعظم ما يهدى إليه الإيمان بالغيب ، ومجمعه الإيمان بالآخرة ، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب فلذلك سُمّيت بها السورة))[٣] .

---

(١) علم اللغة النصي : ١٠٥/٢–١٠٦ .
(٢) علم اللغة النصي : ١٤١/٢–١٤٢ .
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٥٥/١ .

فالعنوان ضُبط من خلال الحوار ، الذي ورد فيه الردّ ، فكان مدعاة لتمثيل بنية نصّية كبرى أجملت السمات الرئيسة لطبيعة بني إسرائيل، وقد فصّلتها آيات قصة البقرة ، وهي انقطاع الصلة بين قلوبهم والإيمان بالغيب والثقة بالله ، وعدم استعدادهم لتصديق ما يأتيهم به الرسل ، والتلكّؤ في الاستجابة ، والسخرية[١] .

ومنه أيضاً التناسب بين مضمون سورة (آل عمران) وتسميتها ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى إشارة إلى ذكر آل عمران : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ﯿ ﯽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ٱ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ﴾ [آل عمران: ٣٧–٣٩] .

قال (البقاعيّ) : ((وممّا يدلّ على أنّ القصد بها هو التوحيد تسميتها بآل عمران ، فإن لم يعرب عنه في هذه السورة ، ما أعرب عنه ما ساقه سبحانه وتعالى فيها من أخبارهم بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد الذي ليس في درج الإيمان أعلى منه))[٢] . وواضح أنّ التسمية بـ(آل عمران) أصبحت معادلاً موضوعياً للسورة ، وأنّها تحمل قيمة إشارية دالة على وصف النص ومضمونه . فالموضوع الرئيس الذي تعالجه السورة المباركة يتمثّل في كونها أنّها تقوم على تقرير وحدانية الله تعالى ، وأنّه وحده هو الحي الذي لا يدركه الفناء[٣] .

ومن المناسبة أيضاً ، التناسب بين الآيات ضمن إطار السورة الواحدة ، والبحث عن المناسبة هنا ، يدخلنا مباشرة في صميم الدرس اللغوي لآليات النص ، فالنص هنا هو شاهد ذاته، إذ يؤسس معايير علاقاته بناءً على طريقة تركيبه اللغوي أو العقلي أو الحسّي ، غير مستند إلى شواهد من خارجه[٤] .

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٧٧/١ .
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٩٧/٤ .
(٣) ينظر : أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٢٣ .
(٤) ينظر : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن : ١٦٨

إنّ المناسبة بين آيات السورة الواحدة يقتضي وجود مرجع ، أو رابط يجمعها ، قال (الزركشيّ) : ((المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ، ومرجعها – والله أعلم – إلى معنًى ما رابطٍ بينهما : عام أو خاص ، عقلي أو حسّي أو خيالي ، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبّب، والعلة والمعلول ، والنظيرين ، والضدّين ، ونحوه . أو التلازم الخارجي))(١) .

ومن التناسب بين الآيات الواقعة ضمن إطار سورة واحدة ، ما جاء في قوله تعالى :ﱡ ٺ ٺ ٻ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﱠ [مريم: ٤-١٠] .

وفي قوله تعالى :ﱡ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ﱠ [مريم: ١٦-٢١] .

وقولهِ تعالى :ﱡ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ےﱠ [مريم: ٢٧-٣٣] .

إنّ المواقف الحوارية في النصوص الثلاثة الأولى ، تجمع بينها فكرة خاصة تتّصل بالإنجاب بنحو معجز، والرحمة، وطهارة المولد(٢)، وتتناسب فيما بينها تناسباً شديداً ، يظهر هذا التناسب من خلال أمور عدّة تتمثّل بالآتي :

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ٣٥/١ .

(٢) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٦٩/٣ ، ٧٦ .

. تبشير زكريا بيحيى ، وتبشير مريم بعيسى ، وقد تمّت البشارة على نحو خارق للعادة ومعجز .

. الموقف من هذا التبشير ، إذ جاء على لسان كلّ منهما **(أنّى يكون لي غلام)** ، مع ملاحظة ((أنّ كلاً من الهتافين يختص بطبيعة الموقف الذي يغلّف شخصيته الحيوية ، فزكريا يربط بين تساؤله عن الغلام وبين عقر امرأته وكبره ، بينما تربط مريم بين تساؤلها وبين عدم إمساس البشر وعدم كونها بغياً))[١] .

. إجابة مريم بإجابة زكريا نفسها ، **(قال ربّك هو عليّ هيّن)** .

. عدم التكلّم ، والتواصل مع القوم بالإشارة .

يقول (البقاعيّ) عن التناسب بين قصتي زكريا ومريم : ((لمّا كان حاصل القصة أنّه ولد أخرجه الله تعالى عن سبب هو في ضعفه قريب من العدم ، أمّا من جهته فلبلوغه إلى حدّ من السنّ وحال في المزاج لا يقبل حركة الجماع عادة ، وأمّا من جهة زوجته فلزيادتها مع يأسها ببلوغها إلى نحو ذلك السن بكونها عاقراً لم تقبل حبلاً قط ، أتبعه بقصة هي أغرب من قصّته بكونها ليس فيها إلاّ سبب واحد وهو المرأة ، وعدم فيها سبب الذكورية أصلاً إشارة إلى أنّه يخلق ما يشاء تارة بسبب قوي ، وتارة بسبب ضعيف ، وتارة بلا سبب))[٢] .

بعد هذه النصوص جاءت آيات تحكي قصة إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ﴾ [مريم: ٤١-٥٠] .

---

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٣/٧٨ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٢/١٨١-١٨٢ .

وعلى مستوى البنية النصية تبدو هذه الآيات منقطعة الصلة عمّا قبلها ، إنّها تتخّذ وجهة موضوعية أخرى تختلف في موضوعها عن المطروح فيما سبقها[١] . وهنا تأتي وظيفة المتلقّي في البحث عن وجه المناسبة[٢] . ووجه المناسبة بين هذه الآيات وما قبلها أنّها متّحدة في الأفكار العامة التي قامت عليها السورة المباركة وأغراضها ، وقد ذكر (ابن عاشور) أنّ من أغراض سورة مريم الردّ على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها ، وإنكار المشركين البعث ، وإثبات النصارى ولداً لله تعالى ، وإنذار المشركين أنّ أصنامهم التي اعتزّوا بها سيندمون على اتّخاذها[٣] .

وعليه يكون التناسب بين هذه الآيات وما قبلها ، قائماً على جملة من الدلالات تشكّل عنصراً مشتركاً بينها ، ومن هذه الدلالات[٤] :

. قول إبراهيم لأبيه : (□ □ □ □ □ □ □ □ □) ، يتناسب مع قول عيسى : (ٹ ٹ ٹ ٹ) .
. قول إبراهيم : (ۀ ہ ہ ہ ھ □) ، مناسب لعزلة زكريا في محرابه ، ومريم في انتباذها مكاناً شرقياً .
. ما ترتّب على الاعتزال ، حيث وهب الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) ذرية صالحة ، وهذا يتناسب أيضاً مع اعتزال زكريا ومريم (عليهما السلام) .

وفي بيان وجه المناسبة هنا، قال (البقاعيّ): ((ولمّا ذمّ الضالين في أمر المسيح، وعلّق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب ، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث ، وغيرهم بأنّهم لسوء أعمالهم كالمكذّبين ، وختم ذلك بأنّه الوارث ، وأنّ الرجوع إليه ، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه وأتباعهم على أكثر أهل الأرض برجوع أهل الأديان الباطلة إليهم ، حتّى يعمّ ذلك جميع أهل الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ، وكان إبراهيم عليه السلام لكثرة أولاده من العرب والروم وأهل الكتابين وارثاً لأكثر أهل

(١) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٨٧/٣ .
(٢) ينظر : لسانيات النص : ١٨٩-١٩٠ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٨/١٦-٥٩ .
(٤) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٨٨/٣ .

الأرض، وكان مثل زكريا في هبة الولد على كبر سنّه وعقم زوجه، أتبع ذلك قوله : **واذكر ...))**[١] .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٠٢/١٢-٢٠٣ .

الفصل الثالث

موجهات النص

القصدية والمقبولية ، التناص

المبحث الأول : القصدية والمقبولية :

أولاً : القصدية (INTENTIONALITY) :

يُعدّ القصد أو القصدية من منظار اللسانيين المعاصرين معياراً من المعايير التي تتحقّق بها النصية ، وهي شرط ثالث من الشروط الجوهرية الأربعة اللازمة لوصف نصّ ما بالنصية[١] . وتمثّل جانباً مهماً من جوانب العملية التواصلية؛ إذ ترتبط بالإفهام أو الغاية، على اعتبار أنّ كلّ منتج خطاب يسعى من خلال إنتاجه إلى غاية يريد إيصالها إلى المتلقّي (المستمع/ القارئ) .

والقصد في اللغة يُراد به استقامة الطريقة[٢] . وقد قرنه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بالمعنى ، قال : ((المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بُحث عنه ، يقال : هذا معنى الكلام ومعنى الشعر ، أي الذي يبرز من مكنون ما تضمّنه اللفظ))[٣] . وقد يُراد بالقصد إتيان الشيء ، والنحو نحوه[٤] . ومن المعاني المتقدّمة يتّضح ((أنّ المراد بالقصد من الكلام هو إيصال المعنى بطريق مستقيم ، واضح المعالم ؛ لأنّ من يقصدُ مكاناً يتّجه نحوه ، ومن يقصد مخاطباً يتّجه نحوه ، ليوصل ما يريد من معنى))[٥] .

والقصدية مصطلحاً حدّده (دي بوجراند) بأنّه معيار ((يتضمّن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قُصِد بها أن تكون نصّاً يتمتّع بالسبك والالتحام ، وأنّ مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها))[٦]. ومعنى هذا ((أنّ للقصد تأثيراً في بنية النصّ وأسلوبه ؛ ذلك أنّ الكاتب يبني نصّه بناءً معيناً، ويختار لذلك الوسائل اللغوية الملائمة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده))[٧].

---

(١) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٦ .
(٢) ينظر : كتاب العين ، (قصد) : ٥٤/٥ .
(٣) معجم مقاييس اللغة ، (عنى) : ١٤٨/٤-١٤٩ .
(٤) ينظر : لسان العرب ، (قصد) : ٣٥٣/٣ .
(٥) القصدية في خطبة السيدة الزهراء ، د. كريم حسين ناصح ، (مجلة العميد ، مج٤ ، ع ٤ ، ٢٠١٥) : ٢٥ .
(٦) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .
(٧) مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه : ٩٧ .

فالقصد تعبير عن هدف النص ، يتضمّن موقف المنشئ من أنّ مجموعة الأحداث اللغوية يُقصد بها أن تكوّن نصّاً يتمتّع بالاتّساق والانسجام ، وأنّ هذا النصَّ وسيلةٌ لمتابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها، تكون تلك الغاية مقصدَ منشئ النص[١] .

أمّا المحدثون من اللسانيين العرب فقد اتّكأوا حيال هذا المفهوم عمّا قرّ في المدوّنة اللسانية الغربية، فالقصديّة عندهم تشير إلى اتّصالها ((بنية منشئ النصّ أن ينتج نصّاً ذا سبك وتعليق ليصلَ إلى ما خطط للوصول إليه))[٢] .

إنّ هذا المفهوم يؤدّي بنا إلى أمر مفاده أنّ بيان القصدية يقتضي وضع تشكيلة لغوية يعمد إليها المنتج حين إنتاجه النص ، لتجعل منه نصّاً متسقاً منسجماً[٣] . إذ يعتقد يعتقد المنشئ أنّ سلسلة الأحداث القوليّة التي ينتجها يمكن أن تشكّل نصاً متّسقاً منسجماً يكون أداة لتحقيق مقاصده ، كأن ينقل معرفة أو يحقّقُ هدفاً جرى توصيفه في إطار خطّة موضوعة[٤] . وهذا ما جعل (دي بوجراند ودرسلر) يؤكّدان وجود صلة وثيقة بين معيار القصدية ومعياري الاتساق والانسجام؛ لكون محافظة منتج النصّ عليهما تتضمّن حرصه على دوام التواصل ، ورغبته في إيصال مقاصده إلى متلقيه[٥] .

وعلى ضوء هذا الفهم يمكن القول : إنّ للقصدية أثراً كبيراً أو أهميةً في إنتاج النصوص ؛ ذلك أنّ ((إنتاج النص ... ليس هدفاً بحدّ ذاته ، وإنّما يكون دائماً تحقيقاً لقصد المتكلّم ، ويخدم دائماً تلبية حاجات الاتصال ، ولأنّ النصوص تشكّل في أصلها الصيغة الأساسية للاتّصال اللغوي ، فإنّها تُفهم بصفتها وسيلة عالمية لتحقيق قصد الأفراد الفاعلين اجتماعياً ، ويُنظر إليها بوصفها وسيلة عالمية لتحقيق حالات مرغوبة لدى المتكلّم ، وهي وسيلة يستطيع المتكلّم بواسطتها الوصول إلى شيء في قضية التأثير المتبادل بين أفراد المجتمع))[٦] ، فتكون القصدية بذلك جوهر العملية التواصلية، إذ لا

---

(١) ينظر : نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٧٩ .
(٢) اجتهادات لغوية ، تمّام حسّان : ٣٧٩ ، وينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات : ٢٣٢ .
(٣) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٨ .
(٤) ينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢٣٢ .
(٥) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧ .
(٦) مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ١٢٨ .

وجود لأي تواصل عن طريق العلامات من دون وجود قصدية وراء فعل التواصل[١]. وهذا يدلّ على أن ((لا غنى لأيّة تشكيلة لغوية، يُراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توفر القصد بأن تكون نصّاً ، وعن قبولها بهذا الاعتبار))[٢] .

على أنّ فعل التواصل أو الاتصال لا يتحقّق إلاّ عن طريق ((التفاعل المصاغ بواسطة الرموز، وهو يخضع، ضرورة، للمعايير الجاري بها العمل، التي تحدّد انتظارات مختلف أنماط السلوك المتبادلة، على أساس أن تكون مفهومة ومُعترفاً بها ، بالضرورة ، من طرف ذاتين فاعلتين على الأقل))[٣] . والتفاعل على هذا الفهم هو نشاط تواصلي ، وممارسة اجتماعية رمزية تصاغ بواسطة اللغة[٤] .

وفي هذا الجانب تبرز أهمية القصدية في أنّها تمثّل جزءاً أساسياً من دلالة الخطاب والفهم ، ((فالدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل ، والفهم ، يعني الاعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل المرسل))[٥] . ولعلّ هذا ما جعل (نصر حامد أبو زيد) يجزم أنّ دلالة الخطاب لا تتبيّن إلاّ بفعل قصد المتكلّم[٦] .

فالقصد إذاً ، جزء من دلالة النص ، وأيّ نصّ يخلو منه لا يقوى أن يحافظ على انسجامه ، أو على منطقه الذاتي ، ومن ثمّ سيفقد توجّهه الإيصالي ، والنصوص على اختلاف مراتبها وأنواعها لا تقوم إلاّ بقصد ، وأنّ القصد لا يكون مدلولاً إلاّ معها . لذا يجب أن يُنظر إلى النص بوصفه دال القصد[٧] .

---

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري : ١٨٣ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٥٢ .

(٣) الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، محمد نور الدين أفاية : ١٨٢ .

(٤) ينظر : المرجع نفسه : ١٨٢ .

(٥) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، د. محمّد مفتاح : ١٤٠ .

(٦) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه : ٩٦، والقارئ والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا سيزا قاسم ، (مجلة عالم الفكر ، مج ٢٣ ، العددان (٣ ، ٤) : ٢٧٧ .

(٧) ينظر : اللسانيات والدلالة الكلمة ، منذر عيّاشي : ٦٦-٦٧ .

وبذلك يكون النص ((هو محور القصدية ، وهو السلطة المرجعية التي يحيل إليها من يؤمنون بمبدأ القصدية ، ... السلطة التي يتمتّع بها النص في ظلّ فلسفة توصيل تقوم على مفاهيم الرسالة والمرسل والمستقبل ونظرية لغوية تقوم على قدرة اللغة على الدلالة وتحقيق معنى في ظلّ التوحدّ التقليدي بين الدال والمدلول))[١] .

نخلص ممّا تقدّم أنّ ثمّة علاقة بين المنتج والأحداث اللغوية التي يستعملها في إنتاج النص ويوجّهها إلى المتلقي ، إذ تكون هذه الأحداث بمثابة أداة تبيّن قصده ، وأنّ القصد بحسب (كلاوس برينكر) ، هو الفيصل الوحيد في تحديد وظيفة النص ، فهو ما يريد المنتج إفهامه عن طريق ما يستعمله من قواعد ذات طبيعة لغوية وتواصلية[٢] .

وهذا ما أكّد عليه (سيرل) بقوله : ((المعنى اللّغوي صورة حقيقية من القصديّة ، ولكنه ليس قصديّة باطنية ، وإنما قصديّة مشتقة من القصديّة الباطنية لمستعملي اللغة))[٣] . والمراد بالقصدية الباطنية ، أو القصدية الأصلية ، التمثيلات العقلية الخاضعة لذواتنا ، التي لا تخضع لملاحظ خارجي كالرغبات والاعتقادات ، أمّا القصدية المشتقة فهي التي تعتمد على الملاحظ ، كالقصدية التي تعتمد على مستعمليها المالكين للمعنى ذاته الذي تملكه هذه اللغة[٤] .

إنّ هذا القول الأخير قد يثير – في الحقيقة – تساؤلاً ، مفاده أنّ القصدية لا تتعلّق بالوقائع اللغوية فحسب ، ذلك أنّ بعض الوقائع ليست لغوية ، فهل يمكن أن تحتوي على قصد ؟ . وفي هذا الشأن يبيّن (محمد مفتاح) : ((أنّ العملية التواصلية القصدية تفترض طرفين إنسانيين : مرسل ومتلقٍّ ، بيد أنّ المقاصد أنواع : أولي يتجلّى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلّم. وثانوي : يكون فيما يعرفه المتلقّي من مقاصد المتكلّم . وثلاثي : ينعكس في هدف المتكلّم الذي يريد أن يجعل المتلقّي يعترف بأنّه يريد منه جواباً

---

(١) الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص ، د. عبد العزيز حمودة : ١٣١ .

(٢) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ١٢٣ .

(٣) نقلاً عن : القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، وشن دلال ، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، بسكرة ، ع٦ ، ٢٠١٠) : ٢٠ .

(٤) ينظر : المرجع نفسه : ٢٠ .

ملائماً))[١] . وهذا يعني أنّ ثمّة حالات عقلية وأحداثاً من قبيل الاعتقاد والخوف والتمنّي والرغبة والحب والكراهية وراءها قصدية ، إلاّ أنّها لا تحقّق تواصلاً ، فالقصدية على ذلك تكون لغوية وغير لغوية ، على أنّ الذي يهمنا السلوك اللغوي الذي تتحكّم القصدية المشتقة بتحديد أشكاله وخلق معانيه[٢] . وأنّ القصدية التي تنتج من القصدية الباطنية غير تامة في ذاتها ؛ لكونها سلوكاً غير إرادي ، وأنّها لا تشترط وجود طرفين .

أمّا فعل التواصل اللغوي فيحقّق قصداً وحركة في الوقت نفسه ، إذ يسعى المنتج إلى تحقيق قصد معين في ذهن المتلقّي ، الذي لا يتعرّف على دلالة العبارة إلاّ إذا تبيّن قصدَ المتكلّم ، ممّا يدفعه إلى إنتاج الكلام بواسطة تعرّف القصد[٣] .

وبذلك يظهر تأثير القصدية في توجيه النصوص ، والتحكّم في أبنيتها اللغوية التي تحقّق مقاصد منتجيها ، ومن ثمّ تكشف عن وظيفة اللغة المتمثّلة في التواصل والإفهام والإقناع والتأثير .

القصدية في الخطاب القرآني :

أحدث النص القرآنيّ عند نزوله قطيعة معرفية وبيانية – بلاغية في أنماط القول السائدة ، التي برع فيها العرب من شعر وخطب ونثر ، إذ جاء بما هو أجود ، فخرقَ عاداتهم في قول الشعر وإلقاء الخطابة ونظم السجع ، ممّا أحدث لديهم انبهاراً من داخل منظومتهم اللغوية والجمالية[٤] . هذا مع لحاظ أنّ أسلوب النص القرآني إنّما جاء موافقاً للغة العصر التي كانت في عزّ أصالتها ونقائها ، لم تشبها عُجمة ، ولم تختلط بغيرها من الألسن[٥] . هذا من جهة ، ((ومن جهة أخرى اصطدم النص القرآني بعقليات جامدة ومنكرة لا تؤمن بالغيب والتجريد ، لذا أصبحت للنص وظائفُ قصدية موجَّهة يسعى

(١) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٦٤ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ١٦٥ .
(٣) ينظر : القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة : ٢٧–٢٨ .
(٤) ينظر : نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ١٨٣ ، ١٨٦ .
(٥) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن ، د. عائشة عبد الرحمن : ٨٠ .

لإثباتها ، وهي اجتماعية وتفسيرية واستقصائية . والنص القرآني نص حجاجي يقوم على الاحتجاج النظري والجدل ، إذ يحاجِج بأكثر من دليل لتغيير قناعاتهم))[١] .

ومن هنا يكون القصد في هذا النوع من الخطاب الحجاجي تغيير اعتقاد المتلقي باعتقاد آخر يُعتقد أنّه الأصح ، ويهدف في ذلك إلى الإقناع[٢] . و((النص القرآني يمتلك السلطة المقصودة: اللغوية والثقافية والفنية والروحية ، التي تمكّنه من السيطرة على وعي المخاطبين وأفكارهم ومعتقداتهم ودحضها بالحجج والبراهين والأدلة وصولاً إلى الإقناع والتسليم بمركزية الخطاب الإلهي، وبما يكشف عن روح القصد))[٣] .

وبناءً على ذلك نجد أنّ الخطاب القرآني ((يؤسّس لفعل القصدية في النص القرآني، مما استدعى بناء نظام لغوي خاص يستوفي المحتوى الشمولي ، ويستوفي عمليات الإبلاغ والإقناع ، واستقصاء المقاصد الإلهية ، وبناء كيفيات خاصة لإيصال الرؤية القصدية الشاملة))[٤] .

وإنّ من يدقق النظر يجد أنّ الفهم حيال القصد القرآني كان يشكّل مدار بحث الدراسات اللغوية والبلاغية التي قدّمها العلماء المتقدّمون ، ولاسيما عند الباحثين في الإعجاز القرآني؛ إذ ركّزوا ((بشكل أو بآخر على الوقوف على أهداف وغايات التراكيب ، مع الأخذ في الاعتبار السياقات المختلفة، وبالتالي فإنّ التراكيب ناتجة للمعاني المختلفة ، وإن تشابهت في الإطار العام ، تبعاً لاختلاف السياقات))[٥] .

---

(١) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، هناء محمود إسماعيل : ١٦٩ .
(٢) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه : ١٠٨ .
(٣) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص : ١٦٩-١٧٠ .
(٤) المرجع نفسه : ١٧٠ .
(٥) الدرس النحوي النصّي في كتب إعجاز القرآن الكريم : ١٥٤ .

إفهام القصد :

إنّ إفهام القصد وظيفة موجّهة نحو المتلقّي ، وذلك من خلال ما يحمله النص من رموز ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم(١) ، والإفهامُ سمة الخطاب القرآني الذي يخاطب الناس على اختلاف مستوياتهم في التلقّي والفهم ، ووظيفةٌ موجّهة نحو المتلقي الذي يحاول إفهامه . لذا لا تقع عملية الإفهام على المرسل من دون المتلقي ؛ لأنّ هذا يُعد قتلاً للعملية التواصلية ، وإنّما ينهض بها الطرفان بوصفهما فاعلين فيها ، وفعل الإفهام يستوجب أن يكون لدى المتلقي استعداد لذلك ، بناءً على أنّ الخطاب هو توجيه الكلام نحو الآخر للإفهام(٢) .

وعلى ذلك يمكن القول : إنّ إنتاج خطابٍ ما واستمرارَه مرهونٌ بفهم قصد المنتج من قبل المتلقّي ، ولاسيما في الخطاب الحجاجي ، أو الحوار ، إذ يترتّب على فهم القصد إنتاجُ خطاب مناسب للسياق، وقد ينبني على عدم فهم القصد إنتاج خطاب غير مناسب للسياق(٣) .

ويتأسّس على هذا الفهم أنّ المتلقي يُسهم في إنتاج النص أيضاً ، فيتشكّل لديه قصدٌ بناءً على ما فهمه من القصد الموجّه إليه ، ومن ثمّ يصبح ثمّة تواصل بين طرفي الخطاب ، ذلك أنّ ((عملية الإنتاج وما يصاحبها من قصد تتمّ في إطار تخطيط تفاعلي يحاول فيه المنتج تحقيق مقاصد معينة ، ويصبح للمتلقي دور مشارك في عمليتي الإنتاج والتلقّي بوجوده في ذهن المنتج ، ودوره في التواصل))(٤) .

ولأجل ذلك تذهب نظرية الاتصال والتأثير إلى ((أنّ عمليّة القراءة تسير في اتجاهين متبادلين ، من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص. فبقدر ما يقدّم النص للقارئ ، يضفي القارئ على النص أبعاداً جديدة ، قد لا يكون لها وجود في النص .

---

(١) ينظر : النحو القرآني في ضوء لسانيات النص : ١٧١ .
(٢) ينظر : الخطاب في نهج البلاغة ، د. حسين العمري : ٢٧٠-٢٧١ .
(٣) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٢١١ .
(٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .

وعندما تنتهي العمليّة بإحساس القارئ بالإشباع النفسي والنصّي ، تتلاقى وجهات النظر بين القارئ والنص))[١] . ولهذا ذهب (محمد مفتاح) إلى أنّ القصدية لا تقتصر على المتكلّم فحسب، ولكنّها تشمل المخاطب أيضاً، وأنّها قد تتفق في درجات من الاتفاق، وقد تختلف في درجات من الاختلاف، على اعتبار أنّها غالباً ما لا تكون ظاهرة في النص بل تكمن خلفه[٢] .

ويبدو أنّ عدم الفهم قد يكون مردّه إلى أنّ البنية اللغوية الموجّهة من قبل المنتج إلى المتلقّي ، لم تتوفّر فيها كفاءة لغوية تمكّنها من إيصال القصد بالشكل المراد ، أو أنّ قصد المنتج قد يحمل دلالة لا تنتمي إلى الدلالة التي يفهمها المتلقّي . أو قد يكون مرتبطاً بتكوين التوقّعات والمواقف لدى المتلقّي ، إذ ((كلّما كانت الأنماط المخزّنة من التجارب قليلة كلّما كان احتمال رفض المتلقّي لأنماط جديدة أكبر ، أو كان عدم فهمه لأنماط جديدة أقرب ، وتاريخ الفكر مليء بالمواقف التي يتبنّاها المحافظون إزاء الأنماط الجديدة التي لا يفهمونها ، فيلجأون إلى رفضها حماية لأنفسهم وفكرهم من الوافد الجديد ، وصدّاً لما قد يصبح بداية لمرحلة يُهمّشون فيها لعدم فهمهم وتفاعلهم مع الفكر الجديد))[٣] .

ثانياً : المقبولية (ACCEPTABILITY) :

إنّ الخطاب التواصلي ينبني على وجود ثلاثة عناصر رئيسة ، هي : (المنتج ، والنص ، والمتلقّي) ، يقع على المنتج أن يوظّف في خطابه كلَّ ما من شأنه أن يُسهم في إفهام النص ، ومن ثمّ يؤدّي إلى خلق استعداد لدى المتلقّي ، بحيث يقع على عاتقه نجاح عملية التواصل ، أمّا المتلقّي فتقع عليه مهمة قراءة النص قراءة فعّالة ، تؤدّي إلى فهمه وإمكان تأويله ، وتحليله بشكل يمكّنه من الحكم على انسجامه الداخلي ، ومن ثم قبول النص من عدمه .

---

(١) علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات : ١٧٧ .

(٢) ينظر : دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٣٨ .

(٣) العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص ، د. فالح شبيب العجمي ، (مجلة عالم الفكر ، مج ٢٨ ، ع ١ ، ١٩٩٩) : ٣٦٢ .

والمقبولية أو القبول في اللغة مأخوذة من ((قَبِل الشيءَ قَبُولاً وقُبُولاً، ... وتقبَّلهُ، كِلاهما: أخذه، واللهُ عزَّ وجلّ يقبل الأعمال من عباده وعنهم ويَتقبّلها ... ويقال: عليه قَبُول إذا كانت العين تَقبَلُه، ... وقَبِلَه بقَبُول حَسَن، وكذلك تقبَّله ... يقال : قَبِلت الشيءَ قَبُولاً إذا رَضِيته، ... يقال : على فلان قَبُول إذا قَبِلَتْهُ النفس ؛ وفي الحديث : ثمّ يُوضَع له القَبُول في الأَرض ، وهو بفتح القاف المحبة والرّضا بالشيء ومَيْلُ النفس إليه))[١] .

فالمعاني اللغوية للمقبولية تأتي بمعنى الأخذ والرضا وميل النفس إلى الشيء ، وهي تشي بشيء ما عن ارتباطها بما أقرّه الدرس النصّي الحديث ، كونها ترتبط عندهم باستجابة المتلقّي لما وُجّه إليه وأخذه له وميل نفسه إليه .

والمقبوليّة أو القبول عند (دي بوجراند) هو ما ((يتضمّن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام))[٢] .

إنّ معيار المقبوليّة مرتبط بمتلقّي النص حول توقّعه نصّاً متّسقاً ومنسجماً ذا فائدة، يكتسب من خلاله معرفة أو يكون مشاركاً في إطار خطّة واضحة[٣]. يقول الدكتور (سعد مصلوح) : ((والقبول – بعد – له أبعاد ووجهات ثقافية واجتماعية ، ويتّصل بتحديد موقف المتلقّي من الكلام ، ومدى تقبّله لسلسلة الأحداث الكلامية على أنّها نص قابل لأن يوصف بالسبك والحبك، وأنّ له نوعاً من الجدوى بالنسبة للمتلقّي ، كأن يكتسب معرفة أو يُسهم باستجابة لإنجاز خطة))[٤] .

فالمقبولية ترتبط بفهم النص من قبل المتلقّي ، وفهم النص يرتبط بفهم وسائل نحو النص ارتباطاً وثيقاً[٥] . وهذا يعني أنّ قبول المتلقّي للنصّ وعدم قبوله خاضعٌ لما يتعلّق بمعياري الاتّساق والانسجام بصفة خاصة ، ولا يكتفي بهذا فحسب ، بل هو يستند إلى

---

(١) لسان العرب ، (قبل) : ٥٤٠/١١ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

(٣) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧، ومدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ٣١.

(٤) في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢٣٥ .

(٥) ينظر : مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص : ٨٥ .

مجموعة عوامل من مثل ((نوع النص والسياق الاجتماعي والثقافي والقصد إلى أهداف معينة ، وبشكل عام إلى عوامل تقع خارج المنطوق واللغوي ، ولكنّها لا تقل أهمية عن العوامل اللغوية ... ، لأنّها تؤثّر في طبيعة حدث الاتصال تأثيراً كبيراً))[١] . فالسياق على هذا شريك للاتساق والانسجام في الحكم على قبول النص ، وهو يمكّننا من ((التطلّع إلى فهم أدقّ وإشراك فعليّ لعمليات تقع خارج اللغة الواقعيّة؛ عمليّات استلزمتها غايات تفسيريّة لا محدودة تتأبّى على أن تنغلق في حدود الأطر الظاهرية والنظرات السطحيّة، وترنو إلى استمرار التفاعل بين النص ومتلقيه))[٢] .

وفي هذا الشأن يقول (دي بوجراند) : ((كون النص مقبولاً أو غير مقبول يتمّ بحسب درجية معقّدة لا بحسب تقابل ثنائي. وممّا يتّصل بذلك دائماً الاعتماد على تحفيز يتمّ بحسب دوافع الموقف. ومن المعروف ... أنّ بعض النصوص ذات القيمة إنّما تُعدّ في واقعها وفيما ينبغي لها خارج نطاق أي نحو))[٣] . وجعل (فان دايك) من بعض عناصر السياق الذي يُعدُّ تجريداً لما يُسمّى الموقف الاتصالي ، هي التي تحدّد قبول المنطوقات اللغوية أو عدم قبولها[٤] .

وبناءً على ما تقرّر فإنّه يجب أن لا يُغفل ((السياق أو الموقف – لغوياً أو غير لغوي – فهو الذي يُساعد على الحكم بالقبول أو عدمه ، ... فالسياق الذي يؤدّي إلى التقبليّة (القبول) ينبغي أن يُراعى فيه :

١. صحة القواعد النحويّة .
٢. توافق الوقوع أو (الرصف) بين مفردات الجملة .

ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقّي ، ولعلّ هذا يدلّ على أنّ المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة وعلى مستوى النص ، غير أنّها تتطوّر في

---

(١) اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧ .
(٢) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٣ .
(٣) النص والخطاب والإجراء : ٩٠-٩١ .
(٤) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٦ .

الجملة عن النص ، حيث تكون المقبولية في الجملة أولاً على مستوى الرصف وصحة القواعد النحويّة ، ثمّ يأتي المعنى النصّي المتّسم بالتماسك))[١] .

فالمعايير النصية من اتّساق وانسجام تعمل على إمداد المتلقّي ومساعدته على قبول موقف دلالي محدّد واستبعاد الدلالة غير المرتبطة بالنص ، وإيمانه بالدلالة التي تتّسق وتنسجم مع الدلالات النصية [٢] . وهذا ما أكّد عليه (فان دايك) حين جعل لنحو النص إمكانية تحديد أي أنواع العبارات جائزة مقبولة ، وأيّها لا يكون كذلك بالنسبة لمستعملي اللغة[٣] .

ويتأسّس على هذا ((ألاّ يكون القبول معياراً بذاته من معايير النصيّة ، بل هو محصّلة إعمال المعايير الأخرى أو هو متّحد بها . ومقتضاه أيضاً أن يشتغل ... بتحديد المعنى المراد من بين المعاني المحتملة على جهة القطع ، وعلى سُنّة اتّخاذ القرار الذي يؤدّي إلى هذا التحديد))[٤] .

إنّ معيار المقبولية معيار نسبي كونه يتّسم بالذاتية إلى حدٍّ كبير، وتختلف فيه درجة التلقّي من شخص إلى آخر، بحسب اختلاف وجهات نظرهم للنصوص (نسبية معيار المقبولية) ، وإنّها تتعلّق بمناسبة الوسائل اللغوية المستعملة ، أي بنوع الأسلوب وأشكال التنوّع اللغوي[٥] . وهذا يمدّنا بحقيقة مفادها أنّ ما يكون مقبولاً لمتلقٍّ ، قد لا يكون مقبولاً لآخر ، مما يحيل على اختلاف المتلقّين .

أثر المتلقّي (القارئ) في إعادة إنتاج النص :

إنّ الاهتمام بالمتلقّي متأتٍّ من النظر إلى علاقته بالنص ، والأثر الذي ينتج عن هذه العلاقة ، فـ((الاستعمال اللغوي ليس إبرازَ منطوق لغويّ ما فقط ، بل إنجازُ حدثٍ

---

(١) نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٨٩ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ٨٨ .
(٣) ينظر : النص والسياق : ١٨ .
(٤) في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢٣٤-٢٣٥ .
(٥) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٨ .

اجتماعي معين أيضاً في الوقت نفسه))[١] . والحدث تفاعل لا يخضع لرغبة المنتج فحسب، بل يخضع أيضاً لخصوصية المتلقّي ، والجوانب الاجتماعية والفكرية والنفسية التي تتحكّم في بناء النص ، ولهذا فالتقبّلية صالحة للتطبيق على نصوص واردة في مواقف محدّدة ، وليس على جمل معزولة[٢] .

وتأسيساً على هذا فإنّ استمرار النص إنّما هو حصيلةٌ لنتاج التفاعل بين القارئ والنص[٣] ، وهذا قد يعني ((أنّ النصّ مفتوح ينتجه القارئ في عملية مشاركة لا مجرد استهلاك ، هذه المشاركة لا تتضمّن قطيعة بين البنية والقراءة وإنّما تعني إدماجها في عملية دلالية واحدة))[٤] . فالمتلقّي تتحدّد علاقته بالنصّ انطلاقاً من آلياته ، وبحسب تلقيه للنص ، ويتشكّل موقفه منه من خلال فهم بنياته ودلالاته ، وبذلك يمثّل حضوراً في النص ويتحوّل من مجرّد متلقٍّ سلبي (مستهلك) إلى منتج ، وهذا من شأنه أن يكفل استمرارية النص .

ولعلّ هذا ما دفع بعلماء النص أن يجعلوا للمتلقّي مكاناً جوهرياً في النصّ لا يقلّ عن مكان المنتج[٥] . وكذا الباحثون في تحليل الخطاب ، إذ جعلوا من المتلقّي العياني المحسوس سواء أكان في مستوى المرسِل أم دونه موضع عنايتهم واهتمامهم ، حتّى أدّى بهم هذا الاهتمام أن ينقصوا كثيراً من هيأة المتكلّم ، وأن يسلبوه كثيراً من سلطته ويسندوها إلى المخاطَب . وهكذا، فإنّ جلّ الدراسات اللسانية ركّزت على أهمية المتلقّي في صياغة الخطاب وتحديد وجاهته ، وقد جاء هذا تحت مفهوم التفاعل[٦] .

فالنصّ إذن ((يكتسب حياته من خلال المتلقّي، إذ هو الذي يفكّ شفرة ذلك النص، ويستخرج ما فيه ، كلّ متلقٍّ بحسب ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم ذلك النص وسياقه، ذلك

---

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١١٨ .

(٢) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٢ ، ومدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٥٢.

(٣) ينظر : التفاعل بين النص والقارئ ، (فولفغانغ آيزر) : ١٣٠ .

(٤) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب : ١٠٠ .

(٥) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتّجاهات : ١١٣ .

(٦) ينظر : دينامية النص ، تنظير وإنجاز : ٤٢ .

الأفق الذي يمكّنه من إدراك ما في النص من أفكار ومبادئ وجماليات))[١] . وبناءً على هذا الفهم يصبح النص ((رمزاً يحرّك دينامية القراءة والكتابة، ويكشف عن عمل الإنتاجية التي تعني إعادة توزيع اللغة عبر التقاء القارئ بالنص))[٢] .

وعلى ما سبق يمكن القول : إنّ معيار المقبولية يتشكّل بناءً على موقف المتلقّي اتّجاه النص ، وأنّ المتلقّي هو الفيصل الوحيد في تحديد المقبولية النصية أو رفضها ، فهو المعادل للمنتج ، وهو الذي يمنح النص صفة التواصل والاستمرار ، فـ((النصّ في وجوده مدين لمباشرة القارئ له . أو هو وجود غير محقّق ولا يتمّ ظهوره وتنفيذه إلاّ بقراءة القارئ له))[٣] .

التلقّي والمقبولية في الخطاب القرآني :

أسهم ظهور الإسلام في إحداث تحوّل كبير في بنية الحياة العربية ، إذ أحدث تحوّلاً على مستوى اللغة والوعي ، وكذلك على مستوى التلقّي ، فقد كان المتلقّي يصغي إلى الشعر والخطب، ثمّ أصبح يصغي إلى القرآن ، وكان القرآن صدمة على مستوى التلقّي ، فانشغل الناس بتلقّيه، وأين يكمن الإعجاز فيه ، وقد وجدوا أنّ اللغة أحد وجوه الإعجاز ، فانصرفوا إلى تفسير القرآن الكريم وتحليل مفرداته وجمله وفواصله، ودراسة أسلوبه ، فبرزت بذلك ولأوّل مرّة في تاريخ الفكر العربي مشكلة ثقافية كبرى أُطلق عليها مشكلة التلقّي[٤] .

ولمّا كان المتلقّون متفاوتين في درجة التلقّي من شخص لآخر ، بحسب اختلاف وجهات نظرهم في النصوص، وبحسب ثقافاتهم وقدراتهم العلمية وإمكاناتهم المعرفية ، فلا شكّ أنّهم متفاوتون أيضاً في مستوى فهمهم لدلالات النص القرآني ، فتلقّي القرآن وقراءته تختلف من قارئ لآخر ؛ فهو نص مفتوح على دلالات عدّة ، الأمر الذي يحيل على

---

(١) علم اللغة النصي : ٢١٣/٢ .
(٢) نظرية علم النص : ٥٥ .
(٣) الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي : ١٥٣ .
(٤) ينظر : استقبال النص عند العرب ، د. محمّد المبارك : ١٣٢ .

اختلاف القرّاء والمتلقّين، مع لحاظ أنّ ((الوسائل التي أتيحت لقارئ النص في صدر الإسلام ، غير الوسائل المتاحة في العصر الحالي ، ومن ثمّ تطور فهم النص بما يتلاءم مع هذه الوسائل ، بل قد تختلف كفاءة المتلقين لنص واحد في وقت واحد))[١] .

إنّ التلقّي للنص القرآني يختلف اختلافاً جذرياً عن التلقّي لغيره من النصوص الأدبية الأخرى ، فهو نصٌّ ذو ((بناء وتركيب وتأليف وصياغة ، وأنّ هذا البناء هو كلٌّ متكامل ومعطى لساني بالدرجة الأولى، وجوهري في قيمته الدلالية والفنية والأسلوبية، ولا يمكن ردّه إلى ما ينسج حول خلفيات النص من عوامل سيكولوجية ونفسانية واجتماعية وثقافية وحضارية وتاريخية ... فعلى أهميتها ، تبقى هذه العناصر ثانوية في قراءة النص، وبالنسبة إلى أولوية المادة اللغوية التي تدخل في صياغته وإلى الأساليب التي تتمّ فيها الصياغة))[٢] . فلا شكّ بعد هذا ، أنّ ثمّة فارقاً بين التلقّي في النص الأدبي الإبداعي ، والتلقي في النص القرآني المقدّس ، ففي النص العادي قد يتجاوز المتلقّي سلطة المنتج حتّى يصل به الإمر إلى إلغاء حضور المنتج ، فيعمد إلى تشريح النص وتفكيكه ، ومن ثمّ توزيعه بحسب آلياته وقراءاته ، فيعيد بذلك إعادة بناء النص فيكون هو منتجه .

أمّا في النصّ القرآني فإنّ أثر المتلقّي فيه يقتصر على فهم الدلالات واستخراج المعاني ، ولا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يُلغي حضور المنتج أو يتجاوز سلطته وقصديته ، فالقارئ أو المتلقّي للخطاب القرآني لا يكون طرفاً في العملية الإبداعية ، وأنّ سلطة المتكلم في الخطاب القرآني أكثر سلطة من القارئ ؛ لأنه مصدر الحقيقة ، وهذا لا شكّ ينسجم مع النظرية الإعجازية التي كان من الضروري جداً تطبيقها على القرآن الكريم[٣] .

---

(١) علم اللغة النصي : ٢/٢١٥ .

(٢) في بناء النص ودلالته ، (محاور الإحالة الكلامية) ، مريم فرنسيس : ٤ .

(٣) ينظر : المقصدية ودور المتلقّي عند عبد القاهر الجرجاني، د. حميد لحمداني، ضمن سلسلة (قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية) ، ج١ : ١٥٣ .

وقد بيّنا آنفاً ، أنّ المقبوليّة مترتّبة على معياري الاتساق والانسجام ، ((ولا شكّ أنّ هذه المعايير تعمل متضافرة (معتضدة) للوصول إلى الغاية المرجوة من النص القرآني ، وهي إيصال أفكاره فيما يتعلّق بجوانب العقيدة وتثبيتها ، وجوانب أخرى تتعلّق بالأمور الحياتية الاجتماعية ، وقضايا أخرى مهمة اجتمعت فيه ... جعلت منه نصّاً محكماً مسبوكاً ... تدلّ فيما تدلّ على اشتماله على قضايا متنوّعة غاية في الخصوصية ، كلّ ذلك للوصول بأفكاره وتصوّراته إلى المتلقّي . ويترتّب على هذه الرؤية أنّ المتلقّي/المستمع حين يسمع القرآن لا ينكره ... وقد نتج عن ذلك أنّ وضوح وجلاء هذا المعيار ، يعتمد على وضوح المعايير السابقة عليه ، فكلّما كان النص مسبوكاً محبوكاً ، أدّى إلى وصول قصد المنتج ، الأمر الذي يؤدّي إلى قبول المتلقّي النصّ كلية وعدم رفضه ، وهذه الرؤية يجسّدها القرآن بشكل واضح))[١] .

بين القصدية والمقبولية :

إنّ العملية التواصلية تقوم على ثنائية (المنتج والمتلقّي) ، وهذه الثنائية ألقت بظلالها على ثنائية أخرى هي ثنائية القصدية التي تتعلّق بمنتج النص ، والمقبولية التي تتعلّق بالمتلقّي. فالقصدية والمقبولية معياران مرتبطان ببعضهما، ولا ينفكّ أحدهما عن الآخر، إذ ((لا يمكن تحقيق مقاصد الكاتب الأساسية من كتابته للنص إن لم يستطع القارئ الوصول إلى ما يُفترض أنّ النص يقوم به ، فلكي يتمّ تلقّي النص بوصفه جزءاً من تواصل لغوي هادف، يجب أن يتمّ اعتباره كذلك ويتمّ قبوله على هذا الأساس))[٢] .

إنّ مهمة إنتاج النص لا يقوم بها المنتج وحده ، بل يشاركه في ذلك المتلقّي ، ((فمحلّل الخطاب يعتبر الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في المدونة النصيّة لخطاب ما دليلاً على محاولة المنتج توصيل رسالة إلى المتلقي؛ ممّا يجعله يُعنى – على وجه الخصوص – ببحث كيفية وصول متلقٍّ ما إلى فهم الرسالة المقصودة من قبل المنتج في مناسبة معيّنة ، وكيف أنّ متطلبات المتلقّي المفترض تؤثر في تنظيم خطاب

(١) الدرس النحوي النصّي في كتب إعجاز القرآن الكريم : ١٥٨ .
(٢) الترجمة وعلوم النص ، ألبرت نيوبرت ، غريغوري شريف ، تر : د. محيي الدين حميدي : ٩٨ .

المنتج))[١] . وهذا دليل على أنّ عملية الإنتاج ليست حكراً على المنتج ، بل هي متعلقة بموقف المتلقّي الذي يقرّ أنّ المنطوقات اللغوية هي التي تكّون نصاً متماسكاً مقبولاً[٢].

وعلى هذا الفهم تكون العلاقة بين القصدية والمقبولية علاقة تفاعل لا سكون ، وعلى أساس ((هذا المنطلق التفاعلي تصبح المقبولية الوجه الآخر لقصد المنتج في عملية الإنتاج))[٣] . بل نجد من الباحثين من جعل المقبولية أو اعتراف المتلقّي بقصدية المتكلّم مقصداً ثانوياً[٤] .

التحليل النصّي لمعياري القصدية والمقبولية :

نود الإشارة إلى أنّ التحليل النصي لهذين المعيارين مبنيٌّ على ظروف إنتاج الخطاب، من مخاطِب ومتلقٍّ، وزمان الخطاب ومكانه، وسياق وأحداث صاحبت الإنتاج، أي بغض النظر عن كونها نصوصاً سردية تقتضي وجود سارد يمثّل منتج النص ومسرود له يكون هو المتلقّي ، أو نصوصاً محكية تنقل لنا الحوارات التي دارت بين أطراف الخطاب . بمعنى آخر ، النصوص التي يكون الحديث فيها مباشراً وجهاً لوجه ، واتجاه التواصل فيها حواري ثنائي ، والاحتكاك سمعي وبصري مباشراً زمانياً ومكانياً ، واللغة فيها هي اللغة المنطوقة[٥] .

وأنّ التلقّي الذي نحاول الوقوف عليه هو التلقّي الذي يمارسه مَن وُجّه إليه الخطاب، فكان طرفاً ثانياً من أطراف عملية التواصل ، لا التلقّي الذي يمارسه القارئ عند قراءته للنص ، أي المتلقّي الفعلي في الخطاب لا المتلقّي المجرّد في كلّ زمن .

إنّ محاولة استجلاء القصد، وبيان مقبولية الخطاب يفرض علينا أن نستعرض من الخطاب القرآني النصوص التي اشتملت على التفاعل اللغوي المباشر في أيّ شكل من

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص : ١١٧ .
(٢) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٤٦ .
(٣) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .
(٤) ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٦٤ .
(٥) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ١٧٦ .

أشكال التواصل التفاعلي ، كالخطاب أو الحوار أو المناقشة أو المجادلة[١] ، ثم بيان أثر هذا القصد في الردود ، ومدى مقبوليته ، وأكثر ما يكون هذا في خطاب الأنبياء (عليهم السلام) لأقوامهم ، ذلك الخطاب الذي حشّدوا فيه كلَّ ما من شأنه أن يكون فاعلاً لغرض الإقناع والتأثير .

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ [الأعراف: ٨٥ – ٨٦] .

وفي هذا النص خطاب مباشر يُحمل على المحاورة ، وقد جاء محكياً بلفظ القول المسند إلى قائله ، وهو موجّه من متكلّم هو النبي شعيب (عليه السلام) إلى متلقّ حاضر ، والمتلقّي هم (قومه) الذين خرجوا عن الإيمان ، فبناء الخطاب هنا مرتبط بدلالته ، وبسياقه النصّي والمقامي، وهو خطاب ذو استراتيجية تخاطبية تهدف إلى تحقيق القصد والتأثير في المخاطَبين وتوجيههم .

لذا نجد أنّ أسلوب الحوار وطريقة التخاطب التي يستعملها المتكلّم شعيب (عليه السلام) يتضمن قوّةً في المحاجّة ووضوحاً في البيّنة ، وقد تضمّن الخطاب بدءاً الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، ويبدو أنّ هذه الدعوة هي النتيجة التي يهدف المتكلّم إلى إقناع المخاطبين بها وتوجيههم نحوها ، وقد تمّت هذه الدعوة عبر ألفاظ لا تخرج عن المعنى العام الذي سيقت له السورة ، وهو الدعوة إلى توحيد الله (عز وجل) والتشريع والإنذار[٢] ، وقد صدرت هذه الدعوة على شكل خطاب توجيهي بدأه بقوله (اعبدوا) ، الذي مثّل جانباً فعلياً يخدم نتيجة إيجابية ، تهدف إلى الاستجابة ، وإلى تغيير الواقع أكثر من كونه لغوياً ، فضلاً عن كونه فعلاً قصدياً يهدف إلى الإنذار والتوجيه . فالفعل لا يسمّى فعلاً ما لم يصحبه القصد[٣] .

---

(١) ينظر : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ، د. محمود عكاشة : ١٥١ .

(٢) ينظر : أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٩٣ .

(٣) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٨٨ .

والذي يلاحظ على خطاب المتكلّم أنّه قد شكّل بنية ذات صبغة دلالية ، انطلق منها في بناء خطابه ، وهي تمثيل تجريدي للدلالة الكبرى للنص الذي يقع ضمنه ، وأنّ جميع ما يرد من المتتاليات النصية لا يخرج عن الإطار الشمولي لهذه البنية . لذا نجد أنّ ألفاظ النهي من مثل (لا تبخسوا ، لا تفسدوا ، لا تقعدوا) قد مثّلت – إلى جانب الأمر – عوامل توجيهية تهدف إلى التأثير في المخاطَبين وإقناعهم . فضلاً عن توظيف بعض المؤثّرات الموحية في خطابه عن طريق تذكيرهم بنعمة الله سبحانه وتعالى عليهم (ہ ھ ھ ے ے)، وتخويفهم عاقبة المفسدين (ۓ ﮛ ﮛ ﮜ ﮜ) [1].

وبذلك يكون ((حاصل ما أمر به شعيب (ﷺ) قومه بعد الأمر بالتوحيد ، ينحصر في ثلاثة أصول هي: حفظ حقوق المعاملة المالية ، وحفظ نظام الأمة ، وحفظ حقوق حرّية الاستهداء))[2] . على أنّ هذه الأصول منتقاة من المقام والواقع الذي وُجّه فيه الخطاب ، ذلك أنّ المنتج قد وجّه خطابه بناء على فهمه الدقيق لأحوال قومه وميولهم ، وبذلك يكون خطابه قد قام ((على أسس توثيقية تؤكّده في الصدق ، أهمها الإسناد إلى المتكلّم ، والمباشرة بالتوجّه إلى المخاطَب ، والقول المنجز ، والاحتجاج بالواقع ، والإحالة عليه))[3] .

إنّ ما وُجّه من خطابٍ لم يكن ذا أثرٍ في المتلقين ، ما ألجأهم هذا إلى عدم إطاعته والميل إلى خطاب الرفض المتمثّل بإخراج شعيب والذين أمنوا معه من قريتهم أو العود إلى ملّة الكفر ، إذ جاء ردّهم : ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [الأعراف: من الآية ٨٨] .

وفي ردّهم هذا دليل على ((أنّهم فاعلون أحد الأمرين لا محالة وأنّهم ملحّون في عودهم إلى ملتهم [إذ] كانوا يظنون اختياره العود إلى ملّتهم))[4] .

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ١٣١٧/٨-١٣١٨ .
(٢) التحرير والتنوير : ٢٤٣/٨ .
(٣) تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة : ١٥٩ .
(٤) التحرير والتنوير : ٦/٩ .

وثمّة فرق بين خطابهم الذي ارتكز على التهديد والوعيد بعيداً عن المحاججة ، وخطاب شعيب (عليه السلام) القائم على التوجيه والإرشاد المعزز بالبرهنة ، فاختلاف طبيعة الخطاب نابع من اختلاف القصد .

إنّ رفضَ الخطاب لا يرجع إلى غياب الكفاءة اللغوية في إيصال القصد المراد ، وإنّما هو راجع إلى عدم وجود شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج[١] ، وعدم وجود استعداد ذاتي عند متلقّي النص ، وإلى الجمود الفكري والإعراض عن الاستماع ورفض الحوار . فضلاً عن ذلك ، إنّ قصد المنتج قد يحمل دلالة لا تنتمي إلى الدلالة التي يفهمها المتلقّي ، وبذلك تستحيل ملاءمة قصدية المنتج لقصدية المتلقّين . لذا كان في قوله تعالى : ﴿ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ﴾ [الأعراف: ٩١] ، دليل على عدم الاقتناع من جهة متلقّي الخطاب ، وجزاءٌ مترتب على عدم تقبّلهم لخطاب نبيهم وإنكاره .

ونظير ما مرّ ، ما جاء في خطاب هود (عليه السلام) الموجّه إلى قومه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ﴾ [هود: ٥٠ – ٥٢] .

وقد وجّه المتكلّم خطابه إلى قومه بشكل مباشر ، إذ عرض فيه دعوتهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ، وقد شكّل خطابه انعكاساً للطرح الفكري للسورة وموضوعها العام الذي يعالج مسألة العقيدة والنهي عن عبادة غير الله تعالى[٢] .

إنّ الخطاب الذي يُلزمهم فيه بالدعوة إلى التوحيد جاء مقروناً بالدعوة إلى الاستغفار ثم التوبة ، ومتبوعاً بألفاظ تهدف إلى إيقاع التأثير فيهم . إذ بيّن أنّ الجزاءَ المترتّبَ على الاستغفار والتوبة هو إمدادُهم بالمطر وزيادةُ قوّتهم[٣] . ويبدو أنّ المنتج وظّف في خطابه ما يتعلّق بالوعد مناسبة لحالهم ، لذا ((قصد استمالتهم إلى الإيمان ، وترغيبهم فيه بكثرة

(١) ينظر : النص والإجراء والخطاب : ١٠٤ .
(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٨٤١/١٢ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٦/١٢ .

المطر وزيادة القوة؛ لأنّ القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين ... ، فكانوا أحوج شيءٍ إلى الماء ، وكانوا مُدلينَ بما أوتوا من شدّة القوة))[١] .

فالاستغفار والتوبة ، إذن ، حادثتان أو شرطان يتسبّب عنهما إرسال السماء عليهم مدراراً ، مع زيادة في قوّتهم ، وهذا لا شكّ يؤدّي إلى تعالق الوقائع ؛ إذ كان فيها السبب يحمل شرطا كافياً لوقوع النتيجة[٢] ، وهذه يدلّ على وجود علاقة تعمل على إحداث بناء منطقي بين أجزاء النص التي تخلو من أي رابط لفظي بينها .

الذي يلاحظ في الخطاب حضور عنصر التكرار في جملة النداء (يا قوم) بشكل مكثّف ، إذ افتتح المنتج دعوته بها لاسترعاء أسماع المخاطبين إشارة إلى أهمية ما سيُلقي إليهم[٣] ، ثمّ كرّرها غير مرّة ، ممّا شكّل التكرار عنصراً اتساقياً أدّى فعلاً تعبيرياً واضحاً ؛ هدفَ منتج الخطاب من خلاله إلى استمالة متلقّي الخطاب ، وقد أسهم في تحقيق الربط والاتّساق على مستوى مجموعة من الجمل ، لا على مستوى جملة واحدة فقط ، فمثّل بذلك دعماً لبناء النص ، فلو خلا النص منه لكان أقرب للتفكّك منه إلى الاتّساق ؛ إذ لا يمكن بغيابه تصوّر وجود النص .

إنّ إظهار الطابع القصدي للخطاب يتطلّب أن يتمتّع هذا الخطاب بميزتي الاتّساق والانسجام، ولا شكّ في أنّ الخطاب قد اتّسم بهما ، فوجودهما في النص يضمن حرص منتج النص على دوام التواصل ، ورغبته في إيصال قصده إلى المتلقّي[٤] .

إنّ عدم إحاطةِ متلقّي الخطاب بقصدية الخطاب الموجّه إليهم وجهلَهم بها أنتج ردّاً غير مناسب لسياق التواصل ، وكان ردّهم يمثّل رفضاً للمعطيات الحجاجية وعائقاً أمام تواصلهم مع النبي هود (عليه السلام) ، فأنشأوا بذلك ردّاً لا يوازي قوّة الحجّة في الخطاب الموجّه إليهم ، لا من حيث الكفاءة اللغوية ، ولا من حيث انتظام الحجج المنطقية ، لذا اتّهموه

---

(١) الكشّاف : ٢٠٧/٣ .
(٢) ينظر : النص والسياق : ٩٤ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٤/١٢ .
(٤) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٧ .

بعدم إتيانه بحجّةٍ تدلّ على صحّة دعواه ، وهذا نابع من فرط عنادهم وعدم اعتدادهم ، وأصرّوا على عدم ترك عبادة آلهتهم ، ولم يؤمنوا بما دعاهم إليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة ، ثمّ وسموه بالجنون الذي لحقه من آلهتهم لسبّه إيّاها وصدّه عن عبادتها[١] . وقد لخّص النصّ القرآني هذه المعاني بقوله : ﴿ □ ﴾ [هود: ٥٣-٥٤].

إنّ الردّ الذي أُنتج على لسان المتلقّين حمل سمة الرفض ، وردُّهم هذا مكّن هوداً من الإحاطة بقصديتهم ، فحمله هذا الأمر على أن يعدل في لغة الخطاب تأسيساً على ما صدر عنهم من تحدٍّ وجحد، إذ لم يبقَ له إلاّ التحدّي والتوجّه إلى الله وحده والاعتماد عليه ، والوعيد والإنذار[٢] . وقد جاء ردّه في قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ .

ولعلّ في قوله تعالى : ﴿ ﴾ [هود: ٥٨] . ما يوحي إلى قيمة صدق الدعوة التي تضمّنها الخطاب ، ويُعدّ مؤشّراً على انتهاء الجدل الذي أدّى إلى فشل إقناعهم ومن ثمّ غياب التواصل .

وبناء على ما تقدّم يمكن القول : بلحاظ القصدية المشتركة في النصين السابقين وهي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ، وقد كشف النص القرآني عن هذا القصد بلفظ واحد على لساني شعيب وهود : ﴿ ﴾ . أمّا من حيث المقبولية فيبدو أنّ أقوال (شعيب وهود) لم تحظَ بالمقبولية من قبل أقوامهم ، لكنّ إمعان النظر فيها يكشف عن تقبّل للنصوص جرى عبر مرحلتين :

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢١٧/٤ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٨٩٨/١٢ .

الأولى : تتمثّل في فهم النص؛ إذ يمثّل فهم النص خطوة في طريق قبوله بعد توفّر عناصر الأخرى من اتّساق وانسجام ، قال (وودز) : ((يعتمد التواصل الإنساني بشكل حاسم على مقدرة المتلقي على استخلاص فهم أكثر دقة للمعنى المقصود))[١] .

أمّا المرحلة الثانية فتتجلّى في ردّ قومي (هود وشعيب) أنفسهما ، فالخطاب هو رغبة نشطة للمشاركة فيه ، وهذا مظهر من مظاهر مقبولية النص . والمقبولية بالمعنى الواسع ((رغبة نشطة للمشاركة في المقال ومشاطرة الهدف ، وبذا يكون القبول حدثاً قائماً بذاته ، وهو يتضمن الدخول في التفاعل المقالي))[٢] . فالنص استثار متلقيه فدفعه دفعاً للمشاركة فيه ، ممّا أدى إلى استمرار تواصل الحوار بين النبيين وأقوامهم .

إنّ رفض فحوى الخطاب وعدم قبول الدعوة إلى وحدانية الله (ﷻ) لا يعني أنّ النص لا يحظى بالمقبولية ، ولا يعني أنّ أواصر التواصل قد تقطّعت بينهما ، بل ما حدث أن تحقّقت وظيفة الاستثارة للنص وفشلت وظيفة الإقناع .

إنّ ما ورد من تحليل للنصّين السابقين بغية إظهار فعل القصد المتعلّق بالمتكلّم، ومدى تأثيره في المتلقين هو في الحقيقة ينطبق على النصوص التي اشتملت على خطابات موجّهة من الأنبياء لأقوامهم جميعاً، ومثال ذلك خطاب نوح لقومه (الأعراف: ٥٩-٦٤)، وهود وقومه (الأعراف: ٦٥-٧٢) ، والنبي صالح وقوم ثمود (الأعراف: ٧٣-٧٩) ، ولوط وقومه (الأعراف: ٨٠-٨٤) ، وغير ذلك .

وفيما يتعلّق بالقصد والقبول أيضاً ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ﴾ [مريم: ٤١-٤٥] .

تختلف هنا طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب (المتكلّم والمخاطب)، عمّا ذُكر آنفا، ذلك أنّ تركيب النص وألفاظه تدلّ على نوع هذه العلاقة ، وقد راعى المتكلّم في خطابه

---

(١) الترجمة وعلوم النص : ١٢٩ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٧٨ .

مقام هذه العلاقة . وطرف الخطاب الأول إبراهيم (عليه السلام) ، وهو موجّه الخطاب إلى المتلقّي (أبيه)، الذي يمثّل الطرف الثاني، وقد وجّه خطابه نحوه باستراتيجية توجيهية مباشرة ، إذ عمد من خلالها إلى استعمال صيغ تمكّنه من تبليغ قصده إلى المتلقّي ، بحيث يحدث التفاعل ومن ثمّ التواصل.

وقد بدأ خطابه بأسلوب النداء ((مع أنّ الحضرة مُغنية عن النداء قصداً لإحضار سمعه وذهنه لتلقّي ما سيُلقيه إليه))[١] . ثُمّ عمد إلى تكراره ، وقد حمل هذا التكرار شحنةً دلالية تهدف إلى التأثير في المتلقّي ودفعهِ إلى الاستجابة ، ذلك ((أنّ عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم ، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة ، فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال ، بل يجب أن يقوله كما ينبغي))[٢] .

وبذلك يكون النداء فعلاً توجيهياً يعمل على تحفيز المتلقّي والتأثير فيه ، على أنّ النداء جاء مقروناً بالاستفهام والأمر والنهي ، وفي هذا الشأن يقول الزمخشريّ : ((كل نداء في كتاب الله تعالى يعقبه فهم في الدين ، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين ، وإمّا مواعظ وزجر وقصص لهذا المعنى))[٣] .

إنّ توظيف المنتج للاستفهام والأمر والنهي في سياق الموقف الذي بني عليه الخطاب ما هو في الحقيقة إلاّ توجيه إلى تحديد مواقفه أو إلى تمكينه من تحقيق أفعال كلامية ذات سلوك مقصود يهدف إلى تحويل الواقع[٤] . فالمتكلّم قد ضمّن خطابه أسلوباً تربوياً فاعلاً ، وقد اشتمل على مصطلحات دافعية ، تُوجد عند المتلقّي دافعاً داخلياً يحفّزه على بعث ما في نفسه من طاقات انفعالية[٥] .

---

(١) التحرير والتنوير : ١١٣/١٦ .
(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي ، د. محمد العمري : ٩٧ .
(٣) نقلاً عن البرهان في علوم القرآن : ٣٢٤/٢ .
(٤) ينظر : اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي : ١١٦-١١٨ .
(٥) ينظر : جمالية الخطاب في النص القرآني ، د. لطفي فكري الجودي : ١٣١ .

وإنّ استناده إلى الأمر في خطابه جاء ليمارس من خلاله سلطته المعرفية ، على أنّ سلطته هذه لا تكتسي صبغة الإكراه ، بل لإقناع المخاطَب فيما يعتقد ، لذا نجد أنّ المتكلّم عندما يحاور الآخر يطالبه بالمشاركة في اعتقاداته ، وأنّ مطالبته تتبع سبلاً استدلالية في سبيل تحصيل غرضها[١] .

ولم يكتف منتج الخطاب في بناء خطابه وجعله خطاباً إقناعياً يقصد منه التأثير في المتلقّي والحصول على استجابته على ما يلامس وجدان المتلقّي وعاطفته فحسب، بل نجده بنى خطابه بناءً استدلالياً ؛ إذ ((ابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس ، إذ قال له : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ، فذلك حجّة محسوسة ، ثمّ أتبعها بقوله : ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ، ثمّ انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقّي الإرشاد من ابنه بقوله : ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ، فلمّا قضى حقّ ذلك انتقل إلى تنبيهه على أنّ ما هو فيه من أثر وساوس الشيطان ، ثمّ ألقى حجّة لائقة بالمتصلّبين في الضلال بقوله : ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ، أي أنّ الله أبلغ إليك الوعيد على لساني ، فإن كنت لا تجزم بذلك، فافرض وقوعه ، فإنّ أصنامك لم تتوعدك على أن تفارق عبادتها))[٢] .

الذي يُلاحظ أنّ المتكلّم قد أسّس خطابه بناءً على مناسبته للموقف الذي أُنتج فيه، إذ عمد إلى ألفاظ (السمع ، والبصر) وهي ألفاظ لها علاقة بالمحسوس الذي يؤمن به المتلقّي ، فاختار من الألفاظ ما يناسب السياق ، ثمّ صاغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها المتلقّي ، ثمّ ليتفاعل معه[٣] .

وأنّ خطابه قد امتزج بموضوع السورة العام امتزاجاً شديداً لا مجال للفصل بينهما ، فمثّل بذلك صدًى له ودعماً ، إذ تشكّل من مجموعة أبنية تُعدّ بمثابة قضايا صغرى ، تحتوي على جملة دلالات تمثّل الدلالة الكلية أو الموضوعات العامة التي بُنيت عليها

---

(١) ينظر : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن : ٣٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ١١٤/١٦ .

(٣) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٥٧ .

السورة المباركة ، إذ كانت مسألة إثبات وحدانية الله ، ونفي الشريك عنه ، وإنذار المشركين من أصنامهم هي الإطار العام التي قامت عليه السورة[١] .

وأنّ العلاقات الدلالية قد انتشرت بين أجزاء النص ، كعلاقة السبب بالنتيجة التي تُعدّ واحدة من أهمّ العلاقات التي صُنّفت تحت العلاقات المنطقية[٢] ، وتقوم على الربط بين بنى النص ، بما يُسهم في إحداث بناء منطقي بين أجزاء النص . فالعلاقات الدلالية بُنيت هنا تابعة للموقف الخطابي وللوظيفة التواصلية ، ممّا أحدثت تكافؤاً دلالياً[٣] .

وبناءً على ما تقدّم يتبيّن أنّ القصد الذي هدف إليه المنتج قد انصرف إلى استثمار كلّ ما من شأنه أن يُسهم في إنتاج خطاب متّسق ومنسجم ، من أجل إنجاح عملية التواصل وبناء تأثير يدفع المتلقّي إلى الاستجابة والتفاعل .

إنّ ما تغيّاه المتكلّم في خطابه لم يكن ذا أثر في المتلقّي ، إذ كان ردّه سلبياً ، ولم يكن ذا كفاءة تواصلية عالية بالقدر الذي يوازي كفاءة المتكّلم . وقد حول التواصل من جانب إلى جانب آخر ، وهذا لم يأتِ من قصور المتكّلم في إيصال قصده على الشكل المراد ، وإنّما متأتٍّ من عدم وجود تقبّل أو استعداد ذاتي لدى المتلقّي ، وأنّ دلالة ما وُجّه إليه لا ينتمي إلى دلالة ما يعتقد به ، وقد جاء ردّه في قوله تعالى: ﴿ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ﴾ [مريم: ٤٦] .

فكان ردّه ((بمُنتهى الجفاء والعُنجهية بعكس ما في كلام إبراهيم من اللّين والرقّة، فدلّ ذلك على أنّه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلّب في الكفر))[٤] . وهو في ردّه قد لجأ إلى ثقافة المجتمع السائدة ((فلا حوار في علاقتهما ، إنّما أمر وطاعة، فللأب

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٩/١٦ ، وأهداف كل سورة ومقاصدها : ٢١٣ .
(٢) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤٧ .
(٣) ينظر : في البنية الدلالية للنص ، ديتر فيهفجر ، ضمن كتاب (إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة) ، د. سعيد حسن بحيري : ٢٧٤-٢٧٥ .
(٤) التحرير والتنوير : ١١٨/١٦ .

أن يعلن عن رغبته، وللابن أن ينفذ من دون تردد أو تفكير، إنّها الشريعة السائدة آنذاك ، التي تجعل من علاقة الآباء بأبنائهم علاقة تشبه العبودية))[١] .

وبذلك أيقن إبراهيم (عليه السلام) فشل التواصل مع أبيه نتيجة غياب مبدأ تقبل الخطاب والتفاعل ، فعدل في خطابه بناءً على ما فهمه من قصد المتلقّي في ردّه ، وجاء قوله تعالى : ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۇ ۇ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ﴾ [مريم: ٤٧-٤٨] . دليلاً على ما أيقنه المتكلّم في نهاية العملية التخاطبية .

ومن الحوار الذي كان لفهم القصد والإحاطة به أثر في بناء تفاعل تواصلي ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٦] .

الذي يلاحظ في هذا النصّ أنّ الحوار مبنيٌّ على وجود طرفين ، هما سليمان (عليه السلام) ، وهو موجّه الخطاب بشكل غير مباشر ، و(الهدهد) الذي مثّل الطرف الثاني في الخطاب ، وقد ضمّن الطرف الأوّل في خطابه ألفاظاً إنجازية تتمثّل في الوعيد والتهديد . وقد طغى بشكل ملفت صوت المتكلّم المفرد واضحاً من خلال وروده في عناصر لغوية كثيرة (أحطت ، جئتك ، وجدت ، وجدتها) ، إذ جعل من الأنا وسيلة أو واسطة حاول من خلالها أن يقوم بوظيفته الإخبارية أو التبليغية .

إنّ ما صدر عن سليمان (عليه السلام) جعل الهدهد ينطلق في خطابه من تأكيد حقيقة تبرّر سبب غيابه وتكون وسيلة لبيان ما قصد إليه ، ومن ثمّ تكون عاملاً لإقناع المخاطَب . لذا نجد أنّه بدأ خطابه بقوله : (أحطت بما لم تُحط به) ، وفي قوله هذا ((تنبيهٌ لسليمان على أنّ في أدنى خلق الله تعالى مَن أحاط علماً بما لم يُحط به))[٢] ،

---

(١) الحوار في القرآن الكريم ، قواعده – أساليبه – معطياته ، محمد حسين فضل الله : ٢٦٤ .
(٢) التفسير الكبير : ١٩٠/٢٤ .

أي أنّه مطّلع على ما لم يطّلع عليه المخاطَب ، فهو ((يبدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء الملك له))[١] ، وقد عمد إلى افتتاح خطابه بهذا القول ليوجّه اهتمام المخاطَب ويجذبه إلى أهمية ما سيخبره به لاحقاً ، ففعل الخطاب هذا يشير إلى وظيفة إبلاغية مرتبطة بموقف موضوعي ، ومستندة إلى درجة التأكيد التي يمتلكها المتكلّم عن صدق مضمون خطابه[٢] ، ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى إخباره بالمعلومة التي تمثّل نواة الخبر، إذ قال : (جئتك من سبأ بنبأ يقين) .

ولا يخفى أنّ من متطلّبات أيّ حدث ما أن تتوفّر معلومةٌ تمثّل شيئاً مهماً أو خبراً جديداً يحاول المتكلّم أن ينقلها إلى المخاطَب[٣] ، وهذا ما نجده في خطاب الهدهد الذي مثّل ردّاً على ما وُجّه إليه ، إذ عمد إلى تضمين خطابه – في سياق معين – بنية نصية مثّلت قضية أو نواة مركزية فيه ، وهي (نبأ) ، إذ ركّز على إظهارها بشكل مجمل ، وقد حملت دلالة واسعة بدليل أنّه بيّنها بتفصيل جاء موزعاً على أبنية نصية متتالية ، وفي مجموعة من الآيات التي مثّلت عناصر رئيسة لهذه القضية .

إنّ العلاقة التي جمعت بين القضية النواة وما جاء بعدها هي لا شكّ علاقة دلالية منطقية ، فهي وإن كانت غير صريحة إلاّ أنّها مثّلت الصّلة بين مجموعة البنى النصية الإخبارية ، ومن ثمّ عملت على تقديم الخطاب بشكل يبدو منسجماً مع ما أُريد له . ولو وقف الخطاب عند المعلومة النواة ، لكان عاجزاً عن إيصال المعنى للمتلقي ، لكنه بيّن المعنى عندما أتى بجمل متتابعة فصّلت ما أُجمل ، وهذا من شأنه أن يضمن للخطاب استمراريته ومن ثمّ التأثير في المتلقّي ليبقى مشدود الذهن ومتواصلاً مع المتكلّم ، فلو خلا الخطاب من هذه الأبنية لكانت الدلالة غير واضحة ، ولا يمكن للمتلقّي أن يتقبّل الخطاب ليتواصل معه ، لأنّه لم يحقّق القصد .

إنّ المعلومة النواة مثّلت أهمية الخطاب ، أو موضوع الخطاب ، لكن بصياغة ملخّصة إلى أبعد حدّ ، وهي نابعة من الفهم الكلّي الذي يحدّده بشكل حاسم القصد

(١) في ظلال القرآن : ٢٦٣٨/١٩ .
(٢) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ١٣٨ .
(٣) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ٣٤٥ .

التواصلي للمتكلّم[١] . وبذلك يكون خطاب المتكلّم قد اتّجه إلى توزيع المعلومات وتكوين شبكتها بالاستناد إلى أساس هذه المعلومة النواة ، وهذا ما يسبّب الأثر الممكن لدى المتلقّي ، ويضمن بذلك نجاح نقل المعلومة التي هي لبّ الموضوع[٢] .

وممّا يُلحظ أنّ ثمّة تدرّجاً في تتابع الأبنية ، وهذا التدرّج في التتابع حقّق قيمة أكسبت الخطاب تجدّداً في الدلالة ، ذلك أنّ دلالة الجمل المتتابعة للجملة التي بدأ بها الخطاب قد أضافت فائضاً في المعنى .

إنّ هذا الإجراء في الحقيقة يدخل تحت ما يمكن تسميته البحث عن العلاقات الممكنة التي تعمل على بناء انسجام الخطاب ، ومن ثمّ الوصول إلى قصد الخطاب[٣] . وبذلك مُنح الخطاب أسباب القدرة على الإقناع ، ممّا جعل المتلقّي متفاعلاً مع الهدف المقصود . بمعنى آخر أنّ عناصر الاتساق وآليات الانسجام قد وُظّفت في خطاب الطير للإفصاح عن قصده ، وللتحفيز على فهمه، فنجح بذلك إلى التأثير في المتلقّي .

وبناءً على هذا الفهم يمكن القول : إنّ سليمان (عليه السلام) هو المنتج الأول للخطاب ، وعليه هو مَن ينتظر التقبّل ، والهدهد منتجٌ ثانٍ ، ينتج خطاباً ثانياً (ردّاً) ، نتيجة لتقبّله خطاب المنتج الأول . وإنّ مقبولية الخطاب قد استندت إلى عملية الفهم التي أُسّس لها من خلال توافر الاتّساق والانسجام ، اللذين جعلا من الخطاب وحدة تواصلية جعلت المتلقّي يتفاعل معه .

إنّ قبول المتلقّي للخطاب وإحاطته بمحتوى عموم الخطاب ، أدّى إلى إنجاز فعل تواصلي بينهما، وقد ظهر أثر هذا الإنجاز من خلال إرسال سليمان للهدهد إلى قوم سبأ، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن هذا بقوله : ﴿ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ﴾ [النمل : ٢٧– ٢٨] . فلو كان الأمر خلاف هذا لوجدنا أنّ سليمان قد نفّذ وعدَه اتّجاهه .

---

(١) ينظر : التحليل اللغوي للنص : ٧٣–٧٤ .

(٢) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصّي ، هاينمان وفيهفيجر : ٣٤٥–٣٤٦ .

(٣) ينظر : لسانيات النص : ٥٢ .

المبحث الثاني : التناص (INTERTEXTUALITY) :

يعدّ معيار التناص من أهم المعايير التي تشكّل المفاهيم أو الأسس النظرية لعلم النص[١] ، ولا غنى لأيّ دراسة نصّية شاملة عنه ، كونه مكوّناً من مكوّنات النص التي تتحكّم في نصيته ، ومفهوماً من المفاهيم التي تطمح إلى ترسيخ المحاولات الحثيثة لإيجاد علم النص ، الذي يتّخذ من النص المادة الرئيسة له[٢] . وبذلك يمثّل التناص عنصراً قاراً في النصوص ، وظاهرة نصّية مهمّة لا يمكن إغفالها بأيّ حال من الأحوال[٣] .

والتناص في اللغة مرتبط بمادة نصص ، يُقال : ((نصّ المتاع نصّاً : جعل بعضه على بعض))[٤]، و((تناصَّ القوم : ازدحموا))[٥] . وتمتدّ هذه المادة إلى عملية التراكم ، الذي لا يكون إلاّ بجعل الشيء بعضه فوق بعض[٦] . والمعنى (ازدحموا) ، يقترب من التناص بصيغته الحديثة ، فتداخل النصوص قريب من ازدحامها في نص ما[٧] .

---

(١) ينظر : آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، مجموعة من المؤلفين ، تر : محمد خير البقاعي : ٣٤ .
(٢) ينظر : في نظرية الأدب ، شكري عزيز الماضي : ١٩٤ .
(٣) ينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ١٠٤ .
(٤) لسان العرب ، (نصص) : ٩٧/٧ .
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيديّ ، (نصص) : ١٨٢/١٨.
(٦) ينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ ، د. محمّد عبد المطّلب : ١٣٧ .
(٧) ينظر : التناص في شعر الرواد ، أحمد ناهم : ١٤ .

وصيغة تناصَّ (تفاعلَ) من الصيغ التي تدلّ على المشاركة ، وتحدث بين اثنين على الأقل ، ومن ثمّ فالمصطلح يجمع بين النص الذي هو مادة التفاعل ، وبين التفاعل الذي هو طبيعة العلاقة بين النصوص[١] .

أمّا عن التناص مفهوماً ، فإنّ وجوده ارتبط بمصطلح (الحوارية) لدى (باختين) ، والحوارية تعني حوار النصوص وصيغ تعالقها[٢] . أمّا وجوده مصطلحاً قارّاً في الدراسات الحديثة ، فإنّ تعاريفه قد تنوعّت واختلفت بحسب المنهجيات التي تناولته ، ولعلّ أوّل بروز له كمصطلح نقدي نجده عند (جوليا كريستيفيا) ، إذ اخترعته في كثير من محاولاتها المكتوبة بين عامي (١٩٦٦-١٩٧٦) ، التي ظهرت في مجلتي (Tel Quel) و(Critique) وفي كتابها (نص الرواية)[٣] ، وقد أشارت إليه في أثناء تعريفها للنص بأنّه ((ترحالٌ للنصوص وتداخلٌ نصيّ ، ففي فضاء نصّ معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى))[٤] .

وبعبارة أخرى : ((أن يتقاطعَ في النصّ مؤدّى مأخوذٌ من نصوص أخرى))[٥] . أو هو ((تفاعل نصّي يحدث داخل نصّ واحد))[٦] .

ورأي (كريستيفيا) هذا ينطوي على محاولة أولى لوضع تعريف لمفهوم التناص ، فالتناص عندها هو ((عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى))[٧] . وتأسيساً على هذا ترى (كريستيفيا) إمكان قراءة خطابات عديدة داخل النص ، مما يتيح صناعة النص عبر امتصاص النصوص الأخرى ، وهدمها في

---

(١) ينظر : التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، (مجلة علوم اللغة ، مج٧ ، ع٢ ، ٢٠٠٤) : ١٠٢ .

(٢) ينظر : نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٣ .

(٣) ينظر : التناصية ، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره ، (مارك أنجينو) ، ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ٨٠-٨١ .

(٤) علم النص ، تر : فريد الزاهي : ٢١ .

(٥) التناصية ، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره ، (مارك أنجينو) : ٨٢ .

(٦) نظرية التناصية ، مارك دوبيازي ، تر : عبد الرحيم الرحوتي ، (مجلة علامات ، م٦ ، ج٢١) : ٣١٠ .

(٧) النص الغائب ، تجلّيات التناص في الشعر العربي ، محمّد عزّام : ٣٠ .

فضاء التداخل النصّي[١] . ولعلّ ما قدّمته (كريستيفيا) من فهم هنا ، متأتٍّ من رؤيتها للنص على أنّه إنتاجية تتمّ عن طريق تفاعل نصوص سابقة ومتزامنة ، وتداخلها مع بعض ، فالنص عندها ((جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه ، فالنص إذن إنتاجية))[٢] .

إنّ هذا الفهم يجعل من التناص خاصّية رئيسة في النص ، فـ((النص باعتباره ملفوظاً شخصياً ، أي إنجازاً فردياً يعيد التركيبة اللغوية والمنظومة السيميائية ويوزّعها توزيعاً جديداً وفق حاجاته التعبيرية ورؤيته الجمالية . وعن طريق هذه العملية الازدواجية (توزيع/إعادة بناء) يُقدّم النص بعملية احتواء وامتصاص بعضَ العناصر النصية الغريبة عن جهازه اللغوي وإطاره المضموني وينسّق بينها . وقد تنتمي هذه العناصر إلى ثقافات متباينة وأجناس أدبية مختلفة))[٣] .

وبلحاظ ما قيل يكون النص خاضعاً لسلطة نصوص أخرى ، تتفاعل هذه النصوص بوصفها ممارسات دلالية تُسهم متضافرة في خلق نظام ترميزي جديد يحمل على عاتقه عبء إنتاج المعنى أو الدلالة في هذا النص[٤] .

وعلى ضوء إنتاجية (كريستيفيا) يرى (رولان بارت) أنّ التناص يكون ميزة في كلّ النصوص، بل هو قدر كلّ نص مهما كان جنسه، ولا يقتصر على قضية المنبع والتأثير بل هو مجال عام لكلّ الصيغ المجهولة ، التي يندر معرفة أصلها ، وأنّ متصوّر التناص (القارئ) ، هو الذي يمنح النص جانبه الاجتماعي ، ويتمّ ذلك على وفق طريقة متشعبة تمنح النص وضع الإنتاجية[٥] . فـ(بارت) بهذه النظرة لا يحيد عمّا أقّرته (كريستيفيا) في تأكيدها أنّ النصّ نظام يحيل على معنى وليس فعلاً اعتباطياً[٦] . ويواصل (بارت) ما

---

(١) ينظر : علم النص : ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) المرجع نفسه : ٢١ .
(٣) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٦ .
(٤) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج : ٧٤ .
(٥) ينظر : نظرية النص ، ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ٥٢-٥٣ .
(٦) ينظر : التناص في شعر الرواد : ٢٧ .

انتهت إليه (كريستيفيا) حول النص ، إذ يرى أنّ النص ((نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة))[١] . وفي معرض حديثه عن التناص الذي أطلق عليه (النص المتداخل) ، يقول : ((... وهذا هو النص المتداخل : استحالة الحياة خارج النص اللامتناهي))[٢] .

أمّا (جيرار جينيت) ، فيرى أنّ التناص ((علاقة حضور مشترك بين نصّين وعدد من النصوص بطريقة استحضارية ، وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنص في نص آخر))[٣] . وجعل أكثر أشكال هذه العلاقة وضوحاً وحرفية هي الاقتباس مع الإحالة على مرجع محدد أو عدم الإحالة ، وأقلّ أشكالها وضوحاً وشرعية السرقة[٤] .

على أنّ (جينيت) لم يستعمل مصطلح التناص بل أطلق عليه مصطلحات بديلة من مثل التعدية النصية ، والاتساع النصي ، والماورائية النصية ، وما فوق النصية ، والنظير النصي ، والتعالي النصي[٥] . وتحوّل التناص عنده إلى نوع من أنواع التعالي النصّي ، و(التعالي النصّي) يعني ((كلّ ما يجعل نصّاً يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني))[٦] ، وبتعبير (جينيت) كلّ ما يجعل النصّ في علاقة خفية أو جلية مع غيره من من النصوص[٧] .

وفي قبالة هذا، يطلق (سعيد يقطين) مصطلح (التفاعل النصي) بديلاً عن مصطلح (التناص)، وعمّا اطلقه (جينيت)، إذ يذهب إلى إيثار (التفاعل النصي) لأنّه أعمّ من التناص وأفضل من التعالي، وفي هذا الشأن يقول : ((نفضّل التفاعل النصّي بالأخص ، لأنّ التناص في تحديدنا – الذي ننطلق فيه من جينيت – ليس إلاّ واحداً من أنواع التفاعل النصي ... ، وعلى الرغم من أنّي أميل إلى المتعاليات النصية ، فإنّ معنى

(١) تناصيّة الأنساق في الشعر العربي الحديث ، د. محمود جودات : ١٣ .
(٢) لذة النص ، تر : فؤاد صفا والحسين سبحان : ٤٠ .
(٣) طروس الأدب على الأدب ، ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ١٦٠ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ١٦١ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه : ١٦٣ ، ١٦٦ ، ومدخل لجامع النص ، تر : عبد الرحمن أيوب : ٩٠-٩١ .
(٦) انفتاح النص الروائي : ٩٦-٩٧ .
(٧) ينظر : مدخل لجامع النص : ٩٠ .

التعالي قد يوحي ببعض الدلالات التي لا نضمنها لمعنى (التفاعل النصي) ، الذي نراه أعمق في حمل المعنى المراد والإيحاء به))[١] .

ولم يكتف (يقطين) بهذا ، بل أدخل ضمن (التفاعل النصّي) أنواعا ثلاثة ، هي : المناصّة: التي يريد بها التفاعل النصيّ الذي يأخذ بُعد المجاورة، فيحدث داخل النص . والتناصّ : الذي يأخذ بعد التضمين ، إذ تتضمن فيه بنية نصية ما عناصر بنيات نصية سابقة. والميتانصّية : التي تُعنى بعلاقة بنية نصية طارئة مع بنية نصية أصل. ثمّ جعل له ثلاثة أشكال، هي : التفاعل النصّي الذاتي ، والتفاعل النصّي الداخلي ، والتفاعل النصّي الخارجي[٢] .

أمّا التناص بحسب اصطلاح علماء النص ورؤيتهم، فلا يبتعد عمّا قرّ من المفاهيم السابقة ، فهو عند (دي بوجراند) ((يتضمّن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به ، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة))[٣] . وجعله في موضع آخر من كتابه ((المبدأ الذي تنشأ به النصّية لأي نصّ بعينه من خلال تفاعل هذا النص والنصوص الأخرى))[٤] . وقد ربط (دي بوجراند ودريسلر) التناص بعملية إنتاج النص واستقباله حينما أدرجا ((تحته الطرق التي يعتمد فيها إنتاج نصٍّ ما واستقباله على معرفة المشاركين بغيره من النصوص))[٥] .

والمعنى الأخير يُفهم منه أنّ التناص لا يرتبط بالنص وحده بقدر ما يرتبط بمشاركي التواصل والمعارف التي يملكونها ، بما يعني ((أنّ التناص لا يقع في النص نفسه ، وإنّما في عمليات التواصل الإجتماعي التي ينطلق منها ويعود إليها ، أي التي تقع في شروط إنتاجه ، كما تقع في شرط تلقيه))[٦] .

---

(١) انفتاح النص الروائي : ٩٢-٩٣ .
(٢) ينظر : انفتاح النص الروائي : ٩٩-١٠٠ .
(٣) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .
(٤) المرجع نفسه : ٤٩١ .
(٥) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ٢٣٣ .
(٦) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٧٤ .

والتناص بحسب دي بوجراند معيار نفسي[١] ، والعامل النفسي لا شكّ في أنّه مرتبط بمستعملي النص على السواء ، أي المنتج والمتلقّي . وهو يأتي نتيجة لعوامل اجتماعية ولغوية ترتبط بالأوضاع الاجتماعية وأدوار المشاركين في الاتصال[٢] . وقد جعله (سعد مصلوح) متّصلاً بسياق النص المادي والثقافي[٣] . في حين أدخله (عفيفي) ((ضمن إطار ما يتّصل بالنصّ وسياقه مرتبطين معاً لا كما صُنّف من قبل))[٤].

ويبدو أنّ ما أقرّه (دي بوجراند) من تصنيف للتناص عندما جعله نفسياً أقرب واقعاً ممّا صنّفه غيره ، ولعلّ ما يؤيّد هذا أنّ التصوّر التناصّي للنص يُحدّد من جهة المؤلّف تارة، إذ ينشأ المعنى مرتبطاً بالمعرفة النصية ومعرفة العالم لدى المؤلّف. ومن جهة القارئ تارة أخرى ، فعملية القراءة التي تكون فعلاً منتجاً أيضاً ، يمكن أن ينشِئ معنى ، ومن ثمّ نصاً ، مع شرط تضمّن محتمل للمعرفة النصية ومعرفة العالم . وعن هذين المجالين ينتج التناص للتأثير بوجه عام في عملية الكتابة والقراءة[٥] .

وأنّ التناص يحدث بين ذاكرتين ، ذاكرة النص التي هي نقطة التقاء النص مع النصوص الأخرى عبر خبرة المؤلّف، وذاكرة القارئ، أي نقطة التقاء النص معه، ذلك القارئ الذي يتّسع حقل التبادل بين النص والنصوص الأخرى من خلاله[٦] . فالتناص يبدأ عند القارئ أثناء عملية التلقّي، ومع أنّ النص هو التجسيد الحي للتناص ، لكنّه لا يكتسب وجوده إلاّ مع وعي المتلقّي به ، وإلاّ لن يكون له قيمة ومعنى داخل العمل[٧] .

---

(١) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٦ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ٤١٢ .
(٣) ينظر : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : ٢٢٦ .
(٤) نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٧٦ .
(٥) ينظر : التناص ملحوظات لغوية حول مفهوم للنص خاص بالأدب ، (أنجليكا لينكه ، ماركوس نوسباومر) ، ضمن كتاب : (علم لغة النص نحو آفاق جديدة) : ٨٤ .
(٦) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج : ٩٢ .
(٧) ينظر : المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك ، د. عبد العزيز حمودة : ٣٠٠ .

وبلحاظ ما تقدّم يتبيّن أنّ علم لغة النص الحديث لم يستقل تماماً عن التيارات التي أنتجت تصور التناص ، ولا يُستبعد أنّ التناص قد أثر في علم لغة النص[١] .

وإنّ هذا التأثير قد أغرى بعض الدارسين إلى التوجّه نحو دراسة التناص بدلاً من دراسة النص ، على اعتبار أنّ التناص لا يُستعمل إلاّ للاستدلال على معرفة النص ، فيكون بذلك النص هو الموضوع المحدّد ، وأنّ التناص هو الموضوع المبني ، والمبني يتفوّق على المحدّد[٢] . والنص في وجهة نظر (بلوم) لا وجود له إلاّ بينصوص ، وأنّ التناص هو الذي يضع الأسس لقيام النص ، ولعلّ القول بضرورة تحقّق التناص كان سبباً في استعمال كلمة نص[٣] .

إنّ هذه الدعوة مبنية على أساس أنّ النص الأدبي منتجٌ مغلق ، وهو نسق نهائي يمكن تحليله في ضوء علاقات وحداته داخل نسقه الأصغر (النص) بعضها ببعض[٤] . والأمر على خلاف ما قيل هنا ، ذلك أنّ التناص سمة من سمات النصية التي جعلت منه ومن المعايير الأخرى أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها[٥] .

هكذا يبدو ((التّناص علاقة تفاعل بين نصوص سابقة ، ونصّ حاضر))[٦] . والتفاعل بين بنية النص (الماثل/الحاضر) والبنيات المتفاعل معها ، لا يكون مباشراً دائماً ، إنه إلى جانب ذلك يكون ضمنياً[٧] . ويبدو أيضاً ((تعالق (الدخول في علاقة) نصوص نصوص مع نصّ ، حدث بكيفيات مختلفة))[٨] . وتلك الكيفيات يمكن حصرها في نمطين نمطين رئيسين: ((أوّلهما: يقوم على العفوية وعدم القصد ؛ إذ يتم التسرّب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي ، أو يتمّ ارتداد النص الحاضر إلى الغائب ... ، أمّا

---

(١) ينظر : التناص ملحوظات لغوية حول مفهوم للنص خاص بالأدب : ٨٣ .
(٢) ينظر : التناصية ، (ليون سمفيل) ، ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ١٢٤ .
(٣) ينظر : المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك : ٣٢٢ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ٣١٦ .
(٥) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .
(٦) النص الغائب : ٢٩ .
(٧) ينظر : انفتاح النص الروائي : ١٠٤ .
(٨) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٢١ .

الآخر : فهو يعتمد الوعي والقصد ، بمعنى أنّ الصياغة في الخطاب الحاضر تشير – على نحو من الأنحاء – إلى نصٍّ آخر ، بل وتكاد تحدّده تحديداً كاملاً يصل إلى درجة التنصيص))[١] .

وبلحاظ ما ذُكر، يمكن أن يُثار سؤال مفاده، أيّ كيفية تحقّق التناص؟ هل يتحقّق من خلال القصد إليه والوعي به، أو من دون قصد ولا وعي؟ . وفي هذا الشأن ((يؤكّد أغلب الدارسين وجود الحالتين معاً في الظاهرة ، ولا تعنيهم في تحليلها النوايا التي تكمن وراءها بقدر ما تعنيهم تجلّياتها ، ويشيرون إلى أنّ ما يهم في الأمر هو التوالد النصّي أو التداخل أكثر ممّا يهم منبع هذا التوالد ، سواء أكان عن طريق الإرادة الواعية ، أو غير الواعية ، المباشرة أو غير المباشرة))[٢] .

وبناءً على ما تقدّم فإنّ التّناص يعني[٣] : توالد النص من نصوص أخرى ، وتداخله معها، وأنّه خلاصة لما لا يحصى من النصوص، فهو ينبثق منها ويعتمد عليها ويتعالق معها ، ومن ثمّ لا حدود بين نص وآخر. وبهذا ((يصبح النصّ بمثابة بَصَلة ضخمة لا ينتهي تقشيرها. فالمعاني والدلالات فيه طبقات بحسب القرّاء، والأزمنة ، والأمكنة))[٤] . ويكون ((التناص بمفهومه الدقيق لا يعني انتظام النصوص جنباً إلى جنب في محيط نصٍّ واحد ، وإنّما يعني تشابكها وتداخلها في علاقات حية تختلط فيها أمشاجها ، وتترابط وشائجها المختلفة ، والصيغة العربية المبنية على التفاعل (التناص) تدعم هذا المفهوم ، حيث يشير المصطلح إلى الفاعلية المتبادلة بين النصوص ، كما يتبيّن أنّ التناص في مفهومه العميق نوع من تأويل النصوص ، أو الفضاء الذي يتحرّك فيه القارئ والناقد... وذلك بإرجاع النص إلى عناصره الأولى التي شكّلته))[٥].

---

(١) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ : ١٥٣ .

(٢) أطياف الوجه الواحد ، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق ، د. نعيم اليافي : ٨٣ .

(٣) ينظر : في نظرية الأدب : ١٩٩ .

(٤) النص الغائب : ٣٠ .

(٥) نظرية التناص وخصوصية النص القرآني ، دراسة في الإجراءات النقدية وإشكاليات التلقّي ، د. علي يحيى نصر ، (مجلة العلوم العربية ، ع ٢٧ ، ٢٠١٣) : ١٩٩ .

أهمية التناص في تحليل النص :

يعدُّ البحث في مجموعة الآليات التي تتحكّم في عمليتي الإنتاج والتلقّي مفتاحاً لجعل التناص محوراً لدراسة العلاقة بين النصوص ، ومحاولة لفهم النص وتفسيره ، وهذا يتأتّى من عدّ التناص سمة من سمات النصية ، وأنّه إحدى الطرق التي يترابط بها النص مع النصوص السابقة عليه[١] .

فمن خلال التناص يمكن تفكيك النص بهدف معاينة علاقته بالنصوص التي حاول تمثّلها واستيعابها وتحويلها لتصبح جزءاً من بنيته وبنائه[٢] .

والتناص يمثل المظهر الأهم في النص كونه ليس نتيجة وجود أو غياب نمط قواعدي أو معجمي بعينه في النص، إنّه وظيفة إظهار النصية ، وهو نمط شامل يقارنه القارئ بمعيّرات عقلية موجودة سابقاً في تجربته ، ويعزوه للنصوص ، فاستعمال النصوص المتوازية هنا تكون بمثابة عوامل مرشدة تمكّن القارئ من إعادة رسم عناصر النصية بشكل واع[٣] . وليس هذا فحسب ، إذ تأتي أهميته ((من أنّه يمثّل عمليه إثراء وإغناء النصوص بعضها بعضاً بقيم دلالية وشكلية متعدّدة ومتنوّعة ، كما يمثّل تحرّراً وانعتاقاً للمبدع نفسه من قيود الثقافة الواحدة ، ومن قيد الزمان والمكان . إنّه معانقة أجواء أخرى أكثر رحابة وفساحة))[٤] . وقد جعله (محمّد مفتاح) وسيلة تواصل لا يحصل القصد من أيّ خطاب لغوي بدونه ، وضرورة لنجاح العملية التواصلية[٥] .

والتناص مكمل للدراسة النصية ، فهو جزء داخل فيها ومن غير الممكن دراستها من غير المرور به ، كونه يؤدّي إلى ربط النص بما يتحدّد به من نصوص لازمة له ، أو

---

(١) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٧٤ .
(٢) ينظر : انفتاح النص الروائي : ٩١ .
(٣) ينظر : الترجمة وعلوم النص : ١٦٣ .
(٤) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ١٠٤ .
(٥) ينظر : تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص : ١٣٤-١٣٥ .

بما يطلبها منه اختياراً أو طواعية، أو بكلّ ما يشكّل الظروف المعينة له[١] . وتظهر أهمية التناص أيضاً، في أنّه يُسهم في كشف العلاقات بين النصوص، وأنّه يحقق ديمومة النص، كما يكشف عن الدلالة الكامنة في النص الحاضر عبر معرفة مرجعيته، ومن ثمّ معرفة الأصول المكونة له ، ويُسهم أيضاً في بيان قدرة المبدع في امتصاص النصوص السابقة وخلق نص جديد من خلالها ، وقدرة المتلقّي على فكّ شفرات النص وبيان مرجعيته النصية[٢] .

التناص في الخطاب القرآني :

ثمّ خلاف حول وجود التناص في النص القرآني ، ولاسيّما فيما يتعلّق بالتناص الخارجي ، فمن المحدثين من دفع وقوعه في القرآن الكريم ، إذ قال : ((القول بالتعالق النصّي في القرآن ، أي أنّه نصٌّ مُشكّل من معتقدات وثقافات ، وأدبيات أُخر ، كالتوراة والإنجيل ، والشعر الجاهلي ، والسجع ، وليس نصاً مغلقاً ، أو محضاً لم يُشب بثقافة الآخر، ولا شكّ أنّ التأكيد على مقولة (البين نص) مدلفٌ مناسب إلى أنسنة النص القرآني ؛ إذ يُفرّغ من ربّانيته ويغدو نصاً لغوياً مشوباً بإحالات إيحائية ، وإرجاعات غير مؤتلفة لمبدعين آخرين))[٣] .

وذهب آخر إلى نفي صفة التناص في القرآن الكريم ، إذ قال : ((ولو سلّمنا بالتناص في بنية النص القرآني لأدّى ذلك إلى التسليم بوجود نصّ سابق على النص الكريم ، وهذا يتنافى مع خصوصية القدم))[٤] .

ومن القائلين بالتناص في القرآن (نصر حامد أبو زيد) ، إذ يرى أنّ النص الديني قد انخرط في علاقات سجالية مع النصوص الأخرى السابقة عليه والمعاصرة له ، وقد اعتمدت تلك العلاقات على آليات تناصية على درجة عالية من التعقيد ، كرفض الشعر

---

(١) ينظر : التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره ، شربل داغر ، (مجلة فصول ، مج١٦، ع١ ، ١٩٩٧) : ١٣٣ .

(٢) ينظر : التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف : ١٢٠-١٢١ .

(٣) النص من تهافت القراءة إلى أفق التدبّر ، د. قطب الريسوني : ٢٧١ .

(٤) نظرية التناص وخصوصية النص القرآني : ٢٠٦ .

والسحر والكهانة ، لكن هذا الرفض لم يمنع النص من توظيف آليات تعبيرية وأسلوبية تنتمي إلى تلك النصوص خاصة في مجال الإيقاع[١] .

ويمضي قائلاً : ((وفيما يتعلّق بالنصوص الشفاهية يمكن القول: إنّ التناص معها اعتمد على آلية الاستيعاب وإعادة التوظيف من خلال سياق يعيد تأويلها تأويلاً ناطقاً بأيديولجية النص))[٢] .

وهو يرى أنّ النص القرآني منظومة من مجموعة نصوص لا يمكن فهمها إلاّ من خلال سياقه الخاص، أي بوصفه نصّاً، وهو في تركيبته تلك يتشابه مع النص الشعري، مثلما هو واضح في المعلّقات الجاهلية مثلاً ، وفي تعدّد مستويات السياق المحدّدة لدلالة كلّ جزء من أجزائه ، فالنصّ القرآني بتركيبته تلك ، أي بهذا الشكل المكوّن من عديد من النصوص ، جاءت في جانب منها نتيجة للسياق الثقافي المنتج ، كونها تمثّل عنصر تشابه بينه وبين نصوص الثقافة عامة، والنص الشعري خاصة[٣] .

إنّ رؤية نصر حامد أبي زيد للتناص القرآني متأتية من أنّه ((نصٌّ لغوي شأنه شأن غيره من النصوص اللغوية ، لا يمكن فهمه أو تحليله ، كما لا يمكن اكتشاف قوانينه الذاتية ، إلاّ من خلال اكتشاف تلك القوانين العامة ، قوانين إنتاج النصوص في لغة محدّدة ، وفي إطار ثقافة بعينها))[٤] .

ويذهب الدكتور (صبحي الفقي) إلى التأكيد على وجود التناص بنوعيه في القرآن الكريم ، وواضح أنّه اتّكأ على ما قرّره (نصر حامد أبو زيد) مسبقاً ، إذ قال : ((والقرآن الكريم – بوصفه نصاً – يتخلّله نمطان من التناص ؛ تناص داخلي ، وذلك بين عدد من السور مع بعضها البعض ؛ فليست السور القرآنية نصوصاً هكذا مرتبة بغير نسق أو مناسبة ؛ فقد تتكرّر آية بعينها في عدد من السور ، أو جزء من آية أو قصة ، أو فكرة ،

---

(١) ينظر : النص ، السلطة ، الحقيقة : ١٠٠-١٠١ .
(٢) المرجع نفسه : ١٠١ .
(٣) ينظر : النص ، السلطة ، الحقيقة : ١٠٤-١٠٥ .
(٤) المرجع نفسه : ٩٥ .

أو فاصلة قرآنية. أمّا التناص الخارجي ، فإنّه يتّضح من خلال مناسبات النزول على سبيل المثال ، فالقرآن نزل مناقشاً لعدد من القضايا والمواقف، ومن ثمّ هناك تفاعل بين النص والواقعة المناسبة . وكذلك التفاعل بين القرآن والتوراة والإنجيل في عدد من الأفكار. بل التفاعل كذلك بين لغة القرآن ولغة العرب، فقد نزل ﴿ ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ، ومن ثمّ وجدت في أسلوب القرآن ظواهر كائنة في لغة العرب ، مثل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والاتّساع))[١] . وقال في موضع آخر : ((والمتأمّل في النص القرآني يستنتج أنّ هذا النص قد تناص مع أحداث وقصص ووقائع ؛ مثل قصص الأنبياء ، بل من صور الواقع ...))[٢] .

إنّ عدّ التناص الخارجي من قبيل التناسب بين النص والوقائع أو الأحداث سواء كانت سابقة عليه أم متزامنة معه سيوسع دائرة التناص ليكون سمة لكلّ قول ، ولاسيما أنّ لكلّ قول باعثاً من الواقع ، ثم إنّه بعيد كلّ البعد عن ماهية التناص التي تقتضي وجود نصين أو أكثر فيهما تعالق ، يكون الأول منهما نصاً ، والثاني متناصاً معه ، فالتناص تداخل بين نصيّن أو أكثر .

أشكال التناص :

يذهب (سعيد يقطين) إلى التمييز بين التناص على ثلاثة أشكال[٣] ، هي : التفاعل النصّي الذاتي ، وهو تفاعل نصوص الكاتب الواحد مع بعضها ، ويكون ذلك التناص لغوياً وأسلوبياً ونوعياً . والتفاعل النصّي الداخلي ، ويكون حينما يدخل نص الكاتب في تفاعل مع نصوص كتّاب عصره . والتفاعل النصّي الخارجي ، حينما تتفاعل نصوص الكاتب مع نصوص غيره السابقة ، التي ظهرت في عصور بعيدة .

---

(١) التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف : ٩٢ .

(٢) التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف : ١٠٩ .

(٣) ينظر : انفتاح النص الروائي : ١٠٠ .

وفي تقسيم آخر ، يذهب (محمد مفتاح) إلى أنّ التناص نوعان، داخلي وخارجي، يكون الكاتب في كليهما معيداً لإنتاج ما سبقه ، سواء أكان الإنتاج لنفسه (داخلي) ، أم لغيره (خارجي)[١] .

ويبدو أنّ حمل النص القرآني على هذه التقسيمات لأشكال التناص ، ولاسيما فيما يتعلّق بالتناص الخارجي، زيادة على القول بوقوع التناص الخارجي في النص القرآني، فيه نوع من الإجحاف إزاء النص القرآني ، ذلك أنّ النص القرآني ودعوات التوحيد السابقة كلّها تنتمي إلى ذات منتجة واحدة ، هي الذات المقدّسة ، وعلى مبدأ هذا التقسيم يتساوى الإنتاج المقدّس والإنتاج البشري، الذي يعدُّ تناصاً خارجياً فيما لو ذُكر في القرآن الكريم ، ذلك أنّ الكتب المقدّسة ودعوات التوحيد السابقة لم يبقَ نصُّها الإلهي كما هو ، فهي ((وإن كانت في أصلها منزّلة من عند الله ، إلاّ أنّ واقعها يشهد بعدم سلامتها من التحريف والتبديل والتغيير))[٢] .

وقد أثبتت الدراسات النقدية في الغرب تعدّد مصادر العهد القديم والعهد الجديد ، وبعدهما عن نص الوحي لعدم تدوينهما في عصر نزولهما[٣] . وهذه الحقيقة أكّدها الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) بقوله : ((ومن أسباب وجود الخطأ والتضاد في العهد القديم ، تعدّد الكتّاب للرواية الواحدة ، والمراجعات المنجزة لبعض الأسفار على فترات من العهد السابق على الميلاد. أمّا بالنسبة للأناجيل التي لا يستطيع أحد أن يؤكّد أنّها تحوي دوماً الرواية الأمينة لكلمة المسيح، أو خبراً عن أفعاله مطابقاً للحقيقة ، فقد رأينا أنّ الكتابات المتتابعة لنصوصها تثبت نقصان الأصالة الأكيد فيها ، فضلاً عن أنّ كتّابها ليسوا شهود عيان))[٤] .

---

(١) ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٢٤ ، وديناميةالنص : ١٠٣ .

(٢) نظرية التناص وخصوصية النص القرآني : ٢٠٣ .

(٣) ينظر : أسس الحوار في القرآن الكريم ، دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية ، هيربرت بوسه ، تر : أحمد محمود هويدي : ١٤ .

(٤) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، تر : الشيخ حسن خالد : ١٥٧-١٥٨ .

ومهما يكن، فلا يخلو القرآن الكريم من تداخلية نصّانية مع النصوص التي سبقته، لكنه تناص عقدي ولا يقدح بالنص القرآني، لأنّ القرآن الكريم ينقل عن متون الدعوات السابقة غير المحرّفة، فيكون التناص معها تصحيحاً لبعض المفاهيم المغلوطة التي شاعت في تلك الدعوات بمتونها الحالية، ونفياً للعقائد الفاسدة والمنحرفة التي تضّمنتها، وتثبيتاً للنص القرآني بتفنيد المزاعم التي حاولت النيل منه والحطّ من قدره .

وتأسيساً على هذا الفهم ، يمكن لنا أن نوائم بين التقسيمات لأشكال التناص لنخرج بتقسيم لا نقول عنه إنّه مغاير لما سبق، ولكنه مشتقٌّ منه، فيكون التناص على نوعين : تناص ذاتي ، وتناص داخلي .

أولاً : التناص الذاتي :

وهو التناص الذي يكون بين نصوص تعود لذات منتجة واحدة ، ومنها نصوص التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، فالتوراة والإنجيل مجموعتان نصيّتان كبيرتان ، تتمتّعان بحضور كثيف في الخطاب القرآني ، فسورة الكهف تشكّل مثلاً ساطعاً على ظاهرة التداخلية النصّانية ، إذ تشتمل على قصص تحيل على المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم ، وهي جميعها متداخلة في سورة واحدة لتدعم نقل الشيء نفسه وتجسّده ، وهو الرسالة الإلهية الخالدة[١] .

إنّ ((التناص بين القرآن وباقي الكتب التوحيدية ، لم يكن تجميعاً اعتباطياً من القرآن للنصوص السابقة، أو مجرّد نقل محايد لما قيل في السابق، بل هو عبارة عن فاعلية خاصة بالقرآن، يعيد بها إنتاج ما يقتبسه ويحيل إليه، ويضعه داخل سياق جديد وفضاء دلالي مختلف، ينزع عنه تاريخيته وقِدَمه الزمني، ويخلق فيه طاقة تأثير وفاعلية جديدة تخدم حدث الوحي الجديد في مسعاه لانتزاع الاعتراف وخلق حيزه الوجودي

(١) ينظر : القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون : ٤٠-٤١ .

الخاص. وهو ما يجعل من التناص عملية اقتباس وتحويل وإعادة إنتاج ومزيجاً من الوصل والفصل ، أو الاستمرار والانقطاع))[١] .

وممّا يُحمل على التناص الذاتي في النص القرآني تناص المفردات والألفاظ ، ومن ذلك لفظة (الرحمن) ، ولهذه اللفظة دلالات عند العرب في زمن نزول القرآن لا تنصرف إلى لفظة (الله) ، لذا كان المتلقّون الأوائل من مشركي قريش ينفرون منها حين يستعملها القرآن الكريم[٢] .

وقد نصّ القرآن على ذلك بقوله : ٌ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ٍ [الفرقان: ٦٠] .

وعن تفسير كلمة (الرحمن) ، قال الزمخشريّ : ((يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمّى به ؛ لأنّهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم. والسؤال عن المجهول بـ(ما). ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه لأنّه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استُعمل الرحيم والرحوم والراحم ، أو لأنّهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى))[٣] .

ويذهب الدكتور (عبد الله صولة) إلى أنّ إنكار اطلاق اسم (الرحمن) على الله هو الفرضية الأقرب للصواب ، فقد بات من شبه المؤكّد أنّ كلمة (الرحمن) عرفها العرب في جاهليتهم في جنوب الجزيرة، وهي واردة في نصوص دينية يهودية ونصرانية[٤] .

وهذه الحقيقة أكّدها الدكتور (جواد علي) بقوله : ((وقد وردت كلمة (رحمنن) ، أي (الرحمن) ، في نص يهودي كذلك وفي كتابات (ابرهة) ، ووردت في نصوص عربية جنوبية أخرى وفي نصوص عُثر عليها في أعالي الحجاز ، وقد كان أهل مكّة على علم بالرحمن ، ولا شكّ ، باتّصالهم باليمن وباليهود))[٥] .

---

(١) النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي ، وجيه قانصو : ٤٠٦ .
(٢) ينظر : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة : ٢١٣ .
(٣) الكشّاف : ٣٦٥/٤ .
(٤) ينظر : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٢١٣ .
(٥) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٣٧/٦ .

إنّ ورود (الرحمن) في النصرانية كان مرتبطاً بمعنى الأب[١] ، وقد ذكر (ابن عاشور) أنّ المشركين قد شابهوا النصارى في نسبة الولد إلى الله ، وأنّهم لا يذكرون اسم الرحمن ولا يقرّون به ، إذ أنكروه كما حكى الله عنهم[٢] .

يمكن القول : إنّ النصّ القرآني استدعى لفظة الرحمن ، التي كانت مستعملة في نصوص الدعوات السابقة ، واستدعاؤها وتوظيفها في بنية النص إنّما هو في الحقيقة نفيٌ لصبغتها التي كانت ملازمة لها ، ومنحُها دلالة جديدة مرتبطة بالتوحيد والإلوهية عن طريق تحويلها ، ((فالمتناص جيء به هنا محوّلاً عن دلالته الأولى ، بتحويله وتوظيفه توظيفاً مناقضاً ومعارضاً ، وفي ذلك إنتاج لدلالة جديدة))[٣] .

فالنصّ القرآني وظّف المفردة توظيفاً تركيبياً ودلالياً مناسباً لنصّه[٤] ، وبذلك جعلها تتنافى مع الملفوظات المقتطعة من النصوص الأخرى السابقة على حدّ تعبير كريستيفيا. فكان استعمالها القرآني اظهاراً لبعد توحيدي أعمق من البعد التوحيدي الذي كان لها في النصرانية ، حيث ترد الكلمة بمعنى الأب[٥] .

ومن التناص القرآني، التناص في الردود على مستوى القصص والأحداث ، ومنه التناص مع العهد الجديد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱ ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ﴾ [آل عمران: ٣٨-٤١] .

وفي قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ﴾

(١) ينظر : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٢١٦ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦/١٦٩-١٧٠ .
(٣) انفتاح النص الروائي : ١١٧ .
(٤) ينظر : نظرية علم النص : ٢٢٠ .
(٥) ينظر : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٢١٦ .

ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ
□ □ □ □ □ ﭼ [مريم: ٤–١١] .

وقد تناص النصّ القرآني مع نصّ الإنجيل الذي ذكر قضية طلب زكريا (عليه السلام) الذرية وتبشيره بها ، وممّا جاء فيه :

((ولم يكن لهما ولد لأنّ "أليصابات" كانت عاقراً، وقد طعنا كلاهما في السنِّ، وبينما زكريا يقوم بالخدمة الكهنوتية أمام الله في دور فرقته ، أُلقيت القرعةُ جرياً على سُنّة الكهنوت ، فأصابته ليدخلَ مقدِسَ الربّ ويحرق البخور ، وكامن جماعة الشعب كلُّها تصلّي في خارجه عند إحراق البخور . فتراءى له ملاكُ الربِّ قائماً عن يمين مذبح البخور ، فاضطرب زكريا حين رآه واستولى عليه الخوف ، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا ، فقد سُمِعَ دعاؤك ، وستلد لك امرأتك "أليصابات" ابناً فسمِّه "يوحنا" ، وستلقى فرحا وابتهاجاً ، ويفرح بمولده أُناس كثيرون . لأنّه سيكون عظيماً أمام الرب ، ولن يشرب خمراً ولا مسكراً ، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمّه ، فقال زكريا للملاك : بِمَ أعرف هذا وأنا شيخ كبير ، وامرأتي طاعنةٌ في السنِّ ؟ ، فأجابه الملاك : أنا جبريل القائم لدى الله ، أُرسِلت إليك لأُكلّمك وأُبشّرك بهذه الأمور ، وستُصاب بالخَرَسِ ، فلا تستطيعُ الكلام إلى يوم يحدثُ ذلك ، لأنّك لم تؤمن بأقوالي وهي ستتِمُّ في أوانها ، وكان الشعب ينتظر زكريا متعجّباً من إبطائه في المقدِس ، فلمّا خرج لم يستطِعِ أن يكلّمهم ، فعرفوا أنّه رأى رؤيا في المقدِس ، وكان يخاطبهم بالإشارة وبقِيَ أخرس))(١) .

ويمكن رصد مواضع التناص في الردود بين النصّين، الحاضر والغائب، بحسب الآتي :

١. الردّ على زكريا :

. ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ... ﭼ[آل عمران]

. ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ [مريم]

. فقد سُمِعَ دعاؤك ، وستلد لك امرأتك "أليصابات" ابناً فسمِّه "يوحنا" [الإنجيل]

---

(١) الكتاب المقدس أنا الألف والياء ، العهد الجديد ، إنجيل لوقا ١/٧–٢٢ : ١٨٧–١٨٨ .

٢. ردّ زكريا :

. ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ [آل عمران]
. ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ [مريم]
. بِمَ أعرف هذا وأنا شيخ كبير ، وامرأتي طاعنةٌ في السنِّ ؟ [الإنجيل]

٣. الردّ على زكريا :

. ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ [آل عمران]
. ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ [مريم]
. أنا جبريل القائم لدى الله ، أُرسِلت إليك لأُكلّمك وأُبشّرك بهذه الأمور [الإنجيل]

٤. ردّ زكريا :

. ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ [آل عمران]
. ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ [مريم]
. ..... [الإنجيل]

٥. الردّ على زكريا :

. ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ... ﯻ [آل عمران]
. ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ... □ [مريم]
. ..... [الإنجيل]

واضحٌ أنّ ثمّة تشابهاً أو تداخلاً من حيث النمط السردي ، وبناء الحدث ، والحوار بين نصوص القصتين ، مع اختلاف في أسلوب العرض ، وفي سرد بعض التفاصيل ، إذ لم يرد في النصيين القرآنيين ذكر لاسم زوجة زكريا (عليه السلام) ، ولا الألفاظ المتّصلة بالطقوس العبادية من مثل الكهنوت ، مقدس الرب ، مذبح البخور.

وقد مثّلت القصة القرآنية نصّاً حاضراً ، والقصة الكتابية نصاً غائباً ، واستدعت بنية النص القرآني النص الغائب ، وتفاعلت معه حتّى صار جزءاً منها . لكنّ هذا الاستدعاء

لم يكن اقتباساً أو تكراراً مباشراً بين النصين ، بل نجد أنّ النص القرآني عندما وظّف النص السابق قد عمد إلى تفكيك النص الغائب وإعادة بنائه وتوزيعه في سياق تركيبي جديد ، وذلك عن طريق إخضاعه لمجموعة عمليات مثل : التمظهر والتحويل وإعادة الإنتاج[1] ، ((من دون إلغاء أو إمحاء كامل لأوجه التماثل والتشابه في إيقاع القصة القرآنية الجديدة والقصة السابقة ، سواء كان ذلك في الإيقاع ، أو النمط السردي ، أو الشخصيات الموجودة فيها والأحداث التي تدور حولها))[2] ، فمنحه بذلك حلّة جديدة وأضفى عليه دلالة لم تكن ظاهرة أو لم يكن من الممكن رؤيتها لولا التناص[3] .

إنّ قارئ قصّة زكريا (عليه السلام) في الإنجيل ، لا يمكن له – على الرغم من طابع القصّة فيها – أن ينكرها ؛ إذ أكّدها القرآن الكريم غير مرّة ، على أنّ تأكيد القرآن لها ولبعض الحوادث في الدعوات السابقة لا يعني بالضرورة دقّتها وأصالتها ، بقدر ما يؤكّد جملة مما اشتملت عليه هذه الدعوات من أحداث .

ومن القصص القرآني قصّة تبشير مريم بعيسى (عليهما السلام) ، وذلك في قولهِ تعالى :ﱡ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي □
□ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ
ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﱠ [آل عمران: ٤٥–٤٧] ، وقولهِ تعالى : ﱡ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ
ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ
ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ
ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﱠ [مريم : ١٧–٢١].

وهذه القصة من القصص الواردة في نصّ العهد الجديد ، وممّا جاء فيه :

((وفي الشهر السادس ، أرسل الله الملاك جبرائيل إلى مدينةٍ في الجليل اسمها الناصرة ، إلى عذراءَ مخطوبةٍ لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم . فدخل إليها فقال : افرحي أيّتُها الممتلئةُ نعمةً ، الربُّ معك . فداخلها لهذا الكلام اضطرابٌ شديد ، وسألت نفسها ما معنى هذا السلام؟ فقال لها الملاك : لا تخافي يا

(١) ينظر : نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٩ .

(٢) النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي : ٤١٢ .

(٣) ينظر : في نظرية الأدب : ٢٠١ .

مريم، فقد نلت حُظوة عند الله، فستحملين وتلدين ابناً فسمّيهِ يسوع ، سيكون عظيماً ، وابنَ العليِّ يُدعى ، ويولّيه الربُّ الإلهُ عرشَ داود ، ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر، ولن يكون لملكهِ نهاية. فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً ؟ فأجابها الملاك : إنّ الروح القدس سينزل عليك ، وقدرةَ العليِّ تُظلِّلُك ، لذلك يكون المولود قدّوساً وابنَ الله يُدعى . وها إنّ نسيبتَك أليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك التي كانت تُدعى عاقراً ، فما من شيء يُعجزُ الله . فقالت مريم : أنا أمةُ الربّ ، فليكن لي بحسب قولكَ . وانصرف الملاك من عندها))[١] .

وعلى مستوى النصين لا نعدم تماثلاً وتعالقاً لكن بدرجات متفاوتة ، يحيلنا هذا التماثل أو التعالق إلى تمظهر التناص بين النصّين ، وقد تمّ هذا التماثل على مستوى الحدث، فالحدث بين النصين الحاضر والغائب واحد ، وهو تبشير مريم بعيسى (عليهما السلام)، وعلى مستوى الحوار الذي دار بين مريم والملائكة ، وعلى مستوى الموقف ، أي موقف مريم عليها السلام من هذا التبشير ، الذي قابلته في النص الحاضر بقولها :

(پ پ پ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ) ، (ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ) . وفي النص الغائب : **(كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً ؟)** .

ويبدو أنّ النصّ القرآني قد تعالق مع النص السابق ، إذ ركّز على مفردات سابقة في النص نظراً لموقعيتها ، واستدعى منه العناصر الرئيسة التي شكّلت بؤرة الحدث ، ممّا يعتدّ به كمجال فعلي للتناص ، ورفض ما سواها ، ففي النص السابق نجد أنّ ثمّة تفصيلاتٍ لم ترد في بنية النص القرآني ، منها : اسم المَلك ، ومكان إرساله ، وخطبة مريم من يوسف بن داود ، وأنّ الوليد سيُدعى ابن العليّ وابن الله ، وذكر نسيبتها ، وتسليم مريم بأنّها ستُدعى أمة الرب . فكان النص الحاضر نفياً جزئياً لما في النص المرجعي بحسب تعبير كريستيفيا[٢] .

---

(١) الكتاب المقدّس أنا الألف والياء ، العهد الجديد ، إنجيل لوقا ١/٢٦-٣٨ : ١٨٨-١٩٠ .

(٢) ينظر : علم النص : ٧٩ .

إنّ هذا التعالقّ بين النصّين يؤدّي لا شك ، إلى علاقة اتّصال وانفصال ، وهدم وبناء في الوقت نفسه ، وامتصاص وتحويل[١] . إذ تمّ الاتّصال والبناء على المستوى الذي شكّل مجالاً للتفاعل بين النصين ، وفيما عدا ذلك انفصل النص الحاضر عن السابق ، فكان هدماً لكلّ ما يشكّل خللاً في منظومة العقيدة الإسلامية .

ولعلّ ما يؤيّد هذا ما ذكره (ابن عاشور) في الموضوعات التي تعالجها سورة (آل عمران) ، إذ قال : ((واشتملت هذه السورة من الأغراض :على الابتداء بالتنويه بالقرآن ، ... ، والتنويه بالتوراة والإنجيل ، والإيماء إلى أنّهما أنزلا قبل القرآن ، تمهيداً لهذا الدين فلا يحقّ للناس أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلاهية الله تعالى، وانفراده ، وإبطال ضلالة الذين اتّخذوا آلهة من دون الله ، مَن جعلوا له شركاء ، أو اتّخذوا له أبناء ، ... وإبطال إلاهية عيسى))[٢] . وفي موضوعات سورة مريم في أنّها ((نزلت للردّ على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها))[٣] .

وهكذا نجد على مستوى فضاء النص الحاضر أنّ ثمّة ملفوظات قد تقاطعت أو تنافت مع النص السابق ، فعملت بذلك على إحلال مفاهيم ، وإزاحة غيرها من المفاهيم التي كانت تشكّل عقيدة راسخة قد انطوى عليها النص الغائب .

وممّا تقدّم يمكن القول: إنّ مثل هذه الاستدعاءات تدل على أنّ نصّ القرآن الكريم ينتمي إلى فضاء نصّي يشمل نصوص الدعوات السابقة، ويحرص على الإحالة عليها ، ما يدلّ على ضرورة استحضار النصوص الدينية التي كانت حاضرة ومتداولة زمن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ولاسيما نصوص التوراة والإنجيل ، لتشكّل مدخلاً للتعرّف إلى عملية تشكيل النص القرآني نفسه ، والأثر الذي تركته على مضامينه ورؤاه[٤] .

ثانياً : التناص الداخلي :

---

(١) ينظر : نظرية علم النص : ١٩٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٤٤/٣-١٤٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٨/١٦ .

(٤) ينظر : النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي : ٤٠٥-٤٠٦ .

والتناص الداخلي هو تداخل نصوص الكاتب فيما بينها ضمن الأثر الواحد ، وهذا النوع من التناص قد يقع داخل بنية نصية واحدة ، وقد يتجاوزها فيجمع بين أكثر من نص .

والنص القرآني يشتمل على ظاهرة التناص الداخلي ، أي التعالق النصّي بين نصوص القرآن نفسه ، فكثيراً ما يستدعي النص القرآني نصّاً ما أو آية من نصّ ، أو يستدعي نصوصاً واقعة ضمن إطار السورة الواحدة ، أو ضمن إطار سورة أخرى .

إنّ التناص القرآني سمة أساس في النص القرآني، فـ((هو تعبيرٌ حديث عن قول قديم جليل يتجلّى في أنّ القرآن الكريم يُفسّر بعضه بعضاً ، وتوضيحه أنّ ما أُجمل في مكان فإنّه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فإنّه قد بُسط في موضع آخر؛ لأنّ القرآن كتاب متشابه المعاني والأهداف))[١] .

وهذا الأمر يؤكّده الدكتور (تمّام حسّان) بقوله : ((التناص : وهو علاقة تقوم بين أجزاء النص، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب ، وعلاقة التلخيص بالنص الملخّص، وعلاقة المسودّة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضّحه، وعلاقة المحتمل بما يحدّد معناه. وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصود بعبارة القرآن يفسّر بعضه بعضاً))[٢] . ويقول في موضع آخر : ((نؤكّد ثقتنا في أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً ، وأنّ ما كشف عنه البحث اللغوي الحديث من مفهوم التناص يؤيّد صدق تفسير القرآن بالقرآن))[٣] .

فالنظرة إلى التناص القرآني الداخلي ممتدّة من ((أنّ القرآن ليس كتاباً مبوباً ومفصلاً ... بل إنّ الغالب على موضوعاته جميعها التداخلُ بحيث يشرح بعضه بعضاً، ويؤكّد

(١) العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، د. أحمد عزّت يونس : ١٥٥ .
(٢) في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢١٨ .
(٣) اجتهادات لغوية : ٣١٦ .

بعضه بعضاً. ومن أبرز آليات هذا التداخل ... التفصيل والإجمال، العموم والخصوص ، والمحكم والمتشابه ، أو الناسخ والمنسوخ))[١] .

وهذا النوع من التناص يرى فيه (أحمد عفيفي) أنّه هو الذي يخدم نحو النص؛ لكونه يحمل خصوصية التطبيق ، فبدلاً من أن تكون هذه المفاهيم المطروحة بين نص حاضر ونصوص غائبة ، فإنّ التناص المقصود هنا ينصبّ على النص الواحد من دون نصوص أخرى[٢] . وبذلك يكون التناص بحسب هذا الفهم ((وسيلة ربط بين أجزاء النص الواحد وبياناً للمعاني المتعالقة))[٣] .

ويبدو أنّ النظرة إلى التناص على أنّه معالجةٌ للعلاقات التي تقوم بين أجزاء النص الواحد ، وقصرُه على بيان معانيها ، تنأى به عن وظيفته التي أوكلت إليه في دراسة النص وهي التداخل في النصوص ، أو ارتباط بعضها ببعض . فالعلاقات بين النصوص من مثل الإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والمحكم والمتشابه ، والسؤال الجواب ، وغير ذلك ، هي شرطٌ من شروط الانسجام ، ومبدأٌ من مبادئه وعملياته ، وإدخالها تحت معيار التناص سيؤدي حتماً إلى التداخل أو الخلط بينه وبين معيار الانسجام ، وبذلك تكون دراسة هذه العلاقات أقرب إلى معيار الانسجام منه إلى التناص .

فالتناص الداخلي ((ارتباط الأجزاء المختلفة للنص بعضها بالبعض الآخر))[٤]. ويتمّ عن طريق التكرار ، أي تكرار عنصر ما كما هو أو باختلاف بسيط ، أو عن طريق التوالد ، أو الدوال المولّدة ، أي أن يظهر دالٌّ في موضع ما من النص ، ويتولّد عنه مجموعة من الدوال الأخرى تتناثر في النصوص[٥] .

ومن التناص الداخلي في القرآن الحوار الذي دار بين الله (ﷻ) ، وإبليس ، وما يشتمل عليه من خطاب الردّ في قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ

(١) العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم : ١٥٥ .
(٢) ينظر : نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٨٣ .
(٣) المرجع نفسه : ٨٤ .
(٤) حول بويطيقا العمل المفتوح ، سيزا قاسم ، (مجلة فصول ، مج ٤ ، ع ٢ ، ١٩٨٤) : ٢٣٧ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه : ٢٣٧ .

ٹ   ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ   ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ
ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ   ڎ ڈ ڈ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک
ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ہ ۓ ۓ ھ
[الحجر: ٣٢-٤٣] .

إنّ هذا الحوار واقع ضمن إطار سورة الحِجر ، ولهذه السورة مجموعة مقاصد ، منها إنذار المشركين بالندم والهلاك ، وتوبيخهم ، وقصة كفر الشيطان ، وغير ذلك(١) ، ومنها معالجتها موضوع العقيدة ، عن طريق التصدّي للمنحرفين المعادين لرسالة الإسلام ومواجهتهم(٢) .

إنّ موضوع هذا الحوار عند بنائه استدعى نصّاً يعالج الموضوع نفسه ، وهذا النص جزئية واقعة ضمن إطار سورة أخرى ، هي سورة الأعراف ، فتتناصّ معه ، وهذا النص هو قوله تعالى : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ﴾ [الأعراف: ١٢-١٨] .

والاستدعاء حاصل مع تغيير في الألفاظ من دون تغيير في المعنى ، وهو متجاوز لبنية نطاق السورة الواحدة إلى غيرها من السور ، وفي هذا دليل على أنّ النص القرآني الكريم يشكّل بنية كلّية واحدة .

ولا شكّ من بعد هذا أنّ موضوع الحوار في (الحجر) مرتبط بموضوع الحوار الذي في (الأعراف) ارتباطاً وثيقاً، وما يؤكّد هذا أنّ جوّ سورة الحجر يذكّر بجو سورة الأعراف، فابتداؤها كان بالإنذار ، وكلّ سياقها جاء مصداقاً للإنذار ، فهنا كذلك في سورة الحجر ، يتشابه البدء والسياق(٣) .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٧/١٤ .
(٢) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٤٣٧/٢ .
(٣) ينظر : في ظلال القرآن : ٢١٢٣/١٤ .

والذي يلاحظ أنّ نص (الحجر) بحسب قوانين التناص[١]، قد عمل على امتصاص نص (الأعراف) لأهمّيته كاستمرار متجدّد ، لكنّه امتصاص تحويلي يعمل على دمج النص السابق في النص المتشكّل[٢] ، وأنّ ترابطه مع النص الأصل كان متوازياً ، ممّا يعني أنّ العلاقة التفاعلية أو التناصية بين النصّين هي علاقة مقارنة بين ذات نصية مكتملة ، وذات نصية أخرى في اكتمالها أيضاً[٣] ، وهذا التوازي يتمثّل بـ :

نص الأعراف :

- ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ
- ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ
- ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ
- ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ .. ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ
- ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ .. ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ

نص الحِجر :

- ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ
- ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ
- ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ
- ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ .. ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ
- ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ .. ﮁ ﮂ ﮃ

حيث ظلّ المعنى المنطقي للنصيين هو هو، أي نفسه[٤] ، ومما يعين على هذا التوازي أنّه تناص مع المكوّنات الرئيسة المؤسسة لهوية نصّ مركزي يحمل دلالة الموضوع نفسه ، وبذلك اكتسب النصّ تمظهره ومقروئيته من خلال النص السابق الذي يتفاعل معه في الفضاء نفسه[٥] . كما أنّه بتناصّه مع النص السابق لم ينفِه نفياً كلياً أو جزئياً ، بل اندمج معه كلّ الاندماج ، ممّا أسهم في استمراره .

---

(١) ينظر : النص الغائب : ٥٥ .

(٢) ينظر : في نظرية الأدب : ٢٠١ .

(٣) ينظر : لسانيات الاختلاف ، د. محمّد فكري الجزّار: ٤٥٥ .

(٤) ينظر : علم النص : ٧٩ .

(٥) ينظر : نظرية النص ، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٨ .

وممّا يمكن ملاحظته أيضاً ، أنّ في النصّ الأصل مجموعة دوال تولّدت عنها دوال أخرى في النص المتناص ، من ذلك مثلاً دوال (الطين) ، و(لأقعدن لهم صراطك المستقيم) في الأعراف ، تولّد عنها في الحجر دوال (صلصال من حمأ مسنون) ، و(لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) .

إنّ تولّد النص عن نص آخر ، أو التداخل النصّي بين النصين لا يعني تحاشي النص المتناص أو نفيه ، إذ هو ليس مجرّد تجميع أو استدعاء من النص السابق عليه ، وإنّما له أثره وتأثيره في توجّهات القراءة ، ما يعني أنّه إفراز في تعدّد القراءات ما يتجاوز القراءة الواحدة[١] .

ومن التناص الداخلي في الخطاب القرآني التناص القصصي ، وهذا التناص يعمل على تحقيق الترابط النصي بين الوحدات النصية[٢] . ومن التناصّ بالردود في القصة ما جاء في قصة نوح (عليه السلام) ، في قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ۇ ۇ ۆ ۆ ﴾ [الأعراف : ٥٩-٦٤] .

وفي قولهِ تعالى : ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١١٨] .

وفي قوله تعالى : ﴿ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾

(١) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج : ٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) ينظر : العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم : ٢٧٩ .

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ [هود: ٢٥-٣٤] .

وقولهِ تعالى : ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ [المؤمنون: ٢٣-٢٦]

إنّ في القرآن الكريم أموراً كلّية وأحداثاً مهمة رئيسة ، لا يجوز أن تخلو منها أي سورة من السور ، فإذا ذُكرت القصة في سور كثيرة ، فإنّ الأحداث تتوزّع عليها ، بحيث قد تجد حدثاً في سورة لا تجده في غيرها ، إذ يُذكر في كلّ سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها[١] . و((كلّ قصة ترد في السورة لا بد أن ترتبط فكرياً ومعنوياً بموضوعات السورة سواء أكان هذا الموضوع مطروحاً بشكل رئيس أو بشكل ثانوي ، ويترتّب على ذلك أن تكون القصص مصوغة في كلّ سورة بنحو خاص يختلف عن صياغتها في السورة الأخرى))[٢] .

إنّ تناثر أحداث القصة في أكثر من سورة دليل على ارتباط النصوص بعضها ببعض ، ولا شكّ في أنّ هذه النصوص تحمل مفاهيم مركزية تستدعي ما يتعالق بها ويتفاعل معها كلّما دعت الحاجة إلى ذكرها ، وبناء على ذلك فإنّ ذكر قصة نوح في سورة ما يستدعي كلّ ما له شأن بهذه القصة وأحداثها في السور الأخرى ، ولاسيما إذا كانت القصة واقعة في إطار سورة تعالج موضوعاً هو الموضوع نفسه في تلك السور. وهذا هو مبدأ التناص الداخلي ، ارتباط الأجزاء بعضها ببعض .

فقصة نوح (عليه السلام) في نصوص (الشعراء ، هود ، المؤمنون) تناصّت وتعالقت مع القصة ذاتها في نص سورة (الأعراف) ، الذي مثّل حضوراً فعلياً ومكثّفاً فيها ، فكانت

---

(١) ينظر : قصص القرآن الكريم ، د. فضل حسن عباس : ٨١ .

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٢٩١/٢ .

بذلك استيعاباً له ، وتحاوراً معه ؛ إذ تمثّلت ببنياته النصية وتفاعلت معها ، حتّى اصبحت كلماتها تنتمي إليه . وصارت بذلك نصوصاً تتعايش بطريقة ما مع النص السابق وتتجذّر منه[١] ، ولها علاقات به كنصّ محدّد يُعدّ بمثابة مخطّط لها[٢] . وهو تناص متوازٍ استدعى النص الأصل مع المحافظة على معناه المنطقي، فضلاً عن بنياته الشكلية ؛ إذ لا مضمون خارج الشكل[٣] . فهو تناص أسلوبي أحال على تشكيل موازٍ له في نص آخر ولازم بنيته الدلالية[٤] .

إنّ النصوص جميعها منتظمة على بؤر من الدلالة تنطلق كلّها من النص الأول (الأعراف) وتؤكّد انتماءها إليه ، وهذا يعني توالد هذه النصوص عن النص الأوّل ، وانبثاقها عنه ، والدخول معه في علاقة . لذا نجد أنّ كلّ ما عالجته هذه النصوص من موضوعات وانبنت عليه ، هو في الحقيقة ماثل في النص الأول ، وصادر عنه ، من ذلك موضوع الردود على النبيّ نوح (عليه السلام) في النص الأوّل ، وقضية تكذيبه من قبل قومه ووصفه بالضلالة ، وموضوع النصح والتبليغ والإنذار ، والتذكير بالآخرة ، كلّ ذلك انسحب على النصوص الأخرى (الشعراء ، هود ، المؤمنون) .

فكلّ ما عالجته هذه النصوص من مفاهيم استدعى الرجوع إلى النص الأول وتوظيفه فيها ، فكأنّه كان بذلك بنية عليا ، أو نصاً مركزياً يجتاز القصة من بدايتها إلى نهايتها ، ويجعل أجزاءها مترابطة فيما بينها ، ومن ثم يجعل منها نصوصاً متداخلة مدمجة ، ومتّصلة لا منفصلة ، تتفاعل فيما بينها ، وتتحرّك ضمن إطار الموضوع العام أو الكلّي الذي يجمع فيما بينها .

إنّ النظر في ردود القوم على النبيّ نوح (عليه السلام) بحسب نزول السور يكشف عن امتصاص النص اللاحق للنص السابق والزيادة عليه ، فالنص في سورتي (الأعراف ، والشعراء) كان قد تولّد عنه ما في (هود ، والمؤمنون) ، وقد تمّ التوالد على النحو الآتي :

---

(١) ينظر : التناصية ، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره ، (مارك أنجينو) : ٧٨ .
(٢) ينظر : التناصية ، (ليون سمفيل) : ١٢٤-١٢٥ .
(٣) ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٣٠ .
(٤) ينظر : لسانيات الاختلاف : ٤٧٢-٤٧٣ .

هود :

١. إنّك بشر مثلنا
٢. اتّبعك الأراذل منا
٣. ما لكم علينا من فضل
٤. التكذيب

المؤمنون :

وفيها يتحوّل الخطاب من نوح إلى قومه ، أي أنّ قومه في ردهّم يلتفتون إلى بعضهم لا إلى نوح نفسه ، فتتكرّر الحجج ذاتها في (هود) مع زيادة عليها :

١. هذا بشر مثلكم
٢. يريد أن يتفضّل عليكم
٣. لو شاء الله لأنزل ملائكة
٤. التكذيب بعدم السماع عن آبائهم الأولين
٥. اتّهامه بالجنون
٦. التربّص به

وبذلك أصبحت هذه النصوص وقائع تناصية تحيل على النص أو المعطى الآخر؛ إذ هي بمثابة استحضار ، أو احتياز له أو لأجزاء منه ، كونها انطلقت من معناه ومن عبارته ، ثمّ نسجت على منواله[١] .

وممّا تقدّم يتّضح جلياً ، أنّ التناص ظاهرة لغوية ، وهو من خصيصة اللغة ، إذ يعمل على بناء النصوص من خلال تفاعلها شكلياً ودلالياً مع النصوص التي تتناص معها وتستوعبها ، كما يعمل على ربط أجزاء النص الواحد بعضها ببعض ، أو ربط أكثر من نص، فيمنحها بذلك سمة الانفتاح على بعضها، معلناً رفضه لأي إغلاق للنصوص ،

(١) ينظر : التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره : ١٣٩ .

وهذا ممّا لا شكّ فيه يحقق ديمومتها ، كما يكشف عن الدلالة الكامنة فيها عبر معرفة مرجعياتها ، ومن ثمّ معرفة أصولها المكوّنة لها .

والتناص وسيلة تُسهم في تمكين المنتج من التعامل مع النصوص السابقة ، وتبيّن قدرته على تمثيلها واستيعابها في خلق نص جديد ، ووسيلة تعين القارئ على قراءة النصوص وتحليلها ، من خلال فكّ شفراتها ، وبيان مرجعياتها .

كلّ هذا وغيره ، يجعل من التناص معياراً مهماً من المعايير التي تعمل مجتمعة على إيجاد صفة النصية في النصوص الإبداعية ، وبيان كفاءتها .

الخاتمة

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى اختبار مفاهيم النصية وتطبيق معاييرها لسانياً على نصوص قرآنية تسير على نمط التخاطب ، مثل : المحادثات ، والحوار ، وغير ذلك . وهي الآن تقدّم جملة من النتائج على القدْر الذي توصّلت إليه ، وهذه النتائج هي :

- مثّل الردّ بنية نصية ووحدة دلالية مترابطة تحتمل مقاييس النصية ومفاهيمها ، وقابلة لتطبيق معاييرها جميعاً، فالردُّ نص انطلاقاً من الرأي القائل إنّ النص قد يكون جملة ، أو كلمة ، أو أقلَّ من ذلك ؛ إذ قد تمثّل العلامة والرمز نصاً .
- إنّ مصطلح النص لسانياً تتنازعه تيارات ومفاهيم تنطلق من رؤى خاصة بها، ولا يستقيم النص اصطلاحاً بمفاهيم تيار منها بمعزل عن غيرها ، فالنص هو نتاج تشكّل ثلاثي : لغوي ، ودلالي ، وتداولي (تواصلي) ، ولا يمكن بشكل أو بآخر إغفال واحد منها .
- تبيّن أنّ المعايير كلّها تنطلق من اللغة ، فاللغة هي السبيل الوحيد لإظهارها ، والحاكم الفعلي المسيطر لا على معياري النص (الاتّساق والانسجام) فحسب ، بل على معايير القصدية والمقبولية والتناص ، فلا قصدية ولا مقبولية ولا تناص من دون اللغة ؛ ولعلّ من مصاديق ذلك أنّ ما ورد من تحليل لأي معيار لا يخرج عن اللغة، التي كان من الأولى أن يختصَّ بها معيار الاتّساق .
- ومعيار الاتّساق وإن كان مختصاً بالبنى السطحية والشكلية في وسائله النحوية والمعجمية التي تبني النص، إلاّ أنّه في ذلك كلّه لم يخلُ من الدلالة ، فالاتساق معيار يتحرّك في ظلال الدلالة التي تسهم في ربط أجزاء النص بفكرة إنتاجه ومعناه.
- إنّ ثمّة تداخلاً في بعض وسائل الاتّساق النصّي ، من ذلك ما يمكن أن يوجد في الإحالة والتكرار بمعناهما العام ، فالتكرار ما هو إلاّ إحالة باسم صريح ، وهي تكرار بالضمير ، وكلاهما يعود على مرجع يحدّدهما ؛ ولعلّ بروز مصطلح الإحالة التكرارية يؤكّد هذا التّداخل .

- التوافق بين الوقائع المطروحة في النص والعالم الخارجي شرط للحكم على انسجام النص ، ومن ثمّ لا قيمة أو لا أثر للقارئ في إسناد الانسجام إلى النص ، فيما لو كانت الوقائع على خلاف ذلك ؛ إذ لا يتم للنص الانسجام إلاّ بها .
- أظهرت الدراسة أنّ كلاًّ من الموضوع والبنية الكبرى ، ما هما إلاّ تمثيلان دلاليان لقضايا النص ، يتعلّقان في تحديد ما هو أكثر جوهرية فيه من جهة الدلالة ، ما يعني أنّهما أداة عملية لمقاربة بنية أكثر تجريداً هي البنية الكلية .
- تبيّن أنّ ثمّة توافقاً في القواعد التي أسسها (فان دايك) مع ضوابط استناد المفسّرينِ إلى الوصول للبنية الكبرى للنص ، ومدى ملاءمتها لإظهار البنى الكلية للنص ، ما يعني ذلك انفتاحهم على النص في قراءتهم للقرآن الكريم .
- القصدية التي تحقّق تفاعلاً ، أو التي ينعقد عليها فعل التواصل ، هي القصدية اللغوية المشتقة لا القصدية الباطنية ؛ لكونها هي التي تتحكّم بالسلوك اللغوي وتحديد أشكاله وخلق معانيه ، ومن ثمّ تكشف عن وظيفة اللغة المتمثّلة في التواصل والإفهام والإقناع والتأثير .
- لا تقع عملية إفهام القصد على المنتج من دون المتلقي ؛ لأنّ هذا يُعد قتلاً لعملية التواصل ، بل ينهض بها الطرفان بوصفهما فاعلين فيها ، ما يعني أنّ القصدية لا تقتصر على المتكلّم ، وإنّما تشمل المخاطَب أيضاً بناءً على ما يظهره من استعداد.
- رفض فحوى الخطاب وعدم قبوله ، ولاسيما في النصوص التي تمّت فيها الدعوة إلى وحدانية الله (ﷻ) ، لا يعني عدم فهم القصد من النص ، أو أنّ النص لا يحظى بالمقبولية ، ولا يعني أنّ أواصر التواصل قد تقطّعت بين عناصر التخاطب ، بل ما حدث أن تحقّقت وظيفة الاستثارة للنص وفشلت وظيفة الإقناع .
- ظهر أنّ المقبولية ليست معياراً نصياً قائماً بذاته بقدر ما هو محصلة إعمال معايير أخرى مثل الاتّساق والانسجام ، تعمل هذه المعايير على إمداد المتلقّي على قبول موقف دلالي ما واستبعاد غيره ممّا هو مرتبط بالنص ، يُضاف إليهما السياق الذي يكون شريكاً لهما في الحكم على قبول نص ما من عدمه .

- لم يستقل علم لغة النص في رؤيته للتناص عمّا قرّ من المفاهيم التي سبقته ، التي أنتجت تصوّراتها حول التناص ، ولا يُستبعد تأثيرها فيه . ولعلّ هذا التأثير هو ما دفع بعض الباحثين إلى أن يعدّوه منشأً للنصية ، وأن يتّجهوا إلى دراسة التناص بدلاً من النص . ولعلّ من دواعي هذا التأثير أيضاً أن عدَّ التناص معياراً نفسياً مرتبطاً بمشاركي التواصل ، أي المنتج والمتلقّي ، والمعارف التي يملكونها، أقرب واقعاً من عدّه مرتبطاً بسياق النص المادي والثقافي ، يؤيّد هذا أنّ التصوّر التناصّي للنص يُحدّد من جهة المؤلّف تارة ، ومن جهة القارئ تارة أخرى .

- في التناص الذاتي بين النص القرآني ونصوص دعوات التوحيد السابقة تصحيحاً لبعض المفاهيم المغلوطة التي شاعت في متون تلك الدعوات المحرّفة ، ونفياً للعقائد الفاسدة والمنحرفة التي تضّمنتها ، وتثبيتاً للنص القرآني بتفنيد المزاعم التي حاولت النيل منه والحطّ من قدره . أمّا القول بالتناص الداخلي على أنّه معالجٌ لعلاقات تقوم بين أجزاء النص ، وقصرُه على بيان معناها أو تفسيرها ، تبعده عن وظيفته التي أنيطت به وهي التداخل في النصوص أو تعالقها ، وأنّ دراسة هذه العلاقات أقرب إلى معيار الانسجام من معيار التناص .

المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم ❁

أولاً : الكتب المطبوعة :

- آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، مجموعة من المؤلفين ، تر : محمد خير البقاعي ، ط١ ، جداول للنشر والتوزيع والترجمة ، لبنان ، ٢٠١٣م .
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. محمود أحمد نحلة ، (د.ط) ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٢م .
- اجتهادات لغوية ، د. تمام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م.
- الإحالة في نحو النص ، أحمد عفيفي ، ط١ ، كتب عربية ، ٢٠٠٧م .
- الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١ م.
- أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) ، (د.ط) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط١ ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان ، ٢٠٠٤م .
- استقبال النص عند العرب ، د. محمّد المبارك ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ١٩٩٩م.
- أسس الحوار في القرآن الكريم ، دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية ، هيربرت بوسه ، تر : أحمد محمود هويدي ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د. عبد الحليم حفني ، ط٣ ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .
- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي ، ط١ ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ٢٠٠٢م .
- إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ، د. سعيد حسن بحيري ، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص ، د. محمّد الشاوش ، ط١ ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ٢٠٠١م .
- أطياف الوجه الواحد، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، د. نعيم اليافي ، ط١ ، منشورات اتّحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د.ت) .

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ، د. عائشة عبد الرحمن ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، ٢٠٠٤م .
- إعراب القرآن، محمّد جعفر الكرباسيّ ، ط١ ، منشورات دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠١م .
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، د. فاضل الساقي ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- انفتاح النص الروائي (النص والسياق) ، د. سعيد يقطين ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠١م .
- أهداف كلّ سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د. عبد الله شحاته ، ط١ ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .
- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية) ، د. مختار عطية ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ت) .
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمدّ بن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) ، تح : أحمد عبد الله القرشي ، ط١ ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، د. جميل عبد المجيد ، ط١ ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشيّ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل ، عالم المعرفة ، العدد/١٦٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٢م .
- البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، ط١، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٤م .
- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م .
- بناء لغة الشعر ، جون كوين ، تر : د. أحمد درويش ، ط١ ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٠م .
- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمّام حسّان، ط١، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
- تأويل الجملة القرآنية الواحدة، د. نوار محمد إسماعيل ، ط١ ، دار الحرية ، ٢٠١٠م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : ج (٨) ، ط٢ ، تح : د. عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٩٤م . ج (١٨) ، ط١ ، تح : عبد الكريم العزباويّ ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٧٩م .

- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ) ، تح : أحمد حبيب قصير العامليّ ، (د.ط) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- تحليل الخطاب ، ج. ب. براون ، ج. يول ، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي ، (د.ط) ، مطبعة جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٩٧م .
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمّد مفتاح ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م .
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسويّ في القرآن الكريم) ، د. محمود عكاشة ، ط١ ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ٢٠١٣م .
- التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر ، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، ط١ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- تحليل النص (دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي)، د. محمود عكاشة ، ط١ ، مكتبة الرشد ناشرون ، ٢٠١٤م .
- الترجمة وعلوم النص ، ألبرت نيوبرت ، غريغوري شريف ، تر : د. محيي الدين حميدي ، ط٢ ، مطبعة جامعة الملك سعود ، ٢٠٠٨م .
- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ط١٦ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج ، نهلة فيصل الأحمد ، ط١ ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، لقاضي القضاة أبي السعود محمّد بن محمّد العماديّ ، (ت٩٨٢هـ) ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
- تفسير البحر المحيط ، أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د. محمود البستاني ، ط١ ، مؤسسة الاستانة الرضوية المقدّسة ، ١٤٢٢هـ .
- تفسير التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
- تفسير غريب القرآن ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تح : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨م .

- تفسير من وحي القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، ط٢ ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- التناص في شعر الرواد ، أحمد ناهم ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٤م .
- تناصيّة الأنساق في الشعر العربي الحديث، د. محمود جودات ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠١١م .
- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، (موريس بوكاي)، تر : الشيخ حسن خالد ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٠م .
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمانيّ والخطّابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ ، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق وتعليق ، محمّد خلف الله أحمد، د. محمّد زغلول سلاّم ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦م .
- جمالية الخطاب في النص القرآني (قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين)، د. لطفي فكري محمد الجودي ، ط١ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م .
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المراديّ، تح : د. فخر الدين قباوة ، د. محمّد نديم فاضل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة ، ط٢ ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٧م .
- الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، محمد نور الدين أفاية ، ط٢ ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ١٩٩٨م .
- الحذف والتقدير في النحو العربي ، د. علي أبو المكارم ، ط١، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- الحوار في القرآن الكريم، قواعده – أساليبه – معطياته، السيد محمد حسين فضل الله ، ط٥ ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- الخروج من التيه دراسة في سلطة النص ، د. عبد العزيز حمودة . عالم المعرفة ، العدد/ ٢٩٨ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٣م .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ)، تح : محمد علي النجّار، (د.ط) ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢م .
- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم (ع)، الشحات محمد ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٩٩١م .

- الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته (دراسة تحليلية)، د. حسين العمريّ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، د. خلود العموش ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠٠٨م .
- الخلاصة النحوية ، د. تمّام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ) ، تح : د. أحمد محمّد الخرّاط ، (د.ط) ، دار القلم ، دمشق ، (د.ت) .
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- الدّرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- الدّلالة والنحو ، صلاح الدين حسنين ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د.ت) .
- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة وتعليق: د. كمال محمد بشر ، ط١ ، مكتبة الشباب ، مصر ، ١٩٧٥م .
- دينامية النص، تنظير وإنجاز ، د. محمّد مفتاح، (د.ط) ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٨٧م .
- السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، محمد سالم أبو عرفة ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- السياق وتوجيه دلالة النص، د. عيد بلبع ، ط١، بلنسية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨م .
- سيمياء العنوان ، د. بسّام قطّوس ، ط١ ، وزارة الثقافة، عمّان ، الأردن، ٢٠٠١م .
- شرح التسهيل ، ابن مالك الأندلسيّ (ت٦٧٢هـ) ، تح : د. عبد الرحمن السيد ، د. محمد بدوي المختون ، ط١ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ١٩٩٠ م .
- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، ط٢ ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ١٩٩٦م .
- شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) ، تح : أحمد حسن مهدلي ، علي سيد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٨ م .
- شرح المفصّل ، موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ) ، ط١ ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، (د.ت).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور العطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ .

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، ط١ ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨م .
- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، د. أحمد عزّت يونس ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠١٤م .
- العلاماتية وعلم النص ، إعداد وترجمة : د. منذر عياشي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٤م .
- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، ط٥ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
- علم الدلالة إطار جديد ، ف. ر. بالمر ، تر : د. صبري إبراهيم السيد ، (د.ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م .
- علم لغة النص المفاهيم والاتّجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العامة للنشر . لونجمان ، ١٩٩٧م .
- علم لغة النص نحو آفاق جديدة ، مجموعة مقالات ، تر : د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مكتبة زهراء الشرق ، مصر ، ٢٠٠٧م .
- علم لغة النص النظرية والتطبيق ، د. عزّة شبل ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، ط١ ، دار قباء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م .
- علم النص ، جوليا كريستيفيا ، تر : فريد الزاهي ، ط٢ ، دار توبقال للنشر ، ١٩٩٧م .
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تون فان دايك، تر : د. سعيد حسن بحيري ، ط١، دار القاهرة للكتاب ، ٢٠٠١م .
- علم النص ونظريّة الترجمة ، يوسف نور عوض، ط١ ، دار الثقة للنشر والتوزيع ، مكّة المكرّمة ، ١٤١٠هـ .
- الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، د. شرف الدين علي الراجحيّ ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥م .
- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكريّ ، تح : محمد إبراهيم سليم ، (د.ط) ، دار العلم للثقافة ، القاهرة ، (د.ت) .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٠م .
- في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول نموذجاً)، د. محمد العمري ، ط٢، أفريقيا اشرق، المغرب ، ٢٠٠٢م .

- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، ط١ ، مجلس النشر العلمي ، الكويت ، ٢٠٠٣م .
- في بناء النص ودلالته محاور الإحالة الكلامية ، مريم فرنسيس ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٨م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط٣٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- في نظرية الأدب، د. شكري عزيز الماضي، ط١، دار المنتخب العربي، بيروت ، ١٩٩٣م .
- القارئ في النص ، (مقالات في الجمهور والتأويل) ، تحرير : سوزان روبين سليمان، إنجي كروسمان، تر: د. حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٧م.
- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، ط٢ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
- قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس ، ط٣ ، دار النفائس، الأردن ، ٢٠١٠م .
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ ، د. محمّد عبد المطّلب ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العامة للنشر . لونجمان ، ١٩٩٥م .
- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة، ط٣ ، منشورات مكتبة النهضة، ١٩٦٧م .
- الكتاب ، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تح : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرّائي، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
- الكتاب المقدّس أنا الألف والياء ، ط٣ ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للعلاّمة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمّد معوّض ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٨م .
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقيّ الحنبليّ (ت بعد ٨٨٠هـ) ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمّد معوّض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- لذة النص ، رولان بارت ، تر : فؤاد صفا والحسين سبحان ، ط١ ، دار توبقال للنشر، المغرب ، ١٩٨٨م .

- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، (د.ط)، دار صادر، بيروت ، (د.ت) .
- لسانيات الاختلاف ، د. محمّد الجزّار ، ط١، الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م .
- لسانيات النص القرآني دراسة تطبيقية في الترابط النصي، د. عبد الله خضر حمد ، ط١ ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطّابي ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٦م .
- اللسانيات والدلالة الكلمة، د. منذر عيّاشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب ، ١٩٩٦م .
- اللغة ، ج. فندريس ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصّاص ، ط١، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٠م .
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسّان ، ط١ ، دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٩٤م .
- اللغة والحجاج ، د. أبو بكر العزاوي، ط١ ، مطبعة العمدة، الدار البيضاء ، ٢٠٠٦م .
- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، تر : د. عباس صادق الوهاب ، مراجعة : د. يوئيل عزيز ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ط٣ ، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تح: محمّد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩م.
- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسيّ ، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمّد الشافعي الصادق العناني، ط٢، مطبوعات وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية، قطر، ٢٠٠٧م .
- مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ، ط١ ، مطبعة دار الكاتب ، ١٩٩٢م .
- مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينه من ، ديتر فيهفيجر ، تر : د. فالح بن شبيب العجميّ ، ط١ ، مطبعة جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٩٩م .
- مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، زتسيسلاف واورزنياك ، تر : د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مؤسسة المختار، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

- مدخل لجامع النص ، جيرار جينيت ، تر : عبد الرحمن أيوب ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، دار توبقال ، المغرب ، (د.ت) .
- المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، العدد /٢٣٢ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨م .
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية) ، د. نعمان بوقرة ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠٠٩م .
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، تر : محمد يحياتن ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ) ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م.
- معاني النحو ، د. فاضل السامرّائيّ ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٠م .
- المعايير النصية في السور القرآنية (دراسة تطبيقية مقارنة)، د. يسري نوفل، ط١ ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م .
- المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ) ، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات ، محمد حسن الشريف ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- معجم السرديات ، مجموعة مؤلفين، إشراف : محمد القاضي، ط١ ، دار الفارابي ، لبنان ، ٢٠١٠م .
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح : عبد السلام محمّد هارون ، (د.ط) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م .
- المعجم الوسيط ، إعداد : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمّد علي النجار، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م .
- المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي ، ط١ ، دار نينوى ، دمشق ، ٢٠١١م .
- المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية) ، د. محمّد محمّد يونس علي ، ط٢ ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ) ، تحقيق وتخريج : د. مازن المبارك ، محمّد على حمد الله ، مراجعة : سعيد الأفغاني ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٤م .
- مفاتيح الغيب ، للإمام محمد الرازيّ فخر الدين (ت٦٠٤هـ) ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨١م .
- المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ، ط٢، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٩٣م .
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد ، ط١، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠١٤م .
- مقالات في اللغة والأدب ، د. تمّام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب القاهرة ، ٢٠٠٦م .
- المقتضب ، أبو العبّاس المبرّد (ت٢٨٥هـ) ، تح : محمّد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء ، ثمّ)، د. محمد أمين الخضري ، ط١ ، مكتبة وهبي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
- الميزان في تفسير القرآن ، العلاّمة السيد محمّد حسين الطباطبائيّ ، ط١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، ١٩٩٧م .
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، هناء محمود إسماعيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٢م .
- النحو القرآني قواعد وشواهد، جميل أحمد ظفر، ط٢، مطابع الصفا، مكّة المكرّمة، ١٩٩٨م.
- نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية ، عثمان أبو زنيد ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠٠٩م .
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م .
- نحو النص بين الأصالة والحداثة، د. أحمد محمّد عبد الراضي، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزنّاد، ط١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م .
- النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي، د. وجيه قانصو، ط١ ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠١١م .
- النص ، السلطة ، الحقيقة ، د. نصر حامد أبو زيد، ط١ ، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م .

- النص الغائب ، تجلّيات التناص في الشعر العربي ، محمّد عزّام ، ط١ ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .
- النص من تهافت القراءة إلى أفق التدبّر (مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبّر القرآني) ، د. قطب الريسوني ، ط١ ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ٢٠١٠م .
- النص من القراءة إلى التنظير ، د. محمد مفتاح ، ط١ ، شركة النشر والتوزيع – المدارس ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠م .
- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- النص والخطاب والاتصال ، د. محمد العبد ، ط١ ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ٢٠١٤م .
- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، تر : د. تمّام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٨م .
- النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، تر : عبد القادر قنيني ، ط١ ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٠م .
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العامة للنشر .لونجمان ، ١٩٩٧م .
- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين البقاعيّ (ت٨٨٥هـ)، ط١ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٩-١٩٨٤م .
- النُّكت والعيون تفسير الماوردي ، تصنيف : أبي الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب الماوردي البصريّ (ت٤٥٠هـ) ، مراجعة وتعليق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، (د.ط)، دار الكتب العلمية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، (د.ت).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطيّ، تح : أحمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

ثانياً : الأطاريح والرسائل الجامعية :

- الاتساق والانسجام في القرآن ، مفتاح بن عروس ، (أطروحة دكتوراه) ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠٠٨م .
- خطب الإمام عليّ (ع) في نهج البلاغة ، مقاربة في ضوء علم لغة النص ، راشد مدفون مخيف ، (رسالة ماجستير) ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، ٢٠١١م .
- السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن المطيري ، (رسالة ماجستير) ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، ٢٠٠٨م .

ثالثاً : الدوريات والبحوث :

- اتّجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ، د. سعيد حسن بحيري، (مجلة علامات ، ج٣٨ ، م١٠ ، ٢٠٠٠) .
- أثر السياق في فهم النص القرآني ، عبد الرحمن بودرع ، (مجلة الإحياء المغربية ، ع٢٥ ، ٢٠٠٧) .
- أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة دراسة نظرية تطبيقية ، د. عبد الحميد هنداوي ، (صحيفة دار العلوم ، كلية دار العلوم ، ديسمبر ، ١٩٩٩) .
- التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف، د. صبحي إبراهيم الفقي، (مجلة علوم اللغة ، مج٧ ، ع٢ ، ٢٠٠٤) .
- التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، شربل داغر ، (مجلة فصول، مج١٦، ع١ ، ١٩٩٧) .
- حبك النص منظورات من التراث العربي ، محمد العبد (مجلة فصول ، ع٥٩ ، ٢٠٠٢) .
- حول بويطيقا العمل المفتوح ، سيزا قاسم، (مجلة فصول، مج٤ ، ع٢ ، ١٩٨٤) .
- دور السياق في فهم النص القرآني، بوقرومة حكيمة، (مجلة اللغة والأدب، ع٢١، ٢٠١٤).
- ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة للفهم، بوشعيب برامو، (مجلة عالم الفكر ، مج ٣٤، ع٣ ، ٢٠٠٦) .
- ظواهر أسلوبية في شعر شوقي ، صلاح فضل ، (مجلة فصول ، مج١ ، ع٤ ، ١٩٨١) .
- العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، د. فالح شبيب العجمي ، (مجلة عالم الفكر ، مج ٢٨ ، ع١ ، ١٩٩٩) .

- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً) ، نادية رمضان النجار ، (مجلة علوم اللغة ، مج٩ ، ع٢ ، ٢٠٠٦) .
- القارئ والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، سيزا قاسم، (مجلة عالم الفكر ، مج ٢٣ ، العددان ٣ ، ٤) .
- القصدية في خطبة السيدة الزهراء ، د. كريم حسين ناصح ، (مجلة العميد ، مج٤ ، ع٤ ، ٢٠١٥) .
- القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، وشن دلال ، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، بسكرة ، ع٦ ، ٢٠١٠) .
- الكتابة ومفهوم النص ، د. عبد الملك مرتاض ، (مجلة اللغة والأدب ، ع ٨ ، عدد خاص بملتقى علم النص ، ١٩٩٦) .
- المقصدية ودور المتلقّي عند عبد القاهر الجرجاني ، د. حميد لحمداني ، ضمن سلسلة (قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية ، ج١ ، ٢٠٠٠) .
- من النص إلى النص المترابط، د. سعيد يقطين، (مجلة عالم الفكر، مج٣٢ ، ع٢ ، ٢٠٠٣) .
- النص والسياق ، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي ، فطومة لحمادي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية) بسكرة، العددان (٢-٣)، ٢٠٠٨.
- نظرية التناص وخصوصية النص القرآني، دراسة في الإجراءات النقدية وإشكاليات التلقّي ، د. علي يحيى نصر ، (مجلة العلوم العربية ، ع٢٧ ، ٢٠١٣) .
- نظرية التناصية ، مارك دوبيازي ، تر: عبد الرحيم الرحوتي ، (مجلة علامات ، م٦ ، ج٢١) .

meant by cohesive ties. A number of these ties are analyzed and organized according to their diversity. The second section is concerned with the large structure of the text. The third section is dealing with the context. The fourth section is devoted to local interpretation. The fifth is with proportion. The theory adopted in this chapter is taken from Brown and Yule's suggestions concerning Coherence along with Van Dijk and Robert De Beaugrand's principles.

The Third Chapter is dedicated to the criteria which are related to producer and receiver of the text and is thus entitled Text Directions: Intentionality and Acceptability and Intertextuality. The chapter is divided into two sections; the first section is dealing with Intentionality and Acceptability. The second section focuses on Quranic Intertextuality, both subjective and internal. In the first section De Beaugrand's theory is elaborated while in the second section, the researcher adopts the theory of Julia Kristeva.

The Conclusion sums up the major findings of the study, followed by a list of sources mentioned in the study.

Some of the sources adopted are Quran Interpretations such as (*al-Kashaf*) of al-Zamakhshary and (*al-Tahrir and al-Tanweer*) of al-Tahir Bin Ashoor as pioneer sources manipulated by the researcher. Sources of Text Linguistics, especially those which are translated, are other important sources of the study such as De Beaugrand's *Text, Discourse, and Procedure*, Klaus Brinker *Linguistics of Text and Conversation*, W. Heinemann and D. Viehweger *An Introduction to Textual Linguistics*, and many other translated sources. As for Arabic studies in the field of Text Linguistics which are elaborated in this dissertation are for example Saeed Hassan Beheery's *Textual Linguistics: Concepts and Directions*, Elham Abu Ghazalah and Ali Khalil Hamad's *An Introduction Text Linguistics*, Ahmed Afeefe's *Towards the Text: a New Direction in Grammar Studies*, Subhee Ibraheem al-Feqi's *Textual linguistics Between Theory and Application: an Applied Study on Meccan Verses*, and many other sources.

Lastly but not least, I would like to thank and express my gratitude to my supervisor Prof. Luma abd al-Qader Kheniab (PhD) for her great assistance, support, and valuable instructions in the accomplishment of this dissertation.

Abstract

It is well known that language is the bowl of thinking and its emergence has been attributed to social interaction. This means that the language has interactive and communicative functions in addition to its transitive function as a means transporting ideas, thoughts, and information inside the social realm.

Undoubtedly, both interaction and communication in language force the existence of a number of individuals, or at least, two individuals so that any form of language communication will be created. This matter will lead to the transformation and elimination of the language from the domination of the sentence in linguistic analysis to a textual comprehensiveness and wideness represented by the unity and centrality of the text. This is due to the fact that the text is the sphere, goal, and scope of analysis of Text Linguistics.

Adopting such communicative function of language, the present dissertation entitled " Verses of Response in Quranic Discourse: A Study in Text Linguistics" presents different texts from Quran containing various dialogues and conversations as samples of functions of linguistic communications and interaction. These functions in Quran have wide scopes since they demand a sort of investigation of different criteria of Text Linguistics to apply them lingualy. The dissertation is thus falls into three chapters, forwarded by an Introduction and ending with a Conclusion.

The Introduction presents the concepts of Response and Text, shedding light on Text Linguistics and its functions. As for the chapters of the study, they deal with the nature of the text analysis through which the researcher focuses on the theory of textual concepts put by the theorists of this discipline.

The first chapter of the study, under the title Cohesion, is devoted to the formal constructions of the text. The theory adopted in this chapter is related to textual principles put by Robert De Beaugrand and Halliday and Ruqaiya Hassan. The chapter is divided into four sections organized according to their multiplicity and commonness in the body of the dissertation. The first section deals with the function of Reference to personal, demonstrative, and relative functions. The second section deals with Ellipsis. The third section with Conjunction and the fourth section with Lexical Coherence respectively.

Chapter Two focuses on the pragmatic construction of the text under the title Coherence and is divided into five sections. The first section explains what is

Ministry of Higher Education
& Scientific Research
University of al- Qadisiyah
College of Arts
Department of Arabic

VERSES OF RESPONSE IN QURANIC DISOURSE: A STUDY IN TEXT LINGUISTICS

A DISSERTATION SUBMITTED TO

THE COUNCILE OF THE COLLEGE OF ARTS- UNIVERSITY OF AL-QADISIYAH IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY IN ARABIC LINGUISTICS

BY

HASSAN HADI ABD AL-NABEE

SUPERVISED BY

PROF. LUMA ABD AL-QADER KHENIAB (PHD)

1440 A.H 2018 A.D